نجم سلمان الحجار



الماسونية والصهيونية

ودورهما في انهيار الإتحاد السوفييتي



الماسونية و الصهيونية

نجم سلمان الحجار

الماسونية و الصهيونية

ودورهما في انهيار الاتحاد السوفييتي

دراسة شاملة لدور اليهود في المجتمع الروسي

خلال مرحلتي القيصرية - والثورة الأكتوبرية

منشورات دار علاء الدين

- الماسونية والصهيونية

ودورهما في انهيار الاتحاد السوفييتي

- تأليف: نجم سلمان الحجار.
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧.
- عدد النسخ /١٠٠٠/ نسخة.

- تمت الطباعة في دار علاء الدين للنشر.
- هيئة التحرير في دار علاء الدين.
  - الإدارة والإشراف العام: م. زويا ميخائيلينكو.
  - التدقيق اللغوي: لجنة الدار.
  - الغلاف: أمل كمال البقاعي.
  - معالجة نصوص: اسماعيل نصر الحلاق.
  - المتابعة الفنية والإخراج: أُسامة راشد رحمة.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص. ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٣٢٤١

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

المقدمة

لن يكون بوسع المرء إلا الاستغراب والدهشة، عندما يتصفح كتاب التوراة ويجد تلك العبارات التي تنم عن قساوة وشراسة قائمتين على القتل وإبادة الجنس البشري ومحفزتين للحقد والكراهية المنقطعة النظير حيال كل ما هو غريب عن معتنقي هذا الكتاب الذي يعج بالأسفار الداعية للحرب والإبادة والفناء والوعود بخلودية مؤمنيها ومنفذيها المعنيين بقبليّة ذلك الإله التوراتي يهوذا، الذي ينحصر جل اهتمامه بالعناية بالقبيلة اليهودية وتخويلها حق ارتكاب كل ما هو في مصلحتها، ويدافع عن تطلعاتها وشهواتها وتراثها، وامتلاكها كل الأراضي الخصبة، ويبرر لها كل ما ترتكبه في حق الآخرين من قتل وتذبيح وتدمير.

لقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها لمستقبلهم القائم على محاكمة الأمم وتبوؤ مركزها العالمي الموعود من الرب، وعيشهم في وحدة كاملة متكاملة من السلام والسعادة، التي لا يشاركهم أحد بها، لا بل يسخّرون عبيداً لخدمتهم تُضرب عليهم الذلة والحقارة بسبب إهمالهم وعدم اكتراثهم بتلك المعاني التوراتية، وآرائهم المنددة بها، وعدم امتلاكهم الحب العائد للأسباط الإسرائيلية.

من الواضح أنه لا يمكن اعتماد تلك المدونات التوراتية التلمودية مرجعاً أكيداً لبروز هذه النزعة الدينية العنصرية المتعصبة، بسبب ما اعترى تلك التقوّلات الأدبية من اختلاطات جمة في سياق عرضها للوقائع والأحداث التاريخية التي لا تعرف التسلسل الزمني، ولا تتسق أزمانها وأدوارها برابط يثبت مصداقيتها، وبما كان في هذا التجميع التصوري لمسألة الخلق الإنساني وربطها بالسبطيّة الإبراهيمية مع الاستفادة من كل الميثولوجيات السائدة في تلك الآونة في الأمكنة التي عرفتها مثل هذه التفعيلات التخيلية لكي تبدو شرطاً ملتبساً على كل متتبع أو قارئ لها، بحيث تترك المجال مفتوحاً للارتجال الآني لأولئك المتغربين عن مجتمعاتهم،

والمتباعدين عن الرأي الغالب والسائد في المجتمع الذي يعيشون، بحيث انطلت حقيقة وجودهم وتفكيرهم تحت عدة مظاهر تزييفية يصعب أن تجد لها منحىً يمثلها أو يؤطرها كباقي الديانات والمعتقدات، سيما وأن حضورهم كان يعزى بشكل دائم إلى جوانب قدسية إلهية تغلبهم على بني جنسهم من البشر، وتجعلهم حالة متميّزه يدّعونها.

من المفارقات التاريخية في تسلسلية هذا الدين، ادعائهم بأنهم يرجعون في الحسب والدين إلى عهد إبراهيم الخليل، الذي يُعتقد أنه كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويفصل بينه وبين ظهور النبي موسى قرابة ستمئة عام (أي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد) في عهد الفلستيين الذين سميت أرض فلسطين باسمهم، مما يؤكد أن عملية الربط هذه ما تمت لولا سعيهم في أن يربطوا زمن إبراهيم الخليل ببيت يهوذا وينسبونه إليه، على الرغم من ما يشوب هذا الأمر من أخطاء تقفز فوق حواجز منطقية التأريخ، وتجعله منحى لقصّهم التوارتي المدوّن بعد النبي موسى بفترة طويلة، وجاءت محرّفة بحيث تتفق ورغبات ونزعات وميول الكتبة، الذين استعرضوا الرواية الشفوية وانتخبوا منها ما يتفق مع وجهة نظرهم، وحذفوا كل الأشياء الأخرى التي تضر بهم، وليس أدل على ذلك من التنديد الذي وجهه المسيح (عليه السلام) ضد الكتبة الفريسيين والناموسيين، وإلا كيف يمكن أن تتضمن الوصايا العشر أمراً بقتل الشيوخ والأطفال والنساء الذي يتناقض وروحية كل دين وكل دعوة إلهية، يقوم على نشرها نبي، كالنبي موسى، الذي أشاروا إليه بأنه أشرف على وضع هذا النص التوراتي الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين عاماً.

لكن وكي لا نستفيض في تاريخية هذا الدين، الذي ليس هو موضوع بحثنا، نعود لنؤكد أن كل ما نلمسه أثناء استعراضنا لموضوع دراستنا من مفارقات أخلاقية في مسلكية اليهود وساستهم، إنما يرجع إلى ذلك الأس التربوي الفطري المنغرس في سجية أتباعهم في أن يكونوا على هذه الشاكلة المسلكية المزدوجة المتلبسة تحت حجب من التظليل للمجتمعات التي عاشوا بها، وعاشوا فيها فساداً وزيفاً، ولا غرو بعد ذلك، من أن تأتي كل تنظيماتهم السياسية الماسونية -

الصهيونية بكافة الأفعال التي من شأنها أن تمرر المقولات الكاذبة التي يصعب على الفكر الإنساني استيعابها وهضمها، لما ما تحمله من كره وحقد ضد بني البشر، الذين ما عليهم حسب مقولتهم، إلا الاغتسال بدمائهم، كي تصدق أراجيفهم الأسطورية في أهمية المال والدم للسيطرة على الدهماء، وتنفيذ عهد الرب، وتحقيق الهدف الأسمى في السيطرة على العالم، حسبما أمناهم الرب بظاهرة تفوقهم العرقيّ واختيارهم من بين شعوب الأرض، ليسودوا عليها، ويستعبدوا من هم أدنى مرتبة، وأقل كفاءة، بحيث تلتف الأفعى الصهيونية على هذا العالم ويلتقي رأسها مع ذنبها.

إن قوة الصهيونية كامنة في الشر والغدر والنفعية في خلق الروابط المالية بين الطغم الاقتصادية والرأسمالية، لتصبح شبكة مترابطة متماسكة كخيوط العنكبوت التي تشد كل بؤرة إلى الأخرى بخيط ذهبي لا ينقطع، لا بل تزيد في مركّزه هذه الروابط، التي يسعى إلى تقويتها، والمضاعفة من ثخانتها أولئك المنتمون، والمتآمرون بأمرها، بحيث تغدو هذه الأحبولة القوية مصيدة تمسك بكل ساع للثراء والجاه السياسي وتدفعه في كل منقلب، حتى إذا ما حاول الإفلات منها تعرض للفضيحة، والإفلاس والتصفية الجسدية، وكأنها أخطبوط يلوث فرائسه ويظللها بحبره الذهبي حتى تقع في جوفه.

جل ما تسعى الصهيونية إليه، تفتيت الروابط الاجتماعية والأسرية القائمة على التكافل الاجتماعي، وإحلال تلك الأنشوطة المصلحية النفعية بدلاً منها، والتي تعتبر في خضم هذا الزمن المادي أكثر قوة وتماسكاً، من تلك الواهيّة التي ما زالت تحافظ عليها الدهماء، أو المجتمعات المتخلفة كما يزعمون، حتى إذا ما انجر أصحاب الطموحات للامتياز من قادة وزعماء وشخصيات متنفذة إلى السقوط والتهالك فيها، بادروا إلى قياد رعاياهم تحت سطوة الخضوع والتشتت والضياع وبدؤوا يأكلون مجتمعاتهم ويخضعونها للمراقبة الجائرة الصارمة، ويوقعونها في شبكة العوز والفقر والحيرة، بحيث تبدو هذه الحالة وكأنها قدرٌ أمسك بتلابيب المواطنين، وجبرية تأخذ في عقولهم لتلهيهم عن عناصر تلك القوة الجامحة للسيطرة والتنبؤ، والتأثير الدعائي، الذي يفعل فعله في دائرة المثقفين

البارزين ويعميهم عن قضايا شعوبهم ومجتمعاتهم، ويصبحون أداة تضليل وتبرير وتسويغ، والويل لكل من يحاول كشف هذه الشبكة المعقدة من التنظيمات والجمعيات الماسونية - الصهيونية، أو لكل من يحاول البوح بأسراها، ويتجاوز هذا السد المنيع، الذي اكتسب جبروته من خلال هذه الغلالة السرية المطبقة، والتي تلف كل تصرفات هذه المنظمات بستار من الغموض والتخفي، حتى ليبدو الأمر عند محاولة كشفه وإزاحته من قبل الباحثين والمؤرخين الجادين في عملية تقصي ودراسة هذه الظاهرة الفريدة، كما وكأنه تهويش مبالغ فيه، وغلو يستحق فاعله التصفية ووصمه بتهمة معاداة السامية، وفي أدنى الحالات، تركه يستزيد من نشر الوثائق والشهادات والمؤلفات التي من شأنها أن تعطي انطباعاً عن جبروت هذه المنظمة وقوتها، وبالتالي تأتي هذه الدراسات والأعمال البحثية وكأنها حالة دعائية يقوم بها مناهضوها، لتصب تحت طابع اكتساب القوة من أعدائها.

لا شك أن ما مارسته الماسونية - الصهيونية في الاتحاد السوفييتي يندرج تحت هذا الإطار، ولا يخالفه في الجوانب كافة، إذ إن عملية الإفساد التي مارسها الصهاينة في المراحل كافة، أدت إلى ما أدت إليه من نتائج سلبية على عملية البناء الاشتراكي على الأسس الفكرية اللينينية - الماركسية بعدما دخلوا في إطارها التنظيمي، وأبدوا تفاعلهم الكاذب في صناعة صيرورة هذا المجتمع المنشود، دون أن ينسوا يوماً هدفهم المرسوم في ذاكرتهم، والذي كان يعمل على تغذيته القادة الصهاينة والريادة الماسونية المنتشرة في قوام المجتمع الروسي منذ أزمان بعيدة، وما عملية التظاهر بالسلوك المنفعل إبان إدارة الصراع الخارجي والداخلي الذي واجهته الثورة إلا محاولة جادة في إتقان التلون والتبدل عند بروز المتغيرات الطارئة والتحولات الجسيمة، خاصة بعدما فشلوا في إضفاء صفة التميز في تنظيماتهم المكتسبة طابع الثورية والعمالية وما واجهوه من حجج دامغة على بطلان هذا التميز النخبوي إن كان من قبل قادة البلاشفة أو من قبل الأوساط الشعبية العامة التي لم تقر بهذا المبدأ ولم تقبل عملية التحالف المنفصل أو المستقل معها على أساس عرقي متمايز، مما حدا بالأوساط الماسونية - الصهيونية وتنظيماتها إلى الافتراق والانقسام والتوزع في متراجحات القوى السائدة في تلك

الآونة، بحيث بدا هذا التضاد الظاهري وكأنه حالة عملية وعملانيّة لشرط انقسام اليهود إلى طبقات مستغِلة ومستغَلة على غرار ما كان عليه المجتمع السوفياتي، لا بل ضاعف كلا الطرفين المنقسمين غلواً متصنعاً في اعتناق المبادئ الجديدة التي فرضتها طبيعة المرحلة وراحوا يبدون شتى الممارسات ليثبتوا أقدامهم في صفوف أعداء الثورة ومناصريها على حد سواء لدرجة الانصهار المطلق والذوبان الكلي في أتون الصراع المحتدم بين الاتجاهين المتضادين مع التنسيق السري للمواقف والتصرفات التي يجب على كليهما إتباعها حسب الظروف المرحلية التي مر فيها المجتمع السوفياتي، إذ نرى أن المتلبسين تحت راية المنشفية راحوا يمارسون التطرف والاشتطاط نحو خلق البنية التفريقية الاجتماعية وإثارة النعرات واستهداف الشخصيات المعادية لهم التي كانت إلى حد ما مطّلعة وعارفة بما هم عليه من تلون كاذب، أو جاءت قراراتها مخالفة لوجهه نظرهم وتحمل صبغة الحظر عليهم، الأمر الذي جعلهم يبادرون من خلال مواقعهم ومناصبهم إلى تصفية هذه الشخصيات وإلصاق التهم بها وتشويهها عبر سيل من الأكاذيب والتقارير والتقييمات الحزبية التي كانت تتم من آن لآخر، خاصة وإن البعض منهم كان قد حمل بعض المهمات التي تؤهله لأن يقوم بمثل هذه الاختراقات المتتالية في بنية النظام السوفييتي، التي أدت إلى وصول العديد منهم إلى مراكز متقدمة في هيكلية ذلك النظام.

كانت أولى الحملات التصفوية تلك، محاولة اغتيال لينين بعدما ساهم بشكل فعال في صياغة القرارات الحزبية المضادة لكل تنظيماتهم، وخاصة تلك المندمجة في قوام البلشفية - التروتسكية، إضافة إلى موقفه حيال استمرار اشتراك روسيا في الحرب العالمية الأولى وفضحه لدور اليهود الراغبين في إطالة أمد هذه الحرب دعماً لمصلحة الدول الغربية وخاصة بريطانيا الحليف الاستراتيجي للصهاينة وصاحبة الوعد التاريخي لليهود في إقامة وطن خاص بهم لا سيما أن هذه الأسباب ترافقت مع نشاط ملحوظ ومحموم للأقسام اليهودية العاملة في الأقاليم السوفييتية الداعية إلى استمرار الحرب وممارسة الأعمال الدعائية المضادة لوقف الحرب مع ألمانيا، كان لينين قد أدان عمل هذه الأقسام في تشويه الإجراءات والخطوات

المتخذة في بداية الثورة، لصيانة النظام الاشتراكي ضمن المنظومة البنيوية لمجموعة الدول الاشتراكية المنظمة إلى اتحاد الجمهوريات السوفياتية.

استطاعت الصهيونية تحقيق النجاحات في وصول بعض أعضائها إلى المراكز الوظيفيّة المتميزة بحلول عام ١٩٢٤ بعد وفاة لينين ووصول ستالين إلى الحكم، وذلك عن طريق تفاعل الجهود المشتركة من قبل التروتسكيين الذين استمروا في وجودهم داخل النظام حتى عام ١٩٢٩ بعد رحيل تروتسكي عن الاتحاد السوفياتي، وكثيراً ما كانت تتخذ الإجراءات المضادة ضد التيار اللينيني داخل النظام، والعمل على تصفية بعض القادة منهم عبر ترويج اتهامات متعددة اتسمت بطابع المعاداة للنظام، والاشتراك في الحركات المقاومة السلطة الفردانية، بما يتناسب مع استثمار مطلق للطواعية المشوبه بالمكر حيال النظام الستاليني الجديد المفعم بالقسوة والتحكم الشديدين في التفرد في اتخاذ القرار، والحرص على تنفيذه من قبل السلطات التنفيذية الأمنية المركزة في أيدي قادة عرفوا الصلابة وغالوا في إظهارها كأداة قمع وبتر لكل العناصر الحزبية الداعية إلى الاعتدال وضرورة التدرج في الانتقال من مرحلة بنائية إلى الأخرى بتسلسلية توفر الشروط المناسبة والمؤهلة لنجاح تدعيم النظام السوفياتي دون اللجوء إلى سلق المراحل وخلطها في بوتقة غلوائية تصل إلى درجة الطيش غير المحمود الذي قد يؤدي إلى عواقب وخيمة. مما عرض حاملي العقلانية والاعتدالية إلى تصفيات متتابعة تحت صفة العدائية أو المشاركة في استنهاض الحركات الشعبية المضادة، لدرجة اجتماع هذه الشخصيات في العقاب والمحاكمة مع أولئك الذين كانوا يعرفون بالنسبة إليهم أعداء في الأمس القريب.

ازدادت وتيرة الحضور الصهيوني - الماسوني شدة في مرحلة الثلاثينيات وخاصة بعد الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩، وانعكاسها على الاتحاد السوفياتي وظهور بوادر وصول النازيين إلى الحكم في ألمانيا، حيث بدأت عملية التعبئة الأوروبية في التخوف من هذه الدعوات المتعصبة التي قد تقود أوروبا من جديد إلى حرب عالمية ثانية مما أدى إلى تضافر وتكالب كل التحالفات الدولية والأوروبية بشكل خاص، انساقت فيها الصهيونية كعادتها بغية حصد النتائج والتخطيط

لاستثمار مفاعيل الحرب المقبلة، وراحت ترقص على حال كل الأطراف بشكل متناغم مدروس، مع الاهتمام الكبير بصوغ المواقف المناسبة والمراهنة على التضادّية والانسياق فيها إن كان في أوروبا أو في دول المعسكر الاشتراكي مع إبداء الحماس لكلا الاتجاهين واللجوء إلى الالتقاء السري مع النازية الجديدة عبر وسائل اقتصادية فعالة ساهموا فيها بشكل مباشر في تدعيم الآلة الحربية لألمانيا النازية. بينما كانوا في نفس الوقت يَقتنصون لحظات تعزيز موقعهم داخل النظام السوفياتي، إذ أبدوا الكثير من النشاط والانفعال والانصهار في استكمال بنية التحكم في مسار السلطوية المطلقة وتصفية الشيوعيين القدماء تحت عدة ذرائع اختلفت عن سابقاتها في العشرينيات، حيث انقلبت مفاهيم الاتهام من معاداة النظام والاعتدال إلى صورة تصفية أتباع التروتسكية التي اندرج تحتها أولئك القياديون الأوائل زوراً بغية تسهيل الخلاص منهم، وخلوا الساحة لأتباعهم الذين بات البعض منهم في مواقع قيادية ممتازة ساعدت في ظهورها تلك الظروف السياسية القاهرة التي فرضت على الدولة السوفياتية المسارعة إلى بناء الجيش والمؤسسات القوية الكفيلة بمقاومة ما ظهر من تيارات أوروبية معادية تستهدف الكيان السوفياتي، الأمر الذي أدى إلى تفاقم وبروز سمة التهمة الملصقة على كل من كان، ومن سيكون، حاملاً لفيروس الخطر الموهوم على كيان الدولة والقيادة السوفياتية حسبما يقدره ويقرره أولئك المتبوئون لمناصب المحاسبة الأمنية، الذين كان بعضهم إلى حد ما من قوام تلك العناصر اليهودية المتلبسة والمتغلغلة في قوام النظام، والتي زينت حضورها ودعمت وجودها عن طريق ارتكاب وتركيب المؤامرات المصنعة التي ما انفكت تتالى وتتابع بوتيرة عالية طالت كافة الشخصيات والفئات الاجتماعية والشعوبية وعمقت الشروخ الاجتماعية الكبيرة بين فئات المجتمع السوفياتي كافة، وخاصة منها تلك التي ما زالت مرهونة بعواطفها وأحاسيسها القومية والعرقية والإثنية، بحيث غدت صيغة القيمة الجماعية القومية تلتصق بكل من حاول أو ساهم في قطع سلسلة التواصل مع القيادة السوفياتية أو حتى توجيه الشكوى إليها ومناشدتها بالإنصاف والعدل، حيث باتت العقول اليهودية تفبرك كل ما من شأنه أن يعزز وجودها واستمرارها في دفة الحكم، إذ كان يكفي

تقريرٌ واحدٌ من أحد المفرطين لأن تبنى عليه مؤامرة كاملة تتجمع فيها الخيوط وتتشابك لتصل إلى أكبر قدر ممكن من الناس الذين قد يشكلون عقبة في طريقهم.

ثمة أمر نؤكد عليه، وهو أنه لا يمكن أن نغفل ولا بحال من الأحوال تلك الإيجابيات الجمة والمواقف والإنجازات الكبيرة التي حققتها الدولة السوفياتية، التي لا يمكن لأحد ما أن ينقص حقها وقيمتها، لا سيما تلك التي جعلت منها دولة لم يمر عليها أكثر من ربع قرن حتى دخلت مصاف الدول العظمى، وغدت بعد الحرب العالمية الثانية قائدة للمعسكر الشرقي الذي ساهم وساند ودعم حركات التحرر العالمي واستقلال الدول المستعمرة، ودفعت عن الشعوب الظلم والجور الاستعماري الكريه. لكن طالما نقوم بدراسة الوجود الصهيوني في تلك الدولة، لا بد من أن ننوه إلى أن هذا الوجود قد لا يكون متعلقاً بمن كانوا على سدة السلطة، بقدر ما يتعلق بطبيعة الصلف اليهودي - الصهيوني الذي يسمم كل حركة ومسلك حكومي بصفة قد تكسبه إلى الآن بعض الحرفية الوظيفية الفائقة مع تضمينه مفاعيل ارتدادية مستقبلية تظهر الجوانب السلبية فيه خاصة عند التعرض إلى دراسة الحادثة التاريخية التي تميل عادة إلى إظهار الجوانب المظلمة على حساب الجوانب النيرة، على الرغم من ما يعتري هذه الحادثة المدروسة من صوابية أملتها ظروف سياسية معينة وسوغتها، كحالة مقبولة في زمنها. إلا أنه وبالعودة إلى مجمل ما كان في الزمن السوفييتي وإخضاعه إلى حكم النتيجة التي وصل إليها هذا النظام، تبرز عندها بعض المسائل التي تسترعي الانتباه عند بحث السبب والمقوم والمعطى الذي أدى إلى ما أدى إليه من حالة تفكك قل نظيرها، سيما وأنها جاءت خلال فترة تاريخية قصيرة، على الرغم من ما كانت تبدي من عناصر إطالة زمنية إلى أكثر من قرن على أقل تقدير بسبب ما أبدت هذه الدولة من مقومات استمرار واستقرار بادٍ على المستوى العالمي، سواء من حيث التطور التقني الصناعي أو من حيث القوة الجبارة التي حازت عليها ووصلت إليها عبر سلسلة من الإجراءات التي قد تفوق الخيال. لكن جاءت الأحداث لتبرهن هشاشة هذا البناء ولدونته أمام تغيرات طارئة اعتمدتها بعض الشخصيات القيادية الحكومية التي لم تكن

متمرسة حتى في طريقة طرحها وتبنيها لسياسة التغيير الذي لا يمكن أن ينظر إليه وكأنه ناتج آني لا يعود إلى فترات سابقة أو مساع عملت له منذ زمن بعيد، سواء من حيث إعداد الشخصيات القائمة عليه والسيطرة عليها، أو من حيث طبيعته الفكرية النظرية المؤسسة لحركة التغيير ذاتها، وبالتالي جاءت عملية إعادة البناء (البيروسترويكا) فاتحة لسلسة من الحوادث المدروسة، أدت إلى ما أدت إليه من تحطيم مباشر وقوي لتلك البنيويّة العارمة التي اتصفت بها الدولة السوفياتية التي لا يمكن إلا أن تكون قد ساهمت في تحطيمها إرادات مشتركة وفاعلة على المستويين الداخلي والخارجي.

لقد برزت في الآونة التي سبقت البيروسترويكا بقليل المؤلفات والمطبوعات التي بينت الدور التخريبي للماسونية والصهيونية، في الاتحاد السوفياتي، لكنها لم تتطرق قط إلى تسمية الأشياء بمسمياتها، وابتعدت عن ذكر الشخصيات السياسية والحكومية التي كانت تقف وراء هذا التخريب أو التشويه والفساد الذي كان يحل في بعض المفاصل الحكومية المترهلة، إلا أنه بمرور بعض الوقت على قيام البيروسترويكا صدرت المؤلفات العديدة التي تحدثت عن الدور الصهيوني في تخريب الدولة السوفياتية، ومدى ارتباطه مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية أثناء الحرب الباردة بعيد الحرب الكونية الثانية، وبين حالة هذا التأثير الصهيوني على طبيعة القرارات السياسة المتخذة من قبل القيادة السوفياتية إن كان في مجال السياسة الدولية أو الداخلية وخاصة منها ما يتعلق بالمسألة الصهيونية والتهجير اليهودي إلى فلسطين والموقف السوفياتي السياسي حيال القضية الفلسطينية ودوره في الاعتراف بدولة الكيان الإسرائيلي، وما استجر من مواقف سياسية متعددة خلال مرحلة هذا الصراع العربي الإسرائيلي.

كان من أبرز هؤلاء المؤلفين يفغيني يفسييف، الذي تعرض إلى حادثة اغتيال بشعة (حيث تلفظ ببعض الكلمات قبل أن تفيض روحه قائلاً: لقد قتلوني دهساً بسيارة سوداء) إثر تصريحه قبل ثلاثة أسابيع من موته، بأن لديه الأدلة الكاملة على تورط المخابرات الصهيونية - الأمريكية - البريطانية في عمليات التهجير السوفياتية -

اليهودية إلى الأراضي المحتلة في فلسطين[1]، إضافة إلى نشره عدة مؤلفات عبرت عن وقوفه الفكري ضد الصهيونية وتغلغلها في النظام السوفياتي، مما عرضه لحملة دعائية ظالمة متهمة إياه بأنه عميل للنازية حسبما وصفته مجلة شتيرن الألمانية، وصحيفة مورننغ فراي جايد الأمريكية الصهيونية التي شنت حملة متواصلة ضده وضد كتاباته مع إعرابها عن الارتياح عند عزوف الصحافة السوفياتية عن نشر غالبية مقالاته منذ عام ١٩٨٢[2]، إلا أن التهديدات ضده جاءت من صحيفة جيزوزاليم بوست الصهيونية، التي هددته بالاغتيال والتصفية الجسدية مع تأكيدها لما جاء في صحيفة دير شبيغل الألمانية التي نشرت مقالاً ضده، ادعت فيه بأنه (أي يفسييف) ما هو إلا اسم لمواطن لا وجود له، وما الاسم الذي يحمله إلا اسم تتكري لمواطن تشيكي، ممن شاركوا في تعذيب اليهود في المعسكرات النازية.

ساهمت الصحف السوفياتية والوسائط الإعلامية الخاضعة للسيطرة اليهودية في الحملة ضده، فوصفته صحيفة الكومسمولسكايا برافدا بأنه قومي شوفيني روسي، ناهيك عما ذكرته صحيفة أنباء موسكو، التي كان يطلق عليها تسمية أنباء الماسونية.

كان يفسييف قد ترأس الجمعية الروسية - الفلسطينية، ونشط في دحض الفكر الصهيوني العالمي ومنظريه وأدواته الإعلامية المسيطرة على المطبوعات والمنشورات العالمية والسوفياتية في الأعوام السابقة للبيروسترويكا، وأشار إلى ظاهرة التغلغل الصهيوني في المجتمعات الاشتراكية تحت ستار الدين، والدعوة إلى العودة إلى الروحانية، ووقف ضد الاعتراف السوفياتي بالكيان الصهيوني وضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأدان النشاط الصهيوني خلف الكواليس خاصة في زمن المرحلة السوفياتية عندما قام الصهاينة بالمشاركة الفعلية في النشاط الهدام وتنظيم العناصر المحايدة داخل الاتحاد، ونشر سموم أيديولوجيتهم بين اليهود بالتعاون والتنسيق مع الخارج، وإثارة عاصفة استفزازية من المطالبة بحقوق الإنسان.

١- صحيفة تشرين الصادرة في ١٩٩٤/٢/١٣ - دائرة الدراسات عن كتاب الصهيونية في الاتحاد السوفياتي (يفغيني يفسييف ودوره الفكري السياسي في المواجهة - دراسة هاني مندس).

٢- المصدر السابق نفسه.

لقد شارك العديد من الكتاب السوفييت في عملية فضح الدور الصهيوني، وتحملوا الانتقامات المتعددة من قبل الصهاينة، التي كانت تأتي على أشكال مختلفة من ممارسات الضغط، ٤٠٠٠ والتعريض بحياتهم الشخصية، والتشهير بمسلكهم وعدم آهليتهم وكفاءتهم في مجال أعمالهم، وإدانتهم بشتى التهم، لا سيما وأنهم كانوا يسيطرون على وسائل الإعلام ويمنعون تمرير أيّ مقالة تتحدث عن الأحداث الجارية في قوام المجتمع، وقد يبدو مثل هذا الأمر في نظرنا ضرباً من الاستغراب والدهشة حيال ما يملك الصهاينة من وسائط ترويجية في الأوساط الغربية والأجنبية، بسبب عدم معاناتنا من مثل هذه التصرفات في مجتمعاتنا وأوساطنا الثقافية، مما يجعلنا غير ملمين بصعوبة مثل هذا الضغط الممارس على الآخرين في الدول الأخرى، سواء من حيث إلصاق تهمة معاداة السامية أو من حيث ممارسة الإحباط وسياسة صد الأبواب في وجه كل من يقاومهم في تلك المجتمعات اشتراكية كانت أو رأسمالية، وقد يعود هذا إلى عدة عوامل مكنت الصهاينة من تحييد كل ما هو منطقي وإفراغه من مضمونه، والانتقاص من كرامات الناس القائمين عليه، والتلاعب في عواطف وأحاسيس البشر عن طريق السيطرة الإعلامية والاقتصادية على الأوساط الاجتماعية حيث تعيش، مما يجعل عملية ابتلاء تلك المجتمعات - الصهيونية - اليهودية تفوق ابتلاءنا من وجود الصهاينة على أرضنا بسبب القبول الاجتماعي بهم على أساس الإيمانية الدينية، أو لعدم وجود الفوارق البينية في تلك المجتمعات، وربما يعود هذا إلى العوامل التالية:

أولاً: أول ما عاينت الصهيونية في الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية تلك الشخصيات الاقتصادية الاستعمارية (الليبرالية) المؤثرة على الوجوه السياسية الواقعة تحت ضغط الاقتصاديين والرأسماليين الكبار، ليقوموا بما يرتأيه أولئك المتنفذون الصهاينة، على أن تتبع هذه الخطة خطوات تؤدي إلى إيصال المرغوب فيهم من السياسيين إلى سدة الحكم، وبالتالي أصبحت علاقة الصهيونية - الماسونية مع القيمين على السياسة علاقة مُستَغِل ومُستَغَل، كلا الطرفين فيها على بيّنة كافية لمعرفة الخطوات التي يجب اتباعها لتحقيق الوجود الصهيوني، وتدعيم أهدافه الاستراتيجية البعيدة المنسجمة مرحلياً مع سياسة تلك الدول إلى آن.

ثانياً: استفاد الصهاينة من استثمار ظاهرة التباكي والاستعطاف المتناهي من استدرار التعاطف الغربي معهم، على أثر اضمحلال حالات التصادم القومي في أوروبا، وبعد استنفاذ قدرات تلك الدول عبر مسيرة طويلة من الحروب المنهكة جعلتها خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية، التي توجهت الصهيونية إليها بعد أن لاقت بعض الاضمحلال أو التردي في مرحلة النهوض القومي الأوروبي عبر تحفيز دوافع لَبْرَلَة المجتمعات الأوروبية الغربية وخاصة منها الولايات المتحدة الأمريكية، التي تحاول الآن زرع صبغيات الجنين القومي المتلون فيها من خلال طرح مفهوم المواطنة داخل الأمة الأمريكية، وبهذا التقت أو تلتقي في سياق تاريخي غير مشروط مع تلك، أي الصهيونية، التي تحاول أن تقويّ من اليهودية، التي لم تلقَ القبول الكبير، أو إن صح القول النجاح في مرحلة النهوض القومي الأوروبي، لا بل على العكس من ذلك، لجأت إلى إثارة النزعات بين ملوك ورؤساء الدول الأوروبية على أساس التهافت للحصول على المجالات الحيوية - الاقتصادية المالية، التي تتناغم مع ما تريده وتسعى إليه لإيجاد موضع قدم في ساحات الصراع المسلحة تلك، عبر اعتمادها على عقد تحالفات سرية تحصد النتائج على أساسها، وتقطف ثمره الحروب دون تقديم الضحايا، إلا أن هذا المنحى ربما لاقى الصدّ الكبير من قبل تلك الدول وخاصة منها دول أوروبا الشرقية، التي تعدّ من نوع القوميّات الأكثر تحفزاً وتجهماً، إلا أن هذا لم يمنعها من أن تركب الموجة ذاتها، وتعزف على وتر التضاد القومي في المعسكر الاشتراكي، لتفتت ذلك الجسد المتماسك ضد المعسكر الغربي، وربما أفلحت في ذلك في الآونة الأخيرة، إلا أن هذا النجاح هو بحد ذاته الأوج الذي بلغته الصهيونية في تطورها المرحلي المتتالي، الذي سيفرض عليها أن تضع أوراقها في كفة واحدة، وهذا ما سيفقدها ازدواجيتها التركيبية، وبالتالي سيجعلها رهن يد واحدة، تسقط بسقوطها.

ثالثاً: أخطأت الصهيونية انتقاء طريدتها، ولربما كانت أفلحت في الاستمرار والنجاح لو أنها قبلت في أن تقيم دولتها في أفريقيا، على خلفية التشكل القبلي البؤري، الذي يصعب عليه التمظهر في التكون القومي خلال وقت

قصير. وكان خير لها، ألا تقوم بما قامت به من اختيار منطقتنا مرتعاً لنشاطها التي لن تجد فيها التفاعل والمشاركة مع قومية متصفة بميزات ندر أن تميزت بها أيّ قومية أخرى، التي لن تألو جهداً في إيجاد ذاتها عبر المراحل الزمنية التي لا تعرف الثبات والدوام، سيما وإن مفاعيل التجييش، والترهيب التي تقوم بها الآن ضد الأمة العربية والإسلامية، تعتمد على شعارات تثير الغرب كالهولوكوست، ومعاداة السامية، أو الزوولوجيّة، والتي لا تنطبق على العرب، ولا ترهبهم في الحد الأدنى.

أما الناحية الأخرى، والتي لا تقل أهمية عن سواها، هي أنهم يتعاملون مع عدو قليل النسيان إلى درجة التبلد كما جاء على لسان أحد قادتهم، إذ يصعب أن تزاح مثل هذه العوامل تحت الضغط والإكراه، إن لم تزيدها تأججاً وحقداً ضدها، بسبب الخواص التكوينية البشرية والجغرافية التاريخية التي تملكها شعوب المنطقة مما يؤكد صدق ما نذهب إليه في رأينا، هو أن إسرائيل لو قامت على أرض أوروبية تحت ذات السطوة من القوة ومن الدعم الغربي، لنسي الأوروبيون مع ضغط الزمن وسياق المفاهيم السياسية الواقعية التي تتميز بها شعوب تلك الأصقاع، أو على الأقل انصاعوا لعوامل القوة الأكثر ترهيباً. كي لا يفهم من قولنا عكس ما نرمي إليه. نقول إن الصهيونية اتخذت خياراً كبيراً يفوق حجمها بكثير سواء من حيث قواها البشرية أو من حيث تموضعها، واعتمادها على تسخير الغير لتحقيق أهدافها، وقد يأتي زمن يدرك فيه المسخرون كافةً خطورة هذه المنظمة على السلم العالمي، وعلى المجتمعات الإنسانية، وعندها سينقلب ظهر المجن لها، وتدور عليها الدوائر إن عاجلاً أو آجلاً.

لذا كان من الضروري أن نلتزم سياسة التحين، سواء للسلم أو للحرب، بحيث يأتيا ضمن الإطار الذي نرغب به أن يكون منسجماً مع الحالة التي نكون عليها، بحيث لا تختفي أبداً دواعي ومسببات وجودنا القومي الذي لا يتعزز إلا بقراءة المعطي التاريخي، والاستناد إلى الموروث الذي من خلاله استطاعت أمتنا ولأكثر من مرة أن تدحر ما فرض عليها من احتلال وغزو.

وكي لا نبتعد عن موضوعنا، نعود لنذكر باستحالة استمرار الحالة الصهيونية الجبارة زمنياً، إذ يقول أحد مؤلفيهم الذين ضاقوا ذرعاً بما يواجهونه من

صعوبات جمة في عملية الاستمرار المرجوة التي يبتغون، (حيث نشر آهارون ميجد مقالاً في صحيفة هآرتس الإسرائيلية قال فيه: «إن الصهيونية تسير بفعل قوة بيولوجية خفية نحو تدمير ذاتها» ويضيف «هناك هجوم آخر على الصهيونية - من قبل كتاب إسرائيليين - ينكرون فيها وجود رابطة تاريخية بين شعبنا وأرض أجدادنا، وبالتالي فإن حق إسرائيل في الوجود هو «حق الحاجة» وينظرون إلى الصلة الثقافية الدينية والعاطفية مع هذه الأرض باحتقار شديد، ويرون أنها من الآثار القذرة التي خلفتها القومية الأصولية، والانحرافية، وحتى الفاشية»[1].

قبل عدة سنوات، صدر كتاب بعنوان «دول اليهود» لإلياهو بنيامين عدد فيه /٣٤/ مخططاً استيطانياً لليهود في أماكن متفرقة ومختلفة من العالم، وأكثرها شهرة الأرجنتين، أوغندا، ونيوكالدونيا، ومدغشقر، ويختم آهارون ميجد مقالته قائلاً: «هناك دول عربية على حدودنا لا تعترف بحقنا في الوجود، وخلال سبع سنين أو خمسَ عشرة سنة ستقوم دولة فلسطين لأن الواقع صار يفرض قيامها، لكن حتى ولو قامت علاقات سليمة، وساد التعاون، فستظل هناك عناصر متطرفة وقوية تغلي دماؤها بالرغبة في محينا عن الخارطة، ثم يطلق التحذير التالي: إن لم يهدأ هذا التيار من الشك في الذات، وإذا ما استمر إنكارنا لحقنا، فإن «شيطان» إكرمان[2] في القصيدة سوف ينتصر لأنه لن تبقى لدينا القوة لكي نكون موجودين».

يتابع ميجد مقالته شاكياً من أن التاريخ الصهيوني تعاد كتابته من قبل «مؤرخين جدد»، «وأكاديميين جدد، معظمهم إسرائيليين»، «ثم يحذو حذوهم حاقدون، يساعدون على صياغة الرأي العام من صحفيين وكتاب زوايا، وفنانين ومصورين، وممثلين». والرسالة التي يحملها المؤرخون الجدد تقول إن الأسس التي يقوم عليها التاريخ الصهيوني، ليست سوى أكاذيب، وإن «الخرافات والأساطير» حول إسرائيل يجب فضحها، وإن الصهيونية «ليست واحدة من أعرق حركات

١- صحيفة تشرين تاريخ ١٩٩٤/٨/٩ - مقال رسالة من واشنطن (ممدوح عدوان).

٢- تقول قصيدة ناثان إكرمان: «ثم قال الشيطان: كيف سأهزم هذا المحصن؟ إن لديه الشجاعة والبراعة والحيلة وأدوات الحرب ثم قال: لن اسلبه قوته، ولن اكبح جماحه، ولن اشتمه، ولن اشل ذراعه، هذا ما سأفعله: سأثلم عقله حتى ينسى ان قضيته عادلة». نفس المصدر السابق.

التحرر الوطني في التاريخ، وأكثرها عدالة، بل هي استعمار، أشد بشاعة مما سبق للإنكليز والفرنسيين، والأسبان، أن مارسوه»، ويسمي الكاتب هذه العملية، بأنها «اغتصاب للتاريخ»، ويقول إن كل مؤرخ ينتقى من أكوام حقائق الماضي، الحقائق التي تلائم هدفه، ثم يهمل ما عداها «... بإمكانك أن تدرس تاريخ النازية من معاناة الشعب الألماني من قصف الحلفاء، وغزوهم، وستكون هذه الدراسة مبنية على حقائق، منها أن الألمان قد عانوا حقاً من ذلك». ثم يضيف «أن بعض المؤرخين الإسرائيليين يقومون الآن، بطريقة مشابهة وبسعادة وثبات أن حروب إسرائيل الدفاعية، لم تكن في حقيقتها، إلا حروباً لتدمير شعوب أخرى، ويضعون لجنودنا وجوه قوات العاصفة النازية وعقليتها».. من هم هؤلاء المؤرخون الذين يفعلون ذلك، ويسمي ميجد بعضهم: بيني موريس، إيلان بين، يهو شوفان هاركابي، يوئيل مغدول، رئيف سترنهال، بيغال إيلان، باروخ كيمرلنغ، وقد قام بعض الصحفيين بإجراء مقابلة مع آموي أوز، الذي ندد بأعضاء غوش أمونيم، وقال في مقابلة أخرى شبه فيها الصمت الإسرائيلي: «الصمت الشعبي الإسرائيلي على اضطهاد الفلسطينيين، شبيه بصمت الألمان أيام الهولوكوست»[1].

إن ما توخينا قوله من خلال إبراز هذه المقتطفات من الشواهد، هو إثبات بعض الوقائع، القائلة بعدم استمرارية هذه الحركة الرجعية، وبطلان ادعائها التاريخي بقومية الشعب اليهودي، وبالحق التاريخي لهم في أرض العرب، وإن الأزمان الآتية ستثبت صدق هذا التصور، إن لم تتراجع الصهيونية عن أدلجة أفكارها القذرة في السيطرة على العالم، وسيادة شعب الله المختار، الذي حباه الله دون شعوب الأرض كافة، لتستعبد، وتسترق الشعوب والأمم الأخرى، وما الاستغواء الذي تقوم به هذه المنظمة، وتمارسه على عقول البشر، إلا ضرب من الخيال، وغير قابل للتطبيق. وجل ما سيؤدي إليه، هذا الوضع العالمي القائم، هو وصول الصهيونية إلى مرحلة تجر بها العالم إلى حروب كارثية تلحق بشعوب الأرض كافة، دون تمييز بين منطقة وأخرى. ويخطئ من يعتقد بنفسه، أنه بمنأى عن هذه الأضرار، ولا شك بأنه سيكون غافلاً مستغفلاً.

١- المصدر السابق

إن ما حدا بي لتناول هذا الموضوع، هو قلة المعلومات المتوفرة عن الحركة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي السابق، خاصة وإن الكثير منا قد تعرف إلى ذلك البلد في أوج استقراره، ولم يستطع أن يتبين، أو يلمس صدق انتماء اليهود لهذا النظام، سيما بعد اطلاعه على نشاط اليهود المنظمين في روسيا قبل الثورة، وعلى الآراء السياسية للكتاب اليهود السياسيين من أمثال جابو - تينسكي حيال هذه الممارسات، التي كانت تتم في زمن روسيا القيصرية، والسلوك التنظيمي لليهود في تلك المرحلة. لكن إذا ما حاول القارئ الاطلاع على مجمل أوضاعهم بعد قيام الثورة عام ١٩١٧، أي في مرحلة الحكم السوفياتي سيصطدم ببعض الإجابات التي قد لا تشفي غليل السائل، ولا تعطيه الصورة الصحيحة الوافية لأوضاعهم، لا سيما وأن ممارساتهم الاجتماعية والإفصاح عن أنفسهم في المراكز الحيوية، لا يتفق ولفظة الأممية التي كانت تأتي رداً على كل سؤال وتساؤل.

اعتمدنا في معلوماتنا على مجموعة من المؤلفات تناولت الحركة الصهيونية - الماسونية في ستينيات القرن الماضي، لم تتناول، أو تتطرق إلى المرحلة التي أعقبتها بشكل تفصيلي، واكتفت بالتحليل النظري الفكري دون التطرق إلى تسمية الأشياء بمسمياتها، سواء من حيث تسمية الشخصيات المنتمية إلى الحركة الصهيونية - الماسونية، أو من حيث النشاطات العملية للبعض منهم الذين كانوا يحتلون المناصب في سدة النظام، وينتمون بالحقيقة إلى تنظيمات مغايرة لسياسة وتوجه القيادة السوفياتية في ذلك الوقت، وربما كان هذا يرجع إلى صعوبة التحديد والإشارة إلى أولئك الذين ألحقوا الأذى في منظومة الحكم، بسبب السلوك العام للجانب الإعلامي السوفياتي الذي كان يبتعد عن طرح كل ما هو سلبي في السياق العملي للحياة الاشتراكية، ويكتفي بالجانب العملي الإيجابي لنتاج المجتمع، ويظهره بشكل تشجيعي للعاملين كافةً، كيما يكون الغوص في التفصيلات مولداً لحالات الإحباط والانكسار، لا سيما وأن وسائط الإعلام الغربي كانت متحينة لكل هفوة، أو إسقاط حركي اجتماعي، لتستثمره في دعاياتها المضادة.

لمحة تاريخية

تعددت مصادر البحث في الآونة الأخيرة عن الأصول التاريخية لليهودية، والماسونية والصهيونية، وتباينت في التحليل والإسناد المعرفي، لدرجة الإغراق والتمازج في ذات المفهوم، والطابع، سواء من حيث المعنى، أو من حيث الجذور الرابطة بين هذه التسميات المختلفة. وقد وردت هذه التعابير في سياق إيراد هذه المفاهيم المكونة لكل منها، وكأنها صفات لحالة واحدة تفترق في آليات ممارساتها، وتتفق في أدائها الغرض الواحد، بغض النظر عن مكانيتها وزمانيتها. وكان أبرز هذه المسميات: الماسونية - والفرانك ماسونية[1]، واليا - كونيزم، وأتباعه مثل الفوضوية، واتحاد الفوضويين العالميين، والاتحاد الديمقراطي الاشتراكي العالمي، وبعض الحركات الاجتماعية واليمينية، والتنظيمات والاتحادات المختلفة، المكتسبة الطابع نفسه، وما صاحبها من حركات سياسية، مثل حركة المنمقين، التي كانت قائمة في مقاطعة بافاريا عام ١٧٧٦ وإلى ١٧٨٤، واحتلت المكان اللصيق للماسونية، واستخدمت سلاحاً أعمى في يد القادة آنذاك، مع العلم أنها وصفت في ذلك الوقت على لسان الكاتب الاجتماعي الألماني كارل كينتسين، بأنها تسلك ذات الطريق التي يسلكها الشيوعيون.

لكن الماسونية، والتنظيمات، والاتحادات الرديفة، ما هي إلا قوى سياسة معادية للشعوب، وتحاول أن تحيل الشعب عن طريق الخداع المحكم المخطط إلى وسيلة عمياء في يدها، كما دأب اليهود منذ زمن بعيد، ومنذ انتشار طوائفهم في الاتجاهات كافة، عن طريق زعمائهم الذين يقودون الحركات المعادية للثورة، دون

١- مؤلفات كارل ماركس - أنجلز الموضوع رقم ٤١.

أن يسمحوا لليهود أنفسهم بالانضمام إلى هذه الحركات إلا بقدر ما يحقق التغلغل فيها الهدف الأساسي لهم، على غرار ما قام به البرنتس بروسكي، المتزعم لحركة التيجان الثلاثة في برلين، أو فليلهم السادس الذي أوقف نشاط حلقة «فيرفا» في مدينة كيلي بسبب انتساب اليهود إليها.

إن سعي اليهود عن طريق زعمائهم، للإمساك بزمام الثورة المضادة والتغلغل في الدوائر الماسونية، ما هو إلا تعبير عن الطبيعة الأيديولوجية لهذه التنظيمات والحركات المعادية للشعوب، بأشكال مختلفة لتحقيق فكرة سيطرة المستغِلين على المستغلين، أي بما معناه، عبادة النبوغ، أو عقيدة سيادة الأشراف والحكماء الذين احتبتهم الطبيعة على المضطهدين الذين يمثلون العبيد «الغوييم» بما يتوافق - حسب تعبيرهم - مع (قوانين الطبيعة الأبدية» التي هي بحد ذاتها جوهر حكمة المنمقين والفرانك - ماسونيين.

ليس أدل على ذلك، من تلك المساهمة السياسية للماسونية الفرنسية أيام حصار باريس من قبل قوى فرساي، حيث شارك الماسونيون بشكل إفرادي في نشاط الكومونة مشاركة فعالة، وكانوا من عداد الوفود البرجوازية التي توجهت إلى قائد القوات الفرسالية المضادة للثورة تور تطلب منه إيقاف الأعمال القتالية.

تؤكد الحقائق تلك الأسس العميقة لتحليل ودراسة تكتيك الماسونيين الذين يعملون على التغلغل داخل التيارات والحركات السياسية، سواءً، اليميني المتطرف منها ليساري الثوري المتحمس، بهدف زرع العملاء وإخضاعها قدر الإمكان لسيطرة القيادة الماسونية. فلا غرو بعد ذلك أن نجد الماسونية متبدلة الأطوار تبدو من حيث الفعل الظاهري وكأنها ذات طبيعة يسارية، مثلما تجلى في تلك المكانة التي احتلها الماسونيون في تغلغلهم في قيادة رابطة العمال العمالية (الكومونة الأولى)، وداخل الاتحاد الاشتراكي - الديمقراطي السري، وشكلوا في داخل الكومونة ذاتها تنظيماً سرياً قام على تركيز قواهم، ليس ضد الدول البرجوازية، إنما ضد الكومونة نفسها[1]. وقد قامت لجنة مؤتمر

١- مؤلفات كارل ماركس ص١٧ ـ ث

الكومونة الأولى المنعقد في كاسل، باستخلاص النتائج الدقيقة من خلال استعراض الوثائق، التي بينت نشاط هذا التنظيم السري، داخل الكومونة، حيث ورد في تقييمها «أمامنا جماعة تقوم وتحت لبوس الفوضوية المتطرفة، بتوجيه ضرباتها، ليس ضد الحكومات البرجوازية، إنما ضد الثوريين، الذين لا تُقِر بقيادتهم، وإن هذه الفئة البرجوازية التي برزت في المؤتمر قد تجسدت ظاهراً، ودخلت في صفوف الطبقة العمالية العالمية، محاولة الإمساك بزمام القيادة في أدنى الحالات، وإن لم تفلح، تعمد إلى تقويضه. هذا وقد قامت هذه الجماعة باستبدال برامجها الطائفية، وأفكارها المحددة ببرامج أكثر شمولية، لتحوز على بلوغ الهدف من خلال تشكيل قطاع سياسي سري صغير داخل التنظيم الأكبر، يمتثل لأوامر وتوجيهات منسقة تؤدي في النهاية إلى السيطرة على الكومونة»[1].

نلاحظ هنا، كيف أن القناع الماسوني الفوضوي تستر بالثورة المضادة، حيث انحل الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي العاهل في مدينة جنيف علناً وبشكل كامل في جسد الكومونة، على الرغم من أنه من حيث الأساس يحتوي على قاعدة برجوازية، وكان في قوامه تنظيماً عالمياً خاصاً، ولجنة مركزية، ومكتباً قومياً، ومجموعات تدعو إلى مؤتمرها الخاص، وتستر وراء هذا الاتحاد العلني اتحاد آخر أكثر سرية، سمي باتحاد الأخوة الأُمميين الذي تضمن دستوره ثلاثة مستويات منها: الأخوة الأممي، والأخوة القومي، وتنظيم نصفه علني ونصفه سري دُعي بالاتحاد الاشتراكي الديمقراطي العالمي[2].

تمكن قادة هذا الاتحاد العلني من إلحاقه بالكومونة، بعد حله واندماجه في جمعية العمال العالمية، لكن هذا الحل لم يكن حقيقياً، إذ تمكن مع مرور الزمن من استغلال الكومونة عام ١٨٦٩، وتخفى وراء فروعها في جنيف، وفي نابولي، وبرشلونة، وليون، ويور، الأمر الذي، لم يمكن قيادة وأعضاء الكومونة

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق ص ٣٤٣.

من لحظ مثل هذه التنظيمات الفرانكو - ماسونية، ولم يشكوا أو يرتابوا في وجودها، واتخذت هذه التنظيمات أسماءً مختلفة، ففي أسبانيا، اتخذت شكل جماعة سرية من الفرانكو - ماسونيين، فيها درجات من إيداع الأسرار، وفي جنيف: المكتب السري للاتحاد، وفي باقي المدن: التنظيمات السرية للاتحاد، وعلى الرغم من مقاومة قادة البروليتاريا العالمية في تلك الآونة، لمثل هذه المحاولات، تمكنت هذه الجماعات من نشر النشاطات التخريبية في صفوف الكومونة، وإلحاق الأذى بها كحركة ثورية عالمية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى إيقاف نشاطها، وحلها بناءً على قرار المؤتمر المنعقد في فيلادلفيا في حزيران عام ١٨٧٦.

كثيرة هي المشاكل التي تواجه دارسي ومتقصي الماسونية، إذ إن الصعوبة تكمن في الكشف والإبانة عن الدور الرجعي الماسوني في تاريخية الحركة العمالية العالمية، ولقد ظهرت العديد من المطبوعات منذ الخمسينيات وحتى الآن في الاتحاد السوفياتي السابق، حيث كان البحث يرتكز بشكل دائم على إيجاد العلاقة الكامنة القائمة بين الماسونية والصهيونية، واليهودية، لا سيما أن أكثر القضايا الجوهرية تتركز في ماهية تفنيد مزاعم الإعلام الغربي، حول الماسونية، واعتبارها حركة خيرية حضارية تعنى بالتطور الأخلاقي لأعضائها، بينما هي في الحقيقة لم تكن إلا حركة تلفقية وظاهرة رجعية «حافظت على وجودها عن طريق حلقات الكنائس الكاثوليكية»[1]. عن طريق الترويج الإعلامي المخطط المبني على التلقين المشوه في الصحافة الغربية التي مكنت الماسون من أن يختطوا لأنفسهم طريقاً ثابتاً في السيطرة على عقول الجميع، وإيهام المجتمعات البشرية بأنها ما هي إلا رديف إنساني اجتماعي يقاوم كل ما من شأنه أن يعد نظاماً رجعياً سلفياً، خاصة إذا علمنا أن الكثير من المفكرين الكبار كانوا من عداد أعضاء هذه الحركة مثل: فولتير ديدور، كيينغ، غوته، فيخته، كايدن، موتسارت، وشخصيات الثورات البرجوازية أمثال: روبسبير، مارات، ميرابو،

١- مقالة للأكاديمي ي، ن مينتس - تحت عنوان «تحولات في الأسطورة الماسونية».

بيتون، كوندرس، ديمولين، وآخرين من الوجوه الشهيرة التي تعطي انطباعاً عن أن الماسونية حركة تطورية تقدمية يسارية، توهم من خلال مشاركة هذه الشخصيات فيها بأنها تسعى إلى تحقيق مصالح الطبقات الدنيا، بينما هي في الواقع، تقوم باستجرارها إلى صفوف البرجوازية الراديكالية التي كانت تناضل كما يقول أرنست هنري - من أجل الوصول إلى الحكم، وتجاوز تأثير الإقطاعية والملكية، وحركة النبلاء، وطبقات الضباط المنتمين إلى تلك الأنظمة، والمتحمسين إلى الكنيسة الكاثوليكية، والطبقة الألكريليكية، التي كانت تمانع في إنشاء المصارف اليهودية، ومد خطوط السكك الحديدية، واستخدام المعدات الصناعية، الأمر الذي يؤكد حقيقة واحدة، هي أن الغرض الماسوني في مناهضة ما هو قائم من نظام إقطاعي، والانتقال إلى النظام البرجوازي، ما هو إلا شبه متلازمة لتمثيل حالة الانفلات والانعتاق من حكم السلالة الوراثية، واستلام زمام الأمور من قبل البرجوازيين الصناعيين الذين يتقاربون مع طبيعة رأس المال المحمول الذي كان يدار من قبل البنوك اليهودية التي لم تكن تهتم إلا بمظهرية الدعوة إلى التقدمية واليسارية، واحتواء الطبقة الفقيرة، وإيهامها بالشعارات، والسيطرة عليها وعلى منحى تحركها، وإخضاعها لسلطانها حتى تغدو عملية وصول الشخصيات الحاكمة، غير متطلبة إلى إرثية الحسب والنسب، وتسهل عندها آلية السيطرة على عدة أشخاص بوسائل الإغراء بالمناصب، والاستمرار فيها، وتفريغ المفاهيم من مضامينها الأساسية، وقلب ظهر المجن لكلٍّ ما يطرح من مبادئ مستهجنة تتحمس لها في البداية، وتنمّيها وتفعّلها حتى يتسنى لها الحضور القوي في تأجيجها ريثما يتم استثمار عملية التعبئة البشرية اللازمة، ومن ثم تعمل على تيئيسها من جديد عن طريق إغراق قيادييها في لجة الانحدار والانزلاق وراء المصالح الذاتية، وربطها بعجلة السيطرة المبيتة، حتى يخرج الخط الفكري المتبع عن صوابيته، ويغدو حالة التباس جديدة على مجموع الكم البشري الذي كان قد آمن منذ البداية في صدقية تلك الأفكار والمبادئ، مما يعمق ويزيد شعور الإحباط والارتماء للتسليم، والارتهان لما هو كائن كحالة أمر

واقع لا مفر منه، ولتمرر خلالها ما تريد من أفكار أكثر حدة وتعرية وتجريداً من قيمتها الفكرية المثلى، وتكسبها عناصر العملانية النفعية، بينما تكون قد جعلت من أتباعها الذين يغلب عليهم طابع العمل في مجالات العلوم، والأدب، والفنون، دعاة ملفقين لتصورات مغلوطة عن أن الماسونية تعمل على تحقيق أهداف سامية تكتسب لبوس التجدد الأخلاقي.

لا شك أن للصهيونية أسراراً يتم التكتم عليها بتحرز كبير، إلا أن للماسونية أسراراً تتوارى، ويقوم قيِّموها على إخفائها بصورة أكثر عمقاً قياساً بالأولى، ويعطى لأولئك «اللا مطّلعين» جوهرٌ تزويقيٌّ تزويريٌّ مشوّهٌ ومغلفٌ بعدد كبير من الأقنعة، لدرجة تضحى فيها عملية اختراق أسرار الماسونية أكثر صعوبة من اكتشاف الدوائر المخابراتية كما يقول الكاتب السوفييتي أرنست هنري[1]، حيث ينحصر همها الدائم في توحيد الشخصيات «خيرة العقلاء من اليهود» كالرأسماليين، والحكوميين، والسياسيين والصحفيين، والعاملين في الدوائر العلمية، إضافة إلى ضرورة إشراك ممثلي العائلات اليهودية الغنية الكبيرة، مما يجعل الماسونية تنظيماً طائفياً يشترك مع الصهيونية في حمل المفتاح الديني وجوهره الأساسي، لتبدو في أعين الآخرين، وكأنها حالة أممية تشبه اتحاداً عالمياً لليهود الذين يعيشون في البلدان المختلفة من صناعيين، ورأسماليين وسياسيين، وشخصيات دينية، وليس أدل على هذه التركيبة أكثر من بنيويّة القيادة العليا لـ «بناي بريت» التي تعتبر مثالاً حيوياً تشمل في صفوفها كل هذه التشكيلات الاجتماعية اليهودية. وإذا ما طرحنا على سبيل المثال، إحدى هذه الشخصيات القيادية، نرى أن المحامي الصناعي بييرزينغ يشغل منصب معاون رئيس التنظيم المذكور لشؤون رابطة مكافحة الطعن والتشهير، بالإضافة إلى أنه عضو قيادي في إحدى التنظيمات اليهودية المستقلة التي تدعى «الاتحاد العالمي لعموم الصهاينة»، وكذلك هو في نفس الوقت عضو قيادي في الجمعية المكسيكية - الأمريكية لأصدقاء إسرائيل، وعضو في تنظيمات

١- ارنست هنري - الماسون الحكم الذي لا يرى - الصحفي ١٩٨١ ص ٦٨.

صهيونية أخرى. ولا يقتصر الأمر على شخصية معينة، بل على شخصيات كثيرة ومتعددة في الدول، التي يمركز فيها اليهود نفوذهم الاقتصادي، والسياسي - الاجتماعي.

يضم هذا التنظيم «بناي بريت» قرابة خمسمئة ألف من ممثلي الروابط اليهودية، وهذه خاصة عملانية تجعل من التنظيمات «الصهيونية - الماسونية» شبكة متشابكة ومعقدة تمارس المكانة القيادية، وتمول الخدمات المتناسقة للصهيونية العالمية، مع السهر على تحضير الكوادر اللازمة لقيادة تلك التنظيمات العاملة في أكثر من أربعين بلداً، وتشكل أكثر من أربعة آلاف حركة ناشطة في المجال العالمي، عدا عما يلحق بها من تنظيمات شبابية تعد قرابة ٢٤٠٦ تضم الشباب من الذكور والفتيات، ويسمح لهم في نفس الوقت أن يدخلوا في صفوف أيّ أحزاب سياسية، أو أيّ تنظيمات أخرى. وهذا ما ينطبق على كافة أعضاء الحركة الماسونية، حيث يتغلغلون في صفوف الأحزاب السياسية، ويحدوهم الأمل في أن يخضعوها لأهدافهم، دونما نسيان المصلحة العليا للماسونية.

تواجه عملية التقصي للماسونية صعوبات جمة، لما ما فيها من إرباك وخلل كبير في التناقضات لأسرار هذه الحركة، على الرغم من أن هذا التقصي في حد ذاته يحمل حيوية فائقة قد تكتسب عناصر دلالية وأهمية كبرى، على الرغم من ما يعتريه من عقابيل تجعله غير ملم بالمعلومات الكافية، والكاملة لتشكل موضوعاً ذا أهمية نسبية لدى الكثير من المثقفين في العالم الذين لا يعيرون الاهتمام الكافي لتعرية هذه الحركة، إما بسبب التغافل المقصود، أو نتيجة عدم الإلمام من قبل المراكز البحثية، بإبراز الحوادث التاريخية المعينة التي يقوم أعضاء الحركة على إخفائها، بسبب ما تحمل من أسرار سرية تجعل المؤرخين يحجمون عن الخوض في هذا الخضم، باعتباره يحمل الكثير من الغموض والخلط، والتشويه والأكاذيب، التي قد تُغرق المتتبع دون دراية منه، في لجة التهويل والتضخيم، اللذين قد يصبان في النهاية، في خانة المصلحة الذاتية، لتلك الحركات، في أن تبدو غولاً، لا تعرف غوائله وأسراره، أو قد توقعه في حالة من

المخاطرة، التي لا تستطيع الدول ولا المجتمعات أن تحميه منها، لما ما تحمل هذه الحركات من حالات استشراء وتغلغل داخل كيان المجتمعات، تندفع بشكل شرس ومروع ضد كل من تسبب في إبراز عوامل الشك، وتتخذ إجراءات حيال كل داعٍ فعال لتغيير واقع ما تجعله عرضة لأن يُضعف من قبل الآخرين كحالة التباس اجتماعي تتعدد مشاربه، وتختلط أوراقه في أروقة المغالاة في النقد وتحييد المآرب.

الصهيونية في روسيا

مرحلة ما قبل الثورة[1]

ظهرت المطبوعات والمؤلفات الكثيرة التي تتحدث عن هذه المرحلة، لما كان يسود في الأوساط الاجتماعية اليهودية والصهيونية من تذمر جاء على لسان مؤلفيهم، في محاولة منهم لطرح أفكارهم معتمدين على استغلال ظاهرة العداء لهم، وتعرضهم للاضطهاد قبل المرحلة الأكتوبرية، مغيبين في طيات مطبوعاتهم ذكر أيّ ومضة من ومضات الحقيقة، أو حتى الاقتراب منها، على الرغم من ما أظهرته اللوائح الإحصائية للإمبراطورية الروسية عام ١٨٩٧ من حقائق دافعة عن وضعهم الاجتماعي الحسن في تلك المرحلة، حيث كان عددهم في تلك البلاد قرابة /٥٢١٥٨٠٠/ يهودي (تفوق نسبتهم جميع اليهود في دول العالم)[2]، إذ يقارب هذا العدد نصف عددهم في العالم كله، والذي كان بحدود عشرة ملايين ونصف المليون، منهم ثمانية ملايين يعيشون في أوروبا كلها، وكان مجموع العمال اليهود الروس قرابة /٥٠٠٠٠/ خمسين ألفاً يعملون في الصناعات الخفيفة والثقيلة، أي نسبة ١٪ لمجموع السكان اليهود القاطنين في روسيا، وكان عدد ملاك الأراضي (أو مستأجريها) قرابة ٤٪، وبلغت نسبة من يعيش منهم في المدن ٩٣,٩٪ ٧٥٪ منهم يعملون في التجارة وممارسة الحرف[3]. ويوجد في القوام التعدادي اليهودي كثير من المستثمرين، حيث كان في مدينة بطرسبورغ وحدها في بداية القرن العشرين من مزاولي مهنة التجارة (الفئة الأولى) ٤١٤ يهودي و١٨ مسيحي، أما على الأراضي

١- المعلومات من كتاب الصهيونية والماسونية - رومانينكو - إصدار عام ١٩٨٦.

٢- يوري إيفانوف - احذر الصهيونية ص ٢٧.

٣- ل. فاستكوف - النشاط الصهيوني المعادي للشعب الروسي - مسائل تاريخية ١٩٧٣ الجزء الثالث ص ٢٣.

الإمبراطورية بلغت نسبتهم قرابة ٥٥٪ من مجموع محترفي التجارة (الفئة الأولى والثانية من كبار الشخصيات صاحبة التمويل التجاري البرجوازي)[١]، كما وجاء في النشرة اليومية الصادرة في فارصوفيا عام ١٨٨٢، أن الرأسماليين، مالكي العقارات والبناء والتجار يشكلون نسبة ٣٨.٨٪ من مجموع اليهود، أما عدد المسيحيين العاملين في نفس المجال يعادل ١٢.٩٪، وفي عام ١٨٨٦ بلغ عدد من اشتغل في التجارة في فارصوفيا من المسيحيين (٧٨٦٧)، ومن اليهود (٣٢٢٨٥)، أي نسبة ٩١٪ من مجموع مالكي مؤسسات المشروبات الروحية، أما المتعهدون، بلغ عدد المسيحيين منهم (٢٤٤) ومن اليهود (٣٥٨)، والسماسرة (٢٤٧) إلى (٦٩٦٦) أي نسبة ٩١٪، وتجارة العملة /١١٠/ إلى /٧٤٨/ أي (٧٠٪). ومن مالكي المؤسسات الصناعية القيصرية البولونية عام ١٨٨٠ قرابة (١٩٨٥٧) منهم (١٤٨٩٣) من اليهود (٧٠٪)[٢]، وبلغت نسبتهم ٦٠-٧٠٪ من تجار السكر، الأمر الذي يؤكد وجود عدة طبقات برجوازية يهودية روسية، ومنها البرجوازية الثقافية، لكن السيطرة على اليهود كانت في يد طبقة التجار.

لقد برزت قبل الثورة الشخصيات الرأسمالية صاحبة النفوذ الكبير، مثل التاجر والصيرفي «إينزل كينزبرغ» نجل كوراتسي كينزبرغ - المؤسس الأول، والمالك لمناجم الذهب في لينسكي، التي مورست فيها التنكيلات الدموية على المظاهرات العمالية في عام ١٩١٢[٣]، كما وجدت الشخصيات الرأسمالية من أمثال: كالبيرن، وبروسكي، وإيتزغير، بولياكوف، الذين مثلوا الطبقة اليهودية المستغلة.

أحدثت في روسيا عام ١٨٨٠ «إمبراطورية روتشيلد» التي تقاسمت مع شركة نوبيليه احتكار استخراج وتكرير وتسويق النفط الروسي، وبقي آل روتشيلد يحتلون المركز الطليعي في تصدير النفط الروسي، وقامت فيما بعد الشركة الإنكليزية - الهولندية باحتكار ممتلكات المركز الباريسي، المصرف الأول لآل

١- ل. فاستكوف - المصدر السابق ص ٢٣.

٢- أ. مالشكوف القومية العنصرية - أيديولوجيا سياسية امبريالية ص ٦٣.

٣- من تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي - الجزء الثاني - دار بالبت زدات ٩٦٦ ص ٣٨١.

روتشيلد، ومصافي تكرير النفط، والمؤسسات التجارية في روسيا عام (١٩١٢)[١]، وحاول الرأسمال الأجنبي ليس الاستيلاء على النفط الروسي فحسب، بل وتحويل روسيا إلى مستعمرة، وهدد الاستقلال الوطني، لو لم تُحدث في روسيا هيئة المراقبة على الثروات، واشترك فيها وكلاء روتشيلد وبلينجردير.

مما لا شك فيه، أن هذه الفعاليات الاقتصادية تلازمت عملياً مع التنظيمات الصهيونية، ولا سيما القيادات القابعة في البلاد الأجنبية، ومارست على التنظيمات الصهيونية في روسيا الإشراف والسيطرة، وقد أرسلت هذه التنظيمات إلى صندوق (التنظيم الصهيوني العالمي) أموالاً يقدر مجموعها بالمارك الألماني (٢٣٧٢٨٤٨٣)، فيما تلقى الصندوق من اتحاد الصهاينة الأمريكيين ما مجموعه (١٤٣٧٤٠٥٠) فقط، ومن الصهاينة الإنكليز (١٨٨٦٢١٤)[٢]، مما حدا بالكتاب الصهاينة إلى الإشارة إلى هذه السيولة النقدية، والنظر إليها بعين التقدير «إن أكبر الدخول على الإطلاق كانت من روسيا»، وقد برز هذا التأثير الصهيوني في روسيا، ليس بسبب الأموال الكثيرة المحمولة إلى الصهيونية العالمية، بل بسبب ما كان لتلك الصهيونية من وجود كبير قبل مؤتمر الصهيونية الأول (١٨٩٧) بوقت طويل، الأمر الذي يدل على التأثير الكبير للتنظيمات البرجوازية الصهيونية في تشكل وتكون جذور الصهيونية الروسية التي كانت قد ظهرت في روسيا في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر على شكل فروع للأخويات اليهودية - الماسونية «لبناي بريت» التي كانت قد تشكلت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٣، وفيما بعد تشكل فرع «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» في فرنسا تحت حماية آل روتشيلد عام (١٨٦٠)[٣]، عدا عن بعض التكونات الأرستقراطية اليهودية - الرأسمالية التربويّة المختلفة، التي تغلغلت في الإمبراطورية الروسية (السمسرة الوسيطة المغلقة) المرتبطة بالدوائر الأخرى في الدول الرأسمالية القديمة منها والجديدة على امتداد كرتنا الأرضية، قبل منتصف القرن التاسع عشر على شكل تحالفات وأخويات ذات طابع ماسوني[٤].

١- ف. ي. يوفيكين - النفط الروسي وروتشيلد - مسائل تاريخية ١٩٨٧ رقم ٤ ص ٢٧.

٢- يوري إيفانوف - حذار الصهيونية ص ٢٦٠.

٣- الأيديولوجية والتطبيق للصهيونية العالمية ص ٢٠١.

٤- المصدر السابق ص٢٠٤.

من هنا يبرز دور الصهاينة في تحويل أجهزة وإدارات الجمعيات اليهودية إلى تنظيمات سياسية. إذ يذكر (برافمان)[1]: «إن هذا الاتحاد (الاتحاد الإسرائيلي العالمي)، هو في الواقع ليس مركزاً سياسياً عنصرياً، .. فالغاغال اليهودي العالمي يعمل في مجالات أكثر اتساعاً، إنما بنفس ذلك الاتجاه الذي يلزم كل غاغال مليء أن يعمل ضمن حدود الإمكانية المتوفرة لديه»[2]، إلا أن أكثر المعلومات تفصيلاً عن التنظيمات الصهيونية في روسيا التي عملت قبل أن تتوحد التكونات السياسية للبرجوازية اليهودية في تنظيم «الصهيوني العالمي» أوردها يفسييف: «عمل عام ١٨٦٣ في مدينة بطرسبورغ، الفرع الروسي «للاتحاد العالمي للإسرائيليين» الذي تستر تحت يافطة «جمعية نشر التعليم بين يهود روسيا»، وتعاونت هذه الجمعية مع جمعية «بناي بريت» و «الرابطة اليهودية الإنكليزية»، ومع التنظيم اليهودي الموجود في ذلك الوقت في روسيا «أحباء صهيون» الذي كان يمثله فرع في مدينة بطرسبورغ وموسكو، وفي عدد من المدن الأخرى في روسيا، وبلغ عدد التنظيمات الصهيونية في عام ١٨٩٨ قرابة ٣٧٠ تنظيماً وجمعية وأخوية.

لقد قام «الاتحاد العالمي للإسرائيليين» بالنشاطات المحمومة في الأوساط اليهودية الروسية، وزاد انتشار هذه التنظيمات بين عامي ١٨٧٠-١٨٨٠، حيث كان يعمل آنذاك التنظيم الصهيوني «أبناء موشى» عبر فروعه المنتشرة ليس في روسيا وحسب بل في النمسا، وهنغاريا، وألمانيا، وفرنسا وانكلترا وفي عدد من مدن الشرق الأوسط، وارتبطت جمعيتا «أبناء موشى» و «أحباء صهيون» وبعض الجمعيات الأخرى في روسيا في ذلك الوقت «بالاتحاد العالمي الإسرائيلي»[3]، وقد قام هذا الاتحاد بغية التغلغل في روسيا، وإقامة الاتصال مع الصهاينة الروس بشكل عام، والاتصال مع الدول المجاورة لروسيا مثل هنغاريا، ألمانيا والنمسا، بإحداث قرابة ٤٠ لجنة محلية من أراضي الإمبراطورية الروسية، تحت قيادة أعضاء الاتحاد

١- يا. برافمان - كتاب الغاغال (المسألة اليهودية العالمية) ١٨٨٢.

٢- من كتاب أ. مود جوريان - الصهيونية شكل من اشكال العنصرية، والتمييز العنصري - العلاقات الدولية ١٩٧٩. ص٥٤-٢٥

٣- الصهيونية العالمية بين النظرية والتطبيق ص ٢٠٣.

الإسرائيلي: برامبرغر، رافين كينزبرع، زاندبرغ، رافين ليغينتس، واستطاعت من خلال وجودها على طرية الحدود الروسية، أن تحقق الكثير من المهمات التي أوكلتها إليها القيادة الباريسية، خاصة بعدما قاموا بإنشاء وحدات ومراكز متصلة على طول الحدود في روسيا، الأمر الذي سهل حرية العبور والانتقال، مما خالف عملياً استقلالية الدولة الروسية، وخرق سيادتها تحت اسم تنفيذ البرامج الصهيونية، بما فيها غرس العلاقات العدائية لروسيا، وممارسة التهريب، وتجنيد العملاء من مختلف الوضعيات الاجتماعية[1].

استمرت التنظيمات الصهيونية بنشاطها السياسي التنظيمي في روسيا، حتى في تلك المرحلة التي أعقبت انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧ (آب)، حيث تم بناءً على قرار اللجنة التنفيذية «للتنظيم الصهيوني العالمي» إحداث الفرع الروسي لهذا التنظيم، وراحت تظهر التشكيلات التنظيمية طبقاً لما جرى في بلدان العالم، وبرزت قيادة موحدة من شخصيات ظاهرية مغايرة، إلا أنها تختلف في جوهرها عن التنظيمات الصهيونية «تسييري صهيون» و «كارودنيا» و «خاشميرخاتسيار» و «باتير»، و «حزب الأرض اليهودي» وحركات أخرى[2]، وقد طال تأثيرها الجزء الأكبر من السكان اليهود، ليس في الجزء الأوروبي فقط، بل امتدت إلى سيبيريا، ووسط آسيا، والشرق الأقصى، والمناطق الأخرى، وقد قُسِّمت «الإمبراطورية» إلى اثنتي عشرة دائرة، يدير كلاً منها نائب يملك صلاحية تنفيذ وظيفة «التنظيم الصهيوني العالمي»[3]. وأولى الصهاينة الاهتمام الكبير لاستقطاب العمال اليهود وتم تحت إشراف عضو اللجنة التنفيذية «التنظيم الصهيوني العالمي» س. روزنباوم، عقد مؤتمر «الحلقات العمالية» في مدينة مينسك (روسيا البيضاء)، وأصدر خطة عمل للتنظيم المركزي يلتزم فيها بتنفيذ رغبة القيادة الصهيونية في توحيد التنظيم العمالي الصهيوني، تنظيماً موحداً يطلق عليه تسمية «بوالي صهيون»[4]، ومن ثم

١- ي. س. يفسييف من تاريخ الصهيونية في روسيا القيصرية - مسائل تاريخية ١٩٧٣ رقم ٥ ص٦٠.

٢- ف. بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ١١.

٣- يفسييف - تاريخ الصهيونية في روسيا القيصرية - مسائل تاريخية ١٩٧٣ رقم ٥ ص٦٨.

٤- مالشكوف - القومية المتعصبة - أيديولوجية وسياسة امبريالية ص ٦٥.

شارك ممثلو هذا التنظيم في المؤتمر الخامس «للتنظيم الصهيوني العالمي» المنعقد في كانون الأول عام ١٩٠١ في مدينة بازل.

تابع هذا التنظيم عام ١٩٠٤-١٩٠٦ خطواته التوحيدية، حيث اتحد جزء كبير منه مع «حزب العمال الصهيوني الاشتراكي» الذي اعتمد في أهدافه على البرنامج الصهيوني. وفي عام ١٩٠٥ تشكل «حزب العمال اليهودي الاشتراكي»، وانطلقت هذه الأحزاب بشكل أو بآخر من مسائل تكتيكية كانت في جوهرها صهيونية بحتة، ويضيف المؤلف: «إذا كان السربيون (حملة المنجل) قد انضووا تحت جناح الآيسيرين، فإن البونديين تخفوا تحت الماركسية»[1]. وبعد قيام ثورة شباط، تم توحيد «حزب العمال اليهودي الاشتراكي» مع «حزب العمال الصهيوني الاشتراكي» أو «الصهاينة الاشتراكيون» في «الحزب العمالي اليهودي الاشتراكي الموحد»، الذي يعتبر أيضاً تنظيماً صهيونياً متستراً تحت الاشتراكية والعمالية، بينما هو في الواقع مرتبط مع «التنظيم الصهيوني العالمي»[2].

احتل «حزب العمال اليهودي المستقل» مكانة خاصة بين الأحزاب الاشتراكية الصهيونية في روسيا، وكان قد أنشئ هذا الحزب عام ١٩٠١، وبقي مستقلاً حتى اندمج مع الأحزاب الأخرى، لا سيما وأنه صار معروفاً في أوساط التنظيمات الثورية التي كانت تعمل في ذلك الوقت بشكل سري. إلا أن هذا الحزب كان عملياً قد تشكل تحت إشراف فعلي وبسعي من رئيس فرع الجاندرما والحراسة: المقدم س. ن. روباتف، وبمشاركة من الصهاينة فيلبوشيفيتش تشمبريسكي، وكولد برغ، وفولين.

وردت بعض المعلومات التفصيلية عن هذه التنظيمات، التي أشرفت على تأليفها قوات الحراسة في العديد من مؤلفات مالشكوف، ويفسييف، وسيميونك، وفي العديد من المؤلفات السوفياتية الأخرى، حيث بينت جميعها الهدف من تشكيل التنظيمات، وهو زرع العملاء في أوساط الحركات والمنظمات الثورية السرية بغية تسهيل الإمكانية للبوليس القيصري بإلقاء القبض على المناضلين الثورين، وإلحاق الضرر والأذى

١- المصدر السابق ص ٦٨-٦٩.

٢- الصهيونية العالمية بين الايدولوجيا والتطبيق ص ٢١٢-٤٠.

بالحركات التحريرية، وكان من تلك التنظيمات المشبوهة «نيربوتسيف» التنظيم البوليسي القيصري، و «ازيفا» و «غيرشوني» وغيرها من الوكالات العميلة الشريرة التابعة للبوليس القيصري، وساهمت جميعها بنشاطات مختلفة ومتنوعة أدت إلى تسليم مجموعات كبيرة من الثوريين الطليعيين البارزين إلى الحكم القيصري، ليلقوا أحكاماً بالأشغال الشاقة، أو يرسلوا إلى المنافي، أو ليلاقوا حتفهم.

برع الصهاينة في استخدام السياسة التنكرية، وتلونوا بلون تلك الأحزاب التي تسللوا إليها، ومن أكثر الأمثلة إيفاءً للغرض، تلك التعمية السياسية والنشاط السياسي الفائق بعد ثورة شباط عام ١٩١٧، إذ إن هذه الثورة «فتحت أمام البرجوازية اليهودية - الاقتصادية الإمكانية الفائقة لتوسيع وتقوية عملية استغلال الشعب الروسي، ومنحت الصهاينة فرصة إدارة وتوجيه الحكومة[١]» حيث تصدّر صحيفة «الأسبوع اليهودي» الصادرة في ١٤ آذار عام ١٩١٧ عنوان يقول: «إن مستقبل أوروبا الآن أصبح في أيدينا»[٢]، وأشير في المنشور رقم (١) للجنة المركزية (التنظيم الصهيوني في روسيا) إلى أن هذه الحكومة فتحت لنا «عصراً جديداً». وورد في وثائق المؤتمر السابع للصهيونية العالمية المنعقد في ٢٤-٣٠ أيار عام ١٩١٧ في مدينة بيتروغراد: بعد أن أوليت الثقة لهذه الحكومة المؤقتة التي «يمكن اعتبار أنها أتت لصالح قوتنا، وتأييدنا»، إلا أن هذا التلون لم يمنع المؤتمر من أن يتخذ القرارات التي تشهد على الأهداف الصهيونية الأنانية الضيقة، وعلى إصرارهم الثابت، لبلوغ أهدافهم الخاصة مضاعفةً، وفي مطالبة المؤتمر «أن يمنح اليهود «حق الإدارة الذاتية في كافة الأقاليم»، وذلك بإحداث مجالس يهودية محلية مركزية لتلك الإدارة الذاتية - (فادا) تحت قيادة آلفاد المركزي الذي سيكون بمثابة جهاز حكم على جميع اليهود في البلاد[٣]، وطالب آلفاد الروسي «بحق الاتصال مع الدوائر والتنظيمات اليهودية في الدول الأخرى، وأن يكون لها الحق في إحداث ميزانياتها الخاصة، ونظامها الصحي، وحق ترحيل السكان اليهود وتهجيرهم إلى خارج

١- فد يا. بيكون - الصهيونية العالمية - عدو السلام والتقدم - مينسك - المعرفة ١٩٨٠ ص ٥.

٢- نفس المصدر السابق ص ٨.

٣- فاستكوف ل. - النشاط الصهيوني المعادي للشعب الروسي - مسائل تاريخية رقم ٣ ص ٢٧.

الحدود حسبما يرون ذلك ضرورياً، الأمر الذي لا يعني المخالفة الصريحة لسيادة الدولة الروسية، بل قيام «دول خاصة» في إطار الدولة الروسية القائمة، ويعيش اليهود في تلك الحالة حسب قوانينهم الخاصة، وتحت قيادتهم[1].

اتخذ المؤتمر السابع للتنظيم الصهيوني في روسيا ميثاقاً يدخل بموجبه التنظيم الصهيوني الروسي في قوام «التنظيم الصهيوني العالمي»، ونص الميثاق على اعتبار الجهاز القيادي الأعلى لهذا التنظيم هو اللجنة التنفيذية، وقسمت البلاد إلى مناطق، يدير كل منطقة لجنة مناطقية كانت قد انتخبت في قوام اللجنة التنفيذية، تلك الشخصيات الممثلة للبرجوازية اليهودية الثقافية: يو. د. برو - يسكوزا، وغ. س. غيبشفيسن، وأ. د.، وأ. ي. ايدلسنوف، ول. م. كابلان، وي. أ. روزوف وآخرون، وتوجه الصهاينة بطلب إلى وزير الدفاع كبرتوسك يقترحون فيه تشكيل قوات مسلحة خاصة بهم داخل الدولة الروسية «الفيلق اليهودي»، بحيث يبلغ تعداده مئة ألف جندي وضابط، على أن يعمل هذا الفيلق تحت الراية الصهيونية «التي أصبحت فيما بعد علماً لدولة إسرائيل»، مما يدل بشكل قاطع على أن هذه الظواهر كافة إنما هي ممارسة حقيقية لفكرتهم في «إحداث دولة خاصة بهم في إطار الدولة الروسية».

تزايد النشاط الصهيوني السري في المرحلة الواقعة بين ثورة شباط وثورة أكتوبر، وبلغ عدد منظمي الحركة الصهيونية قبيل شباط عام ١٩١٧ قرابة ١٨ ألفاً، أما في أيار من ذلك العام ١٥٠ ألفاً، وفي الخريف من ذاك العام قرابة ٣٠٠ ألف، واستمرت اليهودية في تعاونها مع الحكومة المؤقتة المعادية للثورة بشكل كامل، واستحوذت على حرية العمل المطلق: «إننا نثق بالحكومة المؤقتة - حسب ما طرح زعيم الصهيونية في ذلك الوقت - إذ تستطيع أن تعتمد على دعمنا الثقافي».

رغم ما أوردنا من معلومات، فهي قد لا تشكل إلا الجزء اليسير من مجمل الممارسات الصهيونية، لكن لا بد من استكمال المعطيات بشكل كامل عن تفصيلات تلك النشاطات المتفرقة خلال تلك الفترة ما بين شباط وأكتوبر، لا سيما

١- المصدر السابق ص ٢٨.

وأن أهميتها كامنة في علنية الطرح الصهيوني المعادي من حيث فحواه لمجموع الطموح الإنساني في تحقيق آلية تطور اجتماعية متسقة مع مصالح المجموع والأغلبية في القوام السكاني للكرة الأرضية.

«تعود بداية النشاط السياسي الذي قام به أسلاف الصهاينة بين سكان روسيا إلى عام ١٨٧٣، عندما أسست اللجنة المركزية «للاتحاد الإسرائيلي العالمي» في المناطق المتاخمة لروسيا، وتشكلت منطقتان: يسارية تحت إشراف الحاخام كينغيسبنيرغ ويمينية تحت إشراف الحاخام «راند ينبيرغ في مدينة ليغنيتسما، وكانا عضوين في اللجنة المركزية لذلك الاتحاد» وكان نشاط مندوبي الاتحاد موجهاً نحو ترسيخ عزلة اليهود السياسية - الدينية عن السكان، وقد نوهت إحدى الرسائل المكتوبة بالحبر السري والتي تعود إلى عام ١٨٨١ «يُرحب ببداية المذابح اليهودية (حتى تلك الآونة كانت البرجوازية اليهودية تتبنى سياسة «كلما كانت الحالة سيئة كلما كانت النتيجة أفضل»[١] «وكانت العقائد الصهيونية الجامدة تحاول: إرساء «رسالة اليهود الخاصة في المجتمع البشري، وتفوقهم على الشعوب الأخرى، و «خلود اللا سامية» عدا عن الدعوة إلى تربية اليهود على روح الولاء الأعمى لليهودية»[٢]. حسب ما يقول آحادعام.

أما «إيدلسون» المنظر الصهيوني يقول في عام ١٩٠١ «إن أهمية الدولة تجعل منا في كل مكان عنصراً غريباً، ولذا فإننا نعلل أنفسنا «بفكرة» الكوسموبولتية الساذجة. إن القوة الرائعة للكوسموبولتية، إنما تكمن - بالنسبة لنا - في إنكارها لفكرة الدولة القومية» وهكذا فإن القومية المتطرفة تلتقي وتمتزج بالمبادئ الصهيونية وبالكوسموبولتية[٣]. بينما يرى س. م. دوبنوف المؤرخ البرجوازي اليهودي أن ميل اليهود إلى الصهيونية يعود عند بعضهم إلى النزعة العملية التجارية الضيقة،

١- تأسس الاتحاد الإسرائيلي العالمي عام ١٨٦٠ تحت رعاية روتشيلد، وكان شعاره الكرة الأرضية وعليها عصا موسى - الموسوعة اليهودية - المجلد الأول ص ٩٣٥ - يفسييف - الصهيونية في روسيا القيصرية - ترجمة هاشم حمادي ص ١٦.

٢- الصهيونية في روسيا القيصرية - ي. س. يفسييف ول. غوستوكوف - ص ٧٨.

٣- المصدر السابق - ص ٧٩ - والكوسموبولتية - كلمة إغريقية تعني مواطن العالم. إيدلسون «عن المواضيع الصهيونية» الإصدار الثاني بيتروغراد ١٩١٨ - ص ٦٦.

وإن بعضهم الآخر يسير وراءها لأنها تمكنه من (صنع السياسة) والقيام بدور منظم لدولة المستقبل[1].

كان المثقفون البرجوازيون اليهود يقومون بدور قادة الحركة الصهيونية: الأطباء والمحامون، والصحفيون، والحاخامات (منهم طبيب العيون ي. ن. تشلينوف، والمهندس أوميشكين (سيرد ذكره فيما بعد كعضو بارز في قضية الصناعيين)، ودكتور الطب م. ي. ماندلشتام، والمحامي أ. أ. عولدبيرغ، والأديب ن. جابوتنيسكي، وف. أ. باسينوفسكي مدير العديد من المصانع، والحاخام ش. ب. رابينوفيتش والحاخام أ. س. يلسكي، ومن قادتهم أيضاً بينسكر، وسمولينسكين، وليلينبليوم، وليفاندو، وآحادعام[2].

ازداد نشاط الحركة الصهيونية بعد ثورة شباط عام ١٩١٧، وعقدت مؤتمرها في مدينة بيتروغراد ٢٤-٣٠ أيار عام ١٩١٧، واستهل افتتاح المؤتمر بكلمة لتشيلنوف، الذي أعلن في جو من التصفيق الحاد: «إننا نرسل تحياتنا الحارة إلى الحكومة المؤقتة، وإننا نرجوها أن تكون على ثقة من أنها تستطيع أن تعتمد بشكل كامل على قوتنا ودعمنا»[3]. وتضمن البرنامج الذي أقر في المؤتمر تعزيز فكرة الأمة اليهودية، وضرورة المطالبة بمنح اليهود حرية الإدارة الذاتية في شتى مجالات الحياة القومية، عن طريق تأسيس مجالس «الفادا» اليهودية لتشرف على النشاط التعليمي، ومعالجة مسائل الحياة الدينية، والمساعدات الاجتماعية الاقتصادية والصحية، والمراقبة الاجتماعية وتنظيم هجرة وانتقال اليهود، وتنظيم الميزانية القومية. وانتخب المؤتمر ممثلي المثقفين القوميين البرجوازيين في لجنة تنفيذية مؤلفة من: م. س. إلينيكوف، غ. س. غييشتين، وبو. د. تروتسكوس، و أ. د. ايدلسون، وأ. أ. إيدلسون، ول. م. كابلان، وروزوف وآخرين.

١- س. م. دوبنوف «رسائل عن اليهودية القديمة والجديدة - ١٨٩٧-١٩٠٧» ص ١٧٦ من المصدر السابق ص ٨٠.

٢- مالاشكو «القومية المحاربة - أيديولوجية وسياسة امبريالية، مينسك ١٩٧١ ص ٥٨ - المصدر السابق.

٣- «الحياة اليهودية» ١٩١٧ - المصدر السابق ص ٩٢.

الماسونية ودورها التخريبي[1]

بداية لا بد من العودة إلى الجذور التاريخية لمعرفة مدى هذا الاتصال الوثيق بينها وبين اليهودية، وتوضيح إجابة التساؤل عن أصوليتها وتفرعها من الأصول التنظيمية القديمة للبناة العالميين لهيكل سليمان، أو فيما إذا كانت بحد ذاتها خلفية مباشرة أو حالة استمرار للطوائف اليهودية القديمة (مملكة سليمان) في القرن العاشر قبل الميلاد، وإلى أيّ درجة تماسكية متداخلة مع هذه أو تلك.

إن فكرة سيطرة المجموعات المعتمدة على منابع تاريخية قديمة، حالة تستشري في المجتمعات التعددية، وداخل الجماعات البشرية التي تستمد عناصر استمراريتها أو وجودها من منطلقات وأبعاد تاريخية محفّزة ومستوحاة من زمن بعيد تستخدم كعنصر يحمل في مرحلة التكوّن الفعلي ذاكرة تحث الآخرين على الانضواء تحتها، والالتزام بما تأتيه من ممارسات تزيد من عنصر التماسكية التاريخية، ويفعّل مركزه التجسيد العملي في قالب التكون الاستمراري الطموح، الذي قد يدخل في إطار عملية تحليلية تاريخية تكتسب منطقيتها من الرواد والاتباع، لا سيما إذا كانت فكرة استعباد العبيد بادية وأكثر وضوحاً في الدينية اليهودية، لتجعلها متأطرة داخل فهم أيديولوجي يعبر عن نزعة المستعبدين من هذا الفكر المستمد من الممالك اليهودية القديمة، ونظمها الرافضة لكل ما هو غير يهودي.

قد يكون التشكل الأولي للحلقات الماسونية عائداً إلى قراءة الإشارات الربانية لبناة هيكل الرب يهوه في زمن الممالك اليهودية القديمة، التي كان أبرزها هيكل سليمان كحالة متفوقة بعثت في نفوس هؤلاء البناة الذين كانوا يعرفون بالحجّارين المتطوعين الأباة لبناء الهيكل، وجاء على أثرهم فيما بعد الأحبار، خدمة الهيكل (المعبد)، والذين ما زالت طواقمهم قائمة إلى الآن كحالة لها قدسيتها وقوتها في توثيق

١- رومانينكو - الماسونية - والصهيونية - إصدار ١٩٨٦.

العلاقة الأيديولوجية القائمة بين اليهودية وبين الأديان الشرقية القديمة، وتلعب الدور التنظيمي الأكبر في خلق هذه الرابطة التاريخية، لتشكيل وإبراز هذه التنظيمية المحكمة للحجّارين المتطوعين الأوائل، معتمدة الأساس التوراتي قاعدة للافتراض في الحالة الاتصالية القائمة بين الماسونية وبين بناة الهيكل، على الرغم من ما يعتري هذا الرابط المبني على أساس الكتاب المقدس من التجميعية المؤسطرة، لدرجة تبدو فيها الخرافات مسخرة لأن تكون الأس التاريخي لخلق مزيد من الخدمة، وضبط العلاقات الحميمية مع ذاك الأصل والمرجع، حيث يتمثل هذا الركن التكويني لتلك الجماعة كتثليثٍ متساوٍ يحتل فيه يهوه رب أرباب اليهود إقنيمه الأساسي، وتكمل فيه اليهودية، ومن ثم الماسونية - الصهيونية حالة الإطباق لأضلاع هذا التثليث الذي يعتبر من أهم الإشارات وأعظمها في النجمة السداسية التي تعتبر الراية المثلى لتلك الحركات الماسونية، وتتلازم مع الأسفار والصحائف التوراتية ذاتياً، وتعتبر بمجموعها خير دليل على الصلة مع اليهودية، المتشاركة معها بنفس الشعارات، وتطمح كما اليهودية إلى إحلال صفة السيادة على العالم على أساس منطق الحكم المطلق لليهود على الآخرين غير اليهود، بحيث تكون فكرة «الصهيون العالمي» التي تصور نزعة السيادة لطوائف الرواد، الذين ما زالوا محافظين على هذا التعاقب حتى اليوم الحاضر.

إن العنصر المادي الفكري للماسونية هو «الكابالا» أي بما معناه، تلقي المنقول للنزعات التصوفية القديمة من ذاك المعتقد الذي هو المستودع الروحي للماسونية ذاتها، ولليهودية في اتجاهاتها المغايرة من حيث بروز ظاهريتها، إلا أنها مشتركة في أس فكري واحد يجعل المرجعية واحدة غير مجزأة أو منقوصة إلا من حيث علنيتها وعموميتها وتبعيتها داخل المنغلق السري الكثيف في الذاكرة المحفزة للنشاط المحموم والملموس باهتماميه فائقة بمشاكل العالم، وتطويقها في حدية وتلازمية لا تحيد عن هدفها الميداني في السيطرة على العالم، كل العالم.

يتبين مما أوردناه سابقاً، أن وجود القاعدة العملية الأساسية لمنطق حقيقي وعميق في تأكيد الفرضية العلمية، على أن المنظمة المذكورة المعروفة بالماسونية، كانت موجودة، وما زالت منذ ثلاثة آلاف عام، أي منذ زمن المملكة الأولى، وبقيت مستمرة على مر السنين، على الرغم من ما اعتراها من تشتت وغزو، لتشكل هذه

المنظومة الممتحنة في محاولتها المستميتة الشرسة لتثبيت حكم المستعدين (المستغلين) بكافة الوسائل السرية الساعية إلى تخريب كافة أنواع أنظمة الحكم ومبادئها الأيديولوجية التي قد تقف عائقاً في طريقها، وتعمل على إخضاعها أو تفكيكها إذا ما حاولت الوقوف والممانعة لسيطرتها، كي تستطيع جعل كافة النظم خاضعة لخدمتها، وتحت تصرفها، وتصرف قيادتها السرية المسيطرة على غالبية الدوائر الرأسمالية المعاصرة، بعد أن انسحبت منه الأحزاب والتنظيمات الأيديولوجية، التي كانت أساساً لقيام أنظمة مناهضة للرأسمالية، وخلفت فيها الخراب والتشتت والتنابذ والتفرق، طالما استنفذت منها أغراضها، واستثمرتها لمرحلة زمنية تطلبت فيها الظروف أن تكون الحركة داخل كل الصفوف الصديقة والمعادية على حد سواء.

يظهر هذا التواجد من خلال احتلال الأعضاء المناصب الحكومية البارزة داخل الدولة، عندما بيّن أحد الكتاب الباحثين[١]، أن قوام النخبة التنظيمية للصهيونية - الماسونية تضم قرابة ٢٤١٠ أعضاء في إيطاليا (تحت اسم عصبة الماسونية - П2)، يحتلون بأغلبيتهم أرفع المناصب، حيث يشغل البعض منهم على سبيل المثال مناصب وزارية في الحكومة الإيطالية (منهم: فورلاني - في وزارة العدل، آسارني - وزارة التجارة الخارجية، اي مانكى - وزارة العمل والضمان الاجتماعي، ف. فوسكا ومساعدوه الثلاثة أعضاء في قيادة الأحزاب اليمينية - الائتلاف: الديمقراطي المسيحي، الاجتماعي، الاجتماعي الديمقراطي (مع زعيمها والسكرتير الأول السياسي للحزب، ب. لونكو)، والجمهوريون، وخمسة سيناتورات، وثمانية وثلاثون نائباً - ممثلو الأحزاب اليمينية الأربعة، واثنان وأربعون جنرالاً، ومئة وثلاثة وثمانون من الموظفين الكبار في دائرة الأمن (المخابرات)، وفي أجهزة مكافحة الجاسوسية، وفي الشرطة، قرابة خمسين من رؤساء البنوك الكبيرة، قرابة مئة من مدراء الشركات الكبيرة في البلاد، وعدد من الدبلوماسيين، والقضاة، ومن الشخصيات القيادية في النقابات ومن رجال الدين في الفاتيكان، والصحفيين، والكتاب[٢]. وآخرون مثل المستشار البرلماني للرئيس الإيطالي، الأمين العام للمجلس النيابي،

١- الكاتب الروسي يفغيني يفسييف - الفارس وطعم كروسمايستر - ١٩٨١ ص ١١٢.

٢- ك. ريجاكوف - صنمهم - العجل الذهبي - في الإنسان القانون ١٩٨١ ص ١٠٩.

ف. كوزيتو رئيس قسم الطباعة في وزارة التجارة الخارجية، ورئيس أركان الجيش، قائد خدمة الأمن الداخلي، السكرتير العام لوزارة الخارجية، رئيس مكتب رئيس الوزراء. وبهذا يكون أعضاء العصبة الخاصون قد ترأسوا الإدارات الخارجية والداخلية، السياسية منها والاقتصادية، والقوات المسلحة، والخدمات السرية[1]، وساهموا بشكل فعلي في الحكم، ومارسوا أهدافهم اللا مرئية في اتخاذ القرارات كافةً التي تصب في خانة المصلحة الأساسية لها، وقامت بتعيين أعضائها في المراكز المفتاحية وملحقاتها عبر عملية انتقائية، وسيطرة مطلقة على كافة النواحي في البلاد من خلال وجود خمسمئة جمعية ماسونية تضم في صفوفها قرابة عشرين ألفاً من الأعضاء المنتشرين في كافة الأوساط المدنية والحكومية.

لا بد أن نذكر هنا وفي هذا السياق، ذلك التأثير الفعال الذي تبديه النخبة الماسونية الإيطالية على الفاتيكان، سواء من حيث التوجهات الأساسية المعلنة حيال المسائل السياسية العالمية، أو من حيث التدخل في العملية الانتقائية لقيّمي الفاتيكان من رجال الدين، بما فيها المتعلقة بتنصيب البابا. وكثيراً ما حدث عبر التاريخ أن أوصلوا إلى هذه السدة الروحية ممن كانوا يرجعون في أصولهم إلى اليهودية، وخاصة في مرحلة القرون الوسطى، وليس أدل على ذلك التأثير أكثر من تعيين البابا الحالي الذي يرجع في أصوله إلى بولونيا التي كانت أولى الدول المبادرة في المعسكر الشرقي إلى التخلي عن الالتزام بمنظومة المعسكر الاشتراكي، والتوق إلى تلك المبادئ الليبرالية للدول الغربية من المطالبة بحقوق الإنسان والديمقراطية، والنشاط الثقافي الذي كان خاضعاً تحت قيادة مجموعات منتمية ومسخره للتخريب البنيوي الاجتماعي للدول الشرقية، واستشراء ظاهرة تفعيل النشاط الديني وبشكل خاص الكاثوليكي المشجع من قبل البابا، وزيارته المتكررة إلى بلده الأصلي، وإملاء تأثيره العالمي لصالح تلك التداعيات الحاصلة في أوروبا الشرقية التي برزت على أساسها عملية تفكيك وتفتيت مجموعة دول المعسكر الشرقي بشكل دراماتيكي.

١- أرنست هنري - الماسون حكم غير مباشر - الصحفي ١٩٨١ ص ٧٠.

الدور التخريبي في روسيا

لعل من الندرة أن تجد كتاباً أو مخطوطاً يتحدث بشكل تفصيلي عن دور الماسونية التخريبي في روسيا، خاصة منذ بدء الحرب العالمية الأولى وحتى وقتنا الحاضر. على الرغم من ظهور عدة مؤلفات في الآونة الأخيرة تبين ذلك الدور الذي لعبته الماسونية في هذا المجتمع الذي عرف الانغلاق بعد تلك الفترة المذكورة، ولم يفصح عما يدور في واقع الحال لتلك الأيام التي غدت في ذاكرة التاريخي الجزئي، والتي تحتاج إلى الكثير من الجهد لإبراز تداعياتها المتخفية بشكل محكم في عقول أولئك الذين أضحوا في طي الموت، لا سيما أولئك الأتباع المؤثرين بشكل فعّال في سياق الأحداث الدراماتيكية المتتالية، والذين لعبوا دوراً أساسياً في صنعها دون أن تطالهم يد الحساب والعقاب، ولاذوا بأعمالهم المديدة تحت يافطة شعارات أسدلت على حقيقة نواياهم الشيء الكثير من الاستتار والتلوذ، وإن كان هذا الأمر لا يعدو عن أن يكون ظاهرة تتقارب من حيث تكونها وحضورها وحبائلها مع ما حصل وما يحصل في باقي البلدان من العالم، التي تعاني من ذات الوقائع، ولا بد من أنه ستتأتى عنها ذات النتيجة التي تماثل ما نتج عنها في الدولة الروسية، وإن كانت مختلفة في الأداء، إلا أنها في نفس الوقت تحمل تلك الروح والذاكرة والطموح الهادف إلى بلبلة النفوس وتشويش العقول، والتباس الحقائق على عقول العامة، بحيث تبدو مثل هذه الحالات وكأنها عقبول يصعب الحد من انتشاره واجتثاثه من أصوله، لما يملك من تحصن سري يصعب على محبي المعرفة استقصاء حالاته المتعددة والمتباينة من حيث ظاهرها، والموائمة من حيث سكونيتها الداخلية لما يطرح من أهداف، اعتبرت سامية بالنسبة لمن عمل على تحقيقها وتصويرها كحالة خروج غيبي وخلاص عمائي بالنسبة للبشر الآخرين الغافلين عن فعلتهم الأساسية، بل والمتغافلين عمداً عما قد يكون تحت ملمس اليد من شجون تبعث

على اليأس لما لها من مفاعيل عبثية وفوضوية غير محكومة بقانون منطقي، إنما تأتي ضمن سياق لا عقلاني، يغلّب فئة محدودة من البشر من حيث الصفة على الآخرين الذين لا يملكون مندوحة من امتلاك خاصيّة وصفة الرضوخ والانصياع لما هو آتٍ من مزجٍ إلهي محمول على متون هؤلاء المتلبسين تحت أثواب حضارية مناسبة لكل زمن، ولكل آن، دون أن تتبدل جوهرية المحتد ولا عقيدة الاعتناق التلمودي القابعة على أكتاف حملة الرسالة الإلهية منذ الأزل التوراتي.

كي لا نبتعد عن موضوعنا الأساسي، نعود لنبين الدور الذي قامت به تلك التنظيمات في روسيا، لما يحمل من عناصر ذات أهمية لدراسة الظاهرة التاريخية التي لا بد من إعادة بحثها بشكل تفصيلي بعد أن مرت سنون عديدة عليها دون أن يطويها النسيان ولا حقيقة التدوين التأريخي، طالما أن عوامل التحليل والتركيب للدراسات التفصيلية تُظهر إلى حد ما يقينيّة الحدث السالف.

ليس من صدقيّة التصرف أن ننفي واقع الهدف، لأن مجمل التصرفات محكومة بالنتائج المتأتية من تلك الغايات العميقة، صريحة بائنة، وليس من قبيل الصدفة تركب الماسونية - الصهيونية مركبة الدعوة القومية الألمانية، إلا لتعطي خصوصية مبررة للهدف الصهيوني العام على الرغم من ما شاب إعلامية تلك العلاقة القائمة بين مبادئ ألمانيا وبين الصهاينة، وتعاونهم على نطاق واسع لتنفيذ مخطط ترحيل اليهود إلى فلسطين، وفي الوقت نفسه، كي يؤلبوا الفاشية ذاتها على تلك الدول التي تشكل عائقاً استراتيجياً في طريق حلولية الصفة السامية على الغير، ومن أجل التلاعب واستجرار اليهود أنفسهم إلى ذات اللعبة، بعد أن سحب البعض منهم ذاته على رف النعيم المستديم في صفوف المجتمعات الغربية والشرقية على حد سواء، وكان لا بد من تحفيزهم وإعادتهم من تحت نير النسيان إلى إحياء الذاكرة، وحقنها بمثل الأحقاد المعادية للسامية، كي تعيدهم إلى جادة الصراط العظيم.

يذكر ياكوفلوف. ن. في كتابه الأول من آب عام ١٩١٤ الصفحة الرابعة، أنه جاء في مذكرات ب. ن. ميليوكوف[1] الذي كان عضواً في الحكومة المؤقتة

١- ن. ياكوفلوف الأول من آب ١٩١٤ والغفارديا الفتية ١٩٧٤ ص ٩.

في روسيا بعد ثورة شباط عام ١٩١٧[1] تنويهاً يشير إلى وجود مجموعة رجعية متطرفة في تلك الحكومة، وتتألف من: أ. ف. كيرنسكي[2]، ون. ف. نيكراسوف[3]، وم. ي. تيرشينكو[4]، وأ. ي. كونافالوف[5]، وقد ضمت هذه المنظمة السرية أيضاً، ي. د. كوساكوف الذي كان يُعدّ ذا مكانة اجتماعية كبيرة في تنظيم صفوف المناشفة الروس، وساواه في الشهرة أيضاً س. ب. بروكوبوفيتش الذي احتل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء كيرنسكي، وكانا من أصحاب العقيدة الانتهازية التي انضمت إليها فيما بعد ل. و. دان زوجة أحد أقطاب المناشفة ف. ي. دان (كوريفتشا)[6] أخت يو. و. مارتوفا و (يو. ي. تسيديرباما).

١- صدرت هذه المذكرات في نيويورك عام ١٩٧٥.

٢- اصبح كيرنسكي مشهوراً في قضية (بايليس - وهو يهودي - ظهر أثناء المحاكمات في عام ١٩١٣ في مدينة كييف، مع المتهم في جريمة قتل الطفل المسيحي بوشينسكي لهدف طقوسي، وحصل بايليس على البراءة)، وقام المحامي كيرنسكي بنفس العام بالدفاع النشيط عن المتهم، وبعد ثورة شباط، اصبح كيرنسكي وزيراً للحربية والبحرية في الوزارة المؤقتة المعادية للثورة، واحتل بعدها منصب رئيس الوزراء، ومن ثم قائداً للقوات المسلحة الروسية، وفي أكتوبر بعد انتصار الثورة، ناضل كيرنسكي بعنف ضد الحكم السوفياتي، وهرب في عام ١٩١٨ إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليمارس نشاطه حتى آخر أيامه في الدعاية المضادة للسوفييت.

٣- ن. ف. نيكراسوف - كان قبل الثورة الروسية بروفسوراً في حزب الكاديت، وعين وزيراً للمواصلات والطرق في الوزارة المؤقتة، ومن ثم وزيراً للمالية بدون حقيبة، وعمل بعد ثورة أكتوبر في مركز إدارة الاتحاد في النظام السوفياتي.

٤- م. ي. تيرشينكو - كان قبل ثورة أكتوبر مليونيراً، وبعد ثورة شباط ١٩١٧ كان في عداد الوزارة المؤقتة، وشغل منصب وزير المالية، ومن ثم وزير للخارجية، وهاجر بعد ثورة أكتوبر وانضم إلى صفوف الثورة المضادة.

٥- أ. ي. كونافالوف - صناعي كبير في روسيا القيصرية، وكان أحد منظمي ما يعرف بـ «الحلف التقدمي». شغل عام ١٩١٥-١٩١٦ معاوناً لمدير اللجنة المركزية للصناعات العسكرية، وبعد ثورة شباط عام ١٩١٧ كان في قوام الحكومة المؤقتة وزيراً للتجارة والصناعة.

٦- هي ي. د. كوسوفا «اقتصادية» وعضو في المنشفية، وواعظة في الجمعية الروسية (بيرشتانيستفا)، وعملت على إخضاع الحركة العمالية للقيادة السياسية الليبرالية البرجوازية، وبعد أكتوبر أصبحت معادية للنظام السوفييتي ومنذ عام ١٩٢٢ هاجرت وعملت في الدعاية المضادة للثورة.

ملاحظة: إن مجموع ما ورد من المعلومات جاء في كتاب رومانينكو - الماسونية والصهيونية ص ٢٢- تعريب المؤلف.

وكتب نيكراسوف (في مخطوط بخط اليد) منوهاً إلى مجموعة من الشخصيات كانت في عضوية الماسونية منهم: م. س. ماركوليس، (الذي كان إبان الحرب الأهلية رئيساً لحكومة القطاع الشمالي الغربي المضادة للثورة)، والأمير د. و. بيبوتف، وأ. أ. كراف، واولوف دافيدوف. ويضيف نيكراسوف، كان هذا الأخير حسب إحصائيتي، يشغل منصب سكرتير المجلس الأعلى لجهاز القيادة العليا لتنظيم (ماسونية الشعوب الروسية)، وكانت تضم حتى قيام ثورة شباط قرابة ٣٠٠-٣٥٠ عضواً... وأبدى الماسون أثناء تشكيل الحكومة التأثير الكبير، إذ تبين أنهم موجودون في صفوف كل التنظيمات المشاركة في عملية تشكيل الحكومة المؤقتة. وكانت الماسونية فوق الأحزاب، أي أنها ضمت في صفوفها ممثلي الأحزاب السياسية (الممثلة) مع أنهم أعطوا تعهداً بأن أمر الماسونية فوق مصلحة الأحزاب كلها، وقد مثلتها الماسونية في التنظيمات الشعبية كل من: كيرنسكي، ديميانوف، بيريفريف، سيداموميستوف - الذي نفي عام ١٩١٢ بسبب علاقته مع (أزيفشني). ومثّلها في الحركة المنشفية المجموعات المقربة منها؛ كل من: تشيحذيزه، كاكيتشور، تشيخنكلي، يركو بوفيتش، كوساكوف، ومن الكاديت: نيكراسوف، كاليوباكين، ستيبنوف ف. أ. وفونكوف ن. ك، وآخرون كثيرون. أما في وسط التقدميين كما يقول يفريموف كان كل من: ي. ن. كانافالوف، أ. ي. أولوف، أ. أ. دافيدوف. وكانت التنظيمات الماسونية ناشطة في أوكرانيا، وترأسها كل من يا. ف. شتانيكل، غريغوروفيتش، يورسكي، ن. ف. سيلينكان، ل. ف. بيسارجينفسكي، وكروشبفسكي[1].

لقد مارس هؤلاء وراء الكواليس، خفية وعلناً دوراً كبيراً في جميع المحادثات والمناقشات التي دارت حول تنظيم الحكم الجديد، واشتركوا في قيادة جميع الأحزاب البرجوازية، ومارسوا الأدوار القذرة في فكر تنظيم الحرب العالمية الأولى، كي يتسنى لهم إحكام القبضة على أوروبا الشرقية، عن طريق قيام الحروب التي تعود عليهم بالخير العميم، لا سيما أن مرحلة النهوض الرأسمالي

١- يوكوفليف ن. - الأول من آب ١٩١٤ ص ٢٣٠.

كانت على الأبواب، ولا بد من أن يفعلوا كل ما من شأنه أن يحقق مصالحهم الرئيسية، ويحصدوا النتائج المالية منها. على الرغم من أن هذا التعميم في سببية الحرب العالمية الأولى، قد يكون مضخماً لدور الماسونية الروسية، ويجعلها أكثر دراماتيكية، إلا أننا يجب ألا نقلل من قدرها في لعب مثل هذا الدور، وإحلال حكم برجوازي دكتاتوري استبدادي مطلق بديلاً عنها، عدا عن أن القيصرية كانت ممسكة بزمام الأرثوذكسية، وكان لا بد من رفع هذا الزمام ليتاح لهم نشر الكاثوليكية التي قد تكون أكثر قرباً من تحقيق أهدافهم بالسيطرة المباشرة عليها.

يقول أرنست هنري الذي اهتم بدراسة الحركات السرية في الإمبراطورية الروسية، إن التنظيم الماسوني قام على أساس تعاون وثيق مع الماسونية الفرنسية، بعد أن توجه م. كفالوفسكي الذي كان عضواً في «اتحاد الأصدقاء» في باريس، بطلب للموافقة على تشكيل تنظيم ماسوني في روسيا، وباشر على هذا الأساس عمله وسعيه، حيث توجه إلى موسكو، وقام بتشكيل حلقتين سريتين «البعث» في مدينة موسكو، و «نجمة القطب» في بطرسبورغ، ومن ثم أقام الحلقات في كييف، وتبليسي، وساماري، وسراتوف، وكوتايسي. ويرد في رسالة موجهه من ي. كوسكوف إلى المنشفي (فولكوم)[1]، يقول فيها «إن الحركة كبيرة، وقد نشط الأتباع في كل مكان، وأصبحت روسيا كلها مغطاة بشبكة من الحلقات قبل ثورة شباط»، وكان أول من انضم إلى صفوف هذه الحركة أ. ي. كوتشكوف[2]، والأميرغ. ي. لفوف[3] في بيتروغراد، وم. ي. تيرشكو، الذي ترأس التنظيم الماسوني في مدينة كييف.

١- ن. فـ فولسكي - ١٩٠٤ منشفي - رئيس تحرير صحيفة موسكو المنشفية، وعمل بعد الثورة في الممثلة التجارية السوفياتية في باريس، وفي عام ١٩٣٠ هاجر إلى الغرب ليعمل في الدعاية المضادة - أرنست هنري - الماسون الحكم اللا مرئي، الصحفي ١٩٨١ - ص ٦٦.

٢- أ. ي. كوتشكوف، راسمالي كبير، وواحد من مؤسسي حزب الكاديت، بعد ثورة شباط عام ١٩١٧ - شغل منصب وزير الحربية والبحرية في اول حكومة مؤقتة.

٣- غ. ي. لفوف امير إقطاعي كبير من الكاديت - وعمل ممثلاً للحكومة المؤقتة، وبعدها وزير للداخلية، وهاجر بعد قيام ثورة أكتوبر.

من الملاحظ، أن حزب الكاديت يمثل القوة السياسية البرجوازية المضادة، طالما أن جميع الأعضاء كانوا من البرجوازيين اليهود، وبرجوازيي الطبقة المثقفة من اليهود، وكان يوجد في صفوف هذا الحزب تنظيم أطلق على نفسه «المجموعة الوطنية اليهودية» الداعية إلى الانفصال اليهودي، وتكونت اللجنة المركزية لهذا الحزب في تلك الآونة من: ف. أ. سالوموفيتش، وكافيكا آغوست إيسافيتش، وماندلشتام ميخائيل لفوفيتش، وبتراجيتسكي ليف إيسافيتش[1].

يورد ي. س. يفسييف - الذي كان أحد متتبعي دراسة الصهيونية - في مؤلفه «العنصرية تحت النجمة الزرقاء» معلومات عن نادي بيلدربيرغ «الجهاز الشرعي العالمي» للدوائر الماسونية الأساسية حيث يقول: «عند مقارنة اللوائح الاسمية للمشتركين في المنتدى «بيلدربيرغ» ومن خلال استعراض مؤتمرات «المليونيرية» في القدس، يتبين أن الوجوه ذاتها هي التي كانت تقوم في أغلب الأحيان بتمويل الإمبراطورية الصناعية للرأسمال العالمي، ويعرف هذا المنتدى البيلدربيرغي على صفحات الصحف الغربية، والسوفياتية تحت اسم «حكومة الظل» للرأسمالية العالمية، حيث باشرت لقاءاتها الأولى في أيار عام ١٩٥٤ في مدينة «أوستيرتك» الهولندية في فندق بيلدربيرغ، وكان اللقاء الثاني عام ١٩٥٥ في مدينة بارتيروفا في فرنسا في شهر أيلول، وفي مدينة كارماش - بانينكرخ في ألمانيا الغربية، وفي عام ١٩٥٦ في مدينة فريد ينسبرغ في الدانمارك، وفي عام ١٩٥٧ في جزيرة سانتا - سيمون الأمريكية، وبعدها في إيطاليا، إنكلترا، تركيا، السويد، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، إسرائيل، وكانت يتم في جميع هذه اللقاءات جمع المعطيات الأساسية، لتتجدد على أساسها «السياسة[2] العظيمة» حيال المسائل الرئيسية، وتقوم بصياغة النصائح السرية للحكومات الوطنية حسب معطيات الواقع السياسي، الاقتصادي، العسكري، الاجتماعي. ويضم هذا التنظيم أكبر الشخصيات البارزة في الحكومات الغربية الإمبريالية[3]، وتكشف صحيفة

١- كودريافتسيف فد وارتمييف - الماسونية في النظام الإمبريالي - الغفارديا الفتية ١٩٨٢ ص ٢١٤.

٢- ي. س. يفسييف، الفاشية تحت النجمة الزرقاء ص ٦٨.

٣- مالتسانوف أ. - الحكم السري للبيلدربيرغيين - صحيفة ليترانورنيا عام ١٩٧٧ الأول من حزيران.

«واشنطن بوست»، عن أن هذا المنتدى يضم خيرة الشخصيات العالمية الحاكمة في العالم الغربي، وليس من قبيل المصادفة أن يطلق عليه «أممية الحرب الباردة» التي كانت عملياً تقوم بتخطيط السياسة العسكرية - الاقتصادية لحلف الناتو «حلف الأطلسي». ويرد أيضاً في مؤلف «لمات لويس غونزاليس» أن معظم الأعضاء السريين «للحكومة المصغرة» - لنادي بيلدربيرغ هم من عداد الماسون، وردت في الصحف والمطبوعات السوفياتية بعض التسميات لتلك الشخصيات الماسونية في ذلك المنتدى ومنهم: آلن دالس - رئيس مركز الحكم الحقيقي في عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٦١، ريتيخبر - مستشار دبلوماسي لحكومة المنفي البولونية في لندن، وبروزيو - الأمين العام السابق لحلف الناتو، وهاري ترومان - الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية، وكوزتيني - الأمين الأعظم للماسونية الإيطالية «الشرق العظيم»، وبتشيوجيلي - أمين حلقات «سياسة الصهيونية $\Pi 2$»[١]، إضافة إلى الأمريكيين الماسون: أرتور سولتسبيرغ - أحد مالكي الصحيفة المعروفة «نيويورك تايمز»، ورئيس وزراء بريطانيا السابق اللورد هيوم، ووزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر، والملياردير ديفيد روكفلر، وآدمون ي. روتشيلد، ورئيسة وزراء إنكلترا مارغريت تاتشر، ديفيد آرون - النائب المساعد لرئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لشؤون الأمن القومي، وريتشارد كوبر - المساعد الأول لسكرتارية حكومة الولايات المتحدة للشؤون الاقتصادية، وكثير من الشخصيات، التي تشغل المناصب العليا في الولايات المتحدة الأمريكية مثل دين راسك، سايروس فانس ووالتر مونديل، وزبيغنيو برجينسكي، والجنرال هورشيد، وكودييتر، وشخصيات بارزة من الفرنسيين السابقين والحاليين، جورج بومبيدو - رئيس وزراء سابق، مانديس فرانك، كاستون ديفيير، والشخصيات الألمانية مزيتس، يوسف شتروس، فيللي براندت، بانكير كيرمان، آبس، ورئيس اتحاد الصناعيين الألمان - فريتس بيرغ[٢] (عين رئيساً للمنتدى - بالانتخاب)، وزوج ملكة هولندا الأمير ثرنارد[٣].

١- غونزاليس لويس - الحكام اللا مرئيون للعالم الإمبريالي - زاربيجوم ١٩٨١ رقم /٣/ ص ١٦.

٢- مالتشانوف - الحكم السري للبيلدربيرغيين - ليترا تورينا غازيا ١٩٧٧ الأول من حزيران ص ١٤.

٣- أ. اندرييف مركز الحكم الحقيقي اللا مرئي - نوفويا - فريميا رقم ٦ ص ٢٦.

تقوم «اللجنة الثلاثية» بتوحيد القوى الرئيسية المركزية الثلاث للعالم الرأسمالي، الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا الغربية، واليابان بغية زجها في معاداة الحركات التحررية الثورية العالمية. ويوجد في هذه اللجنة العديد من الوجوه السياسية المعروفة زبيغنيو برجينسكي، وجيمي كارتر (رئيس الولايات الأمريكية سابقاً)، وهنري برواد (وزير دفاع سابق في الولايات المتحدة الأمريكية) ومايكل بلومينتال (وزير مالية سابق في الإدارة الأمريكية)، وديفيد روكلفر نصير إسرائيل الذي يقدم للخزينة الصهيونية مبالغ ضخمة تحت اسم التبرعات.

لا بد من أن نذكر في هذا المجال بعض الشخصيات الماسونية التاريخية التي احتلت أرقى المناصب وأرفعها في العالم، فمنهم: جورج واشنطن، ليندون جونسون، جيمي كارتر، ونستون تشرشل، ورئيس الفاشية التشيلية خونتي بينوشيب، وعدد آخر كبير من الأعضاء الذين يخضعون للتنظيم الماسوني، والذين يبلغ عددهم قرابة ثمانية ملايين إنسان ينضوي تحت لواء منظمات مركزة بشكل نخبوي فائق، بما فيها الصفوة السياسية - الصناعية. ويمثل الجهاز السياسي الرأسمالي العالمي، وتتحد بعض الفروع الكبيرة الموجودة في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا تحت قيادة ماسونية واحدة.

ينحصر اهتمام التنظيمات الماسونية بشكل أساسي بالمصالح الرأسمالية[1]، ومكافحة كل الأخطار التي قد تحيق بها، ومناهضة تلك الدول التي قد تشكل عقبة في طريق أدائهم الذاتي، وسرعان ما يسعون إلى تخريب الدول، والمؤسسات الوطنية الأخرى، وإفساد الأمم والشعوب، وتلويث الوعي الاجتماعي بالإغراءات المادية، والنفعية، والأنانية، وجمع المال، والإثراء السريع، وقتل الروح الوطنية، وتشويه التاريخ النضالي للشعوب، والاستهزاء والسخرية من الأبطال الوطنيين، وزعزعة الصمود المعنوي، وتدمير النظام الأسروي، وزرع الرذيلة والانحلال[2].

إن هذا الاستعراض الموجز لدور الماسونية في تخريب العالم يعطينا فكرة أساسية عن أبعاد هذا الوجود داخل روسيا التي ندرس حالة هذا الوجود فيها

١- فد كودريافنسيف، وارتمييف - الماسونية في النظام الإمبريالي للراسمالية.

٢- ريحكوفد لد صنمهم - العجل الذهبي - الإنسان والقانون رقم ١٠ ص ١١٠.

تاريخياً، لعله يعطينا التصور الكافي عن مجموع تلك التداعيات والأحداث الدراماتيكية، التي حاطت بتلك الدولة في الآونة الأخيرة. لا سيما أن جميع البوادر والنتائج المترتبة عن تلك التداعيات تتسق مع الأهداف السامية الماسونية في تخريب الواقع العالمي، وتحييده، وتسخيره لتحقيق الغرض الأساسي العام، وتحقيق هدفها الساعية إليه عبر الكثير من المتاهات والتخفّيات المشوبة بالغطرسة والحقد.

إن تأثيراً مباشراً انعكس على الواقع في روسيا منذ القرن الثامن - والسابع عشر أبدته جمعية أوروبا الغربية «البناة العالميون لهيكل سليمان»، إذ برز في تلك الآونة تقارب متواقت بين الماسونيين في السويد والماسونيين في ألمانيا، وحاولا تطويع الطبقة الأرستقراطية الروسية القوية المنيعة، وتجنيدها في صفوفها (يظهر هنا عامل التصادم التاريخي التي كان قائماً بين كل الإمبراطوريات الغربية كالسويدية، البروسيّة، البولونية، مع الإمبراطورية الروسية الذي استمرت الحروب بينها بشكل متداول ومتقطع من آن لآخر بغية السيطرة على الإمبراطورية القيصرية الروسية، التي عرفت النشوء القوي في القرن السابع عشر)، وقام الدوق كارل زيوديرمان لاندسكي في كانون الأول من عام ١٧٧١ بتكريس الكونت أ. ب. كوراتكين برتبة الأخوية رقم ٢٣ في السويد داخل القصر الصيفي الملكي، حيث كان الكونت المذكور عاملاً في السفارة الروسية في مدينة استوكهولم، واستمرت صداقته مع رفيق الدراسة الأمير بافل بيتروفيتش - وريث العرش الروسي، والذي أصبح فيما بعد إمبراطوراً روسياً[1]، وقام كورانكين بتوقيع وثيقة تبعية المنظمات الروسية الماسونية تبعية كاملة للقيادة الأخوية الماسونية السويدية - «الكابيتول الستوكهولمي العظيم»، وأسس في كانون الثاني عام ١٧٧٧ «كابيتول فينكس» الجهاز الإداري السري للماسونية الروسية، واحتل مكان الصدارة في ذلك الكابيتول كل من: ف خورن، شينخناكين، ليفينكاوبات، ليونكليم، فاخت مايستر، بولومان فيلد، نديدن خايم. الأمر الذي أثار حفيظة الماسونية الألمانية التي سارعت إلى التغلغل في روسيا، وسلكت ذات الطريق التي سلكتها السويد، وقامت

١- بيكالوفـد بد باجينوف - الغفارديا الفتية ١٩٨٠.

بتنظيم الأمير ن. س. غاغارين أثناء مروره في ألمانيا، وألحقته بالمعلم المربي ي. غ شفارتس الذي قام بدوره بالذهاب إلى روسيا عام ١٧٧٦، وضم إلى الماسونية الألمانية «فوليتر الروسي» ون. ي. نوفيكوف - الكاتب الشهير، إضافة إلى شخصيات أخرى. وأمسك شفارتس منذ وصوله بزمام مجلة «الأفق المسائي»، وحولها إلى وسيلة لبث دعوته، ونشر آرائه، وحصل على درجة بروفيسور من الجامعة الماسونية، وأقام فيها الندوات العلمية بغية تأهيل الأساتذة للانضمام إلى العضوية، وبدأ في نشر مقالاته المفعمة بالأفكار والأخلاق الأوراكولية المتعصبة[1]. وكان شفارتس يصرح بشكل علني، بأنه لا يمكن تحقيق الكمال الإنساني، إلا باتباع ذات الطريق التي حددها الروز ينكريتشيريون من تعاقب الحكمة والكمال الآدمي والتعاليم التي حفظت، وتم تناقلها عبر سلسلة متتابعة من خيرة الحكماء والشيوخ - ومنهم ذهبت إلى الطوائف اليهودية العيسوية - والباطنيين، حتى وصلت إلى الروز ينكريتشيرين ممثلة بالمعارف كلها. وقد شاع عن شفارتس بأنه العضو المتحمس المتنور، على الرغم من ما اتصف به تنويره، من إنه لم يكن إلا رد فعل وحشي مظلم على عملية التنوير ذاتها[2] حسبما ينعتها بليخانوف في دراساته الاجتماعية.

لقد عمت هذه الشبكة التنظيمية المدن الروسية كافة، وطالت موسكو وبيتربورغ، وأرخانجلسك، فيلينا، فولغودا، ديرينت، جتامير، كازان، كامنسك، كينزبيرك، نوفغورود، أوديسا، أوريل، بينزا، مولدافيا، سيمبرسك، تومسك، بيريسلافل، فيادوسيا، ومدن أخرى[3].

عُيّن شفاريس ديكتاتوراً، وممثلاً قيادياً وحيداً لمراتب العلوم النظرية السليمانية في روسيا من قبل المجمع العام العالمي لمنظومة الدوائر الروسية الماسونية المسمى «بالمنطقة الماسونية المستقلة الثامنة» من فيليكل فسباد. وفي حزيران من عام ١٧٨٢، راح يجمع التبرعات والاشتراكات النقدية، ويرسلها إلى برلين لصالح «البناة

١- بيكالوف فد باجينوف ص ١٢٣.

٢- بليخانوف غ. فد تاريخ الأفكار الاجتماعية الروسية الجزء (٣) ١٩٢٥ ص ٢٦٣.

٣- المصدر السابق ص ١٢٢.

العالميين لهيكل سليمان»، ويقوم بالاتصالات مع الغروسمايسترين (المعلمين) الكبار، ويتلقى منهم (المهمة والأسرار). إضافة إلى ذلك تم تعيين ن. ي. نوفيكوف معاوناً له، دون أن يملك حق المراقبة عليه[1].

لقد استخدم شفارتس التكتيك الماسوني في جذب واستجرار الأعضاء الجدد بالطريقة الماسونية المعهودة: الكذب العلني في ترويج أخلاقية البعد الإنساني الخارق التي تعتني بخير الناس، وتحسّن مستواهم الأخلاقي. مما سمح بالتغرير بالكثير من الأتباع، واستقدام الكثير من أصحاب العقول والعباقرة من الشعب الروسي: كالمهندس المعماري فاسيلي إيفانوفيتش باجينوف الذي استخدم مع الآخرين للتأثير في مستقبل الإمبراطور الروسي بافل الأول، حيث كانت الهندسة المعمارية الروسية هدفاً للتغلغل الماسوني بغية تحقيق الكثير من المطامح والمخططات.

وهكذا استمر وجود الماسونية في روسيا فيما بعد. وترك الإمبراطور الماسوني بافل الأول في تاريخ روسيا أثراً مشؤوماً، بتحمسه اللا محدود «للبناة الهيكل». ولم يوقف الماسون نشاطهم الحاقد، حتى بعد أن أصدر القيصر ألكسندر الأول فرماناً يقضي بمنع النشاط الماسوني.

لدى استعراض ما يعرف بالقاموس الموسوعي[2]، وهو عبارة عن مخطوط كبير محمل بوثائق واقعية تحمل بصمات الزمن البينة، وتعبر بشكل صريح عن فكرة النشوء الفكري للصهيونية، التي هي في الأساس تمثيل تكبيري

١- بيكالوف ف. باجينوف ص ٦٤.

تنويه: لقد عمّت اليهودية روسيا ما بين القرن الثاني والقرن التاسع الميلادي، بسبب قيام مملكة يهودية في منطقة الخزر انتسبت إليها الأقوام الموجودة في تلك المنطقة الممتدة ما بين نهر الدنيبر والفولغا العليا، إلا أنه بحلول القرن العاشر الميلادي انتشر الدين المسيحي الشرقي (الأرثوذكسية) وبلغ حداً من الانتشار الواسع وحدّ من فاعلية اليهودية، وأخذ بمحاسبة كل من اعتنق الديانة اليهودية، لكن هذا لم ينهِ هذا الانتماء واستمر عدد كبير من اليهود الخزريين على معتقدهم وذابوا في المجتمع الروسي وفي دول أوروبا الشرقية، مما يفسر زيادة عدد اليهود في تلك الدول، وفي روسيا تحديداً، ليصل إلى الثمانية ملايين.

٢- إصدار بروغاوزا وإيفرون - اليهود في القاموس الموسوعي - الجزء ٢١ ص ٤٢٦-٤٦٦، تأليف د. آنوتشين، وخفولسن وم. براني، وس. بيرشاوسكي، وم. ميش.

للماسونية ذاتها، نجد أن الخصائص الانتروبيولوجية حسبما يشيرون إليها أن الأشكناز اللندنيين يتميز ١١٪ منهم بأنهم شقر ولهم عيون زرقاء، و٣٠٪ منهم لهم عيون عسلية، ويضيفون أنه إلى جانب «يهود النشر الأوائل» يوجد «اليهود الإبراهيميون» في ألمانيا، وروسيا، والقوقاز، وفي شبه جزيرة القرم، واسترخان، ودول أخرى - «مثل الأسرى الإيرانيون الذين اعتنقوا اليهودية»[1]، دون أن تقر الموسوعة بذلك التمايز الواضح بين هذين النوعين من اليهود الأشكناز والسفارديم وكذلك ذاك الاختلاف بين أوساط المجموعات المختلفة من هؤلاء وأولئك على حد سواء، وإنما أغفلت التنويه إلى هذا التمايز، بقصد الرغبة في أن تشيع في أوساط «الشعب» اليهودي بأنه خلق حاملٌ لأفكار التوحيد الإلهي الأعلى، وألقيت على عاتقه رسالة حمل الأخلاقية الحضارية للعالم، وهذا بحد ذاته، يكسبها صفة العالمية دونما تدقيق وتفصيل لتلك النواحي العرقية، والصفات الوراثية التي قد يعتبر النقاش والجدل فيها حالة عقيمة طالما أنها لا تستطيع الصمود أمام فكرة العلوم الوراثية والأنساب وانتقال الصفات، لذا كان من الأجدى، إسدال صفة العالمية على طبيعة المفهوم الأخلاقي لهذا «الشعب»، الذي يدعي أنه حامل لهذا المحمول الإنساني الفذ.

ولكن عند العودة إلى الوقائع التاريخية، نتوقف قليلاً عند تلك المملكة «مملكة الخزر» التي كانت قائمة على نهر الفولغا الأسفل، والتي اعتنق ملكها وأتباعه الديانة اليهودية عام ٧٣٠ ميلادي، وحض شعبه للدخول فيها، والانتساب إليها. واستمرت هذه المملكة في وجودها حتى عام ٩٦٩، وقام الخزريون على أثر احتلال عاصمة مملكتهم (آتيل) من قبل الأمير سفياتسلاف، بالاستيلاء على إمارة في شبه جزيرة القرم، التي لم تستمر لوقت طويل حيث تم تدميرها في العام ١٠١٦ على يد ابن الأمير فلاديمير مستيلسلاف، الأمر الذي يؤكد أن جميع سكان المملكة، معتنقي اليهودية، لا يحملون صفة «خلق» أثنية واحدة من اليهود القدماء.

١- المصدر السابق - الجزء ٢١ ص ٤٢٧.

يرد في الموسوعة أيضاً، والتي هي من صنع اليهود أنفسهم، تنويه إلى أن طرد اليهود من إيطاليا عام ٨٥٥، ومن شبه الجزيرة الأيبرية عام ١٤٩٢، ومن إنكلترا عام ١٢٩٠، ومن باقي الدول، سبّب الهجرة اليهودية إلى الدول السلافية، ومنها روسيا التي تعتبر أكثر الدول صبراً من تلك الدول والممالك في الغرب الأوروبي، وقد خصتها الموسوعة بهذا التقدير دون أن تتطرق إلى سببية هذا الطرد، ودون التعرض لشرح هذا الحدث التاريخي المهم، بل اكتفت بالنظر إليها كظاهرة شاذة، مع التأكيد على أن جميع اليهود بغض النظر عن تصنيفهم الطبيعي المتمايز تعرضوا للطرد، بلا أيّ أسباب، على الرغم من أن الأغنياء منهم كانوا قد حصلوا على امتياز كبير، سمح لهم بالدخول في قوام المجموعات التجارية إلى مدن الإمبراطورية الروسية كافة [1]، مما يدلل على أن هذا البلد كان مسرحاً للكثير من الأحداث، والأعمال الدراماتيكية، الذي روّضته الدوائر الماسونية - الصهيونية، وصيّرت منه مرتعاً لنشوء تلك الطفرات التاريخية المفاجئة، التي تجعل المتتبع لأحداثها ووقائعها في حالة تختلط فيها مسببات ومكونات ذلك الحدث التاريخي المدروس منهجياً وعضوياً عبر سلسلة طويلة من الإثبات والنفي، والشك واليقين، مما يتطلب العودة إلى مجمل ذلك التاريخ الذي لا تتوفر عنه المعلومات الكافية لما التي شابها من غموض والتباس بائنين، وقد يصعب اجتيازهما دون إيضاح مستطاع، وممكن ضمن هذه التتابعية، والبحث المستديم عن فاعلية تلك المنظمات الماسونية والصهيونية، في الزمن القيصري الذي كنا قد نوهنا إلى بداياته كحالة قابلة للاستمرار دون توقف، طالما أن صدور الفرمان الاسكندري لا يلغي مجمل هذه التجمعات المشبوهة، خاصة في وسط الطبقات الأرستقراطية، والإقطاعية المتميزة بالاستسلام لعناصر التحذلق الفكري كصفة لا طائل منها سوى مجاراة الآخرين في الكلام عن أيّ ظاهرة معتقدية تحقق وتؤمن المصلحة النفعية الذاتية لهم سواء في طبيعة العمل المالي، أو في الحصول على الامتياز، والمناصب الرفيعة الموصلة إليها هذه الشبكة الاجتماعية المترابطة والمنغرسة في عمق هذه الأوساط الواعية واللا واعية على حد سواء، طالما أن الحجة والبرهان كافيان للتغرير بهؤلاء وللتظليل بأولئك.

١- اليهود في القاموس الموسوعي - إصدار بروغاوزا وايفرون ص ٤٤١.

لذا كان لا بد من العودة إلى استكمال الدراسة حول الظاهرة الماسونية، بالتعرض إلى تلك المرحلة التي سبقت ثورة عام ١٩١٧، ونستدل منها على وقائعها السياسية لنبين المدى الذي كانت فيه تلك المساعي الماسونية تعمل لاستلام زمام الأمور في روسيا إبان تلك المرحلة، عبر سلسلة كبيرة من الترويج الدعائي الذي كان يحمل وما زال الصفة الأكثر فاعلية في البرنامج الدعائي الماسوني - الصهيوني، إن لم يكن السلاح الأكثر استخداماً من قبل تلك الدوائر الساعية على غزو عقول البشر وتحييد مشاعرهم، والتلاعب في نبلهم الإنساني، وإغرائهم بمسائل أخلاقية وهمية، تسوقهم إلى لجة الانصياع متلفعة بتلك التجمعات التنظيمية الاصطيادية الجاهزة لاستقبال هؤلاء الاتباع.

لا شك أن ظهراء الصهيونية - الماسونية، قد حاولوا بشكل دائم تشويه وقائع الماضي بنيّة واعية لوضع أسس التفرقة، وزرع الحقد بين شعوب وأمم الأرض كافة بجنونٍ تظليلي، للتأثير في عقول وقلوب الألوف المؤلفة من المؤمنين بالروحانيات، واستخدامها كوسيلة تكتيكية - استراتيجية لإطلاق مخزون خواصها لتمرير هذه المقولة الملعونة، دون التنازل بأي حال عن مدى صحة وثبات العقائد الأخرى، بغية خلق وسيلة تنويهية ترابطية في مفهوم الروحانيات العام الحامل لصفة الأخلاقية الإلهية في حمل هذه الرسالة السامية التي خصت بها اليهودية نفسها دون سائر الأديان الأخرى الأكثر شمولية من حيث عموميتها الإنسانية، كي تضع هذه الخصوصية المميزة الحاملة لها كركن تحمل عليه الأسس الدينية كافةً بمفهومها الرسالي النبويّ الاصطفائي.

لقد ظهرت المطبوعات العديدة قبل أكتوبر، في مدينة بيتربورغ (بيتروغراد)، منها مجلة «بودسناست» «راسفيت» و «كراسات فاسخود»، والمطبوعات الأسبوعية «ايدشيس فولكسبلات»، والصحيفة اليهودية الشعبية «دير فرايند» و «دروغ» و «ديربوغ» و «ديبن»، واستمرت في صدورها لسنوات طويلة، وحملت جميعها دليلاً ساطعاً على المدى الذي تحمله هذه الأيديولوجية من نواح تضرم في النفوس تلك الغيرية والتباكي على ما يفعله أعداؤها بها، وما تواجه من طرد وتهجير ونبذ في الأوساط الاجتماعية في مختلف أصقاع الكون، وتستجدي التعاطف معها في

نضاليتها المفعمة بدفع الظلم والجور ليس إلا، وذلك عبر كيان تجميعي يطال فلسطين الأكثر ملائمة لرأب صدع هذا الحيف، بيد أن هذه اليافطة لم تكن لتلغي أيضاً تسويق الهجرة إلى روسيا، وإنشاء نقاط استيطان مركزية وفرعية في جميع أنحاء أوروبا، وفي أنحاء الكرة الأرضية، وقد قامت «جمعية أصدقاء الشعب» التي ضمت في صفوفها «دوبنوف» وزعماء صهاينة آخرين، بتشكيل لجان خاصة تمسك بخيوط هذه الهجرة المستقبلية (لجان التوطين) حتى إلى أمريكا الشمالية، مع ضرورة تأمين هجرات جانبية إلى فلسطين، وجنوب أفريقيا، والأرجنتين، ودول أخرى[1]. لقد طالب دوبنوف في أن يُصنع المستقبل في أمريكا، عبر مركز يهودي كمي ونوعي، يؤمن الهجرة إليها بدون توقف، ويجب تعزيز هذه النقاط المركزية الصهيونية في العالم، حيث دلت الإحصائيات ما بين عامي ١٨٨١-١٨٩٨، على أن قرابة ٢٥ ألف يهودي اتجهوا سنوياً إلى هناك. أما ما بين عامي ١٨٩٨-١٩٠٢ بلغ عدد المهاجرين في السنة بحدود ٣٥ ألف مهاجر، لكن دون أن تنقطع جذور المهاجرين كلياً (بحيث لا تكون هجرة كاملة)، بل يجب أن تبقى الهجرة جزئية، ريثما يتم تحويل مركز الثقل الاستراتيجي إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي توفر الجو المثالي لتحقيق الغايات المثلى للصهيونية، مع عدم إضعاف مكانة اليهود في روسيا وفي البلدان الأخرى، بحيث تبقى نقاط استناد «دون التخلي عن حقوقنا الاستراتيجية والأخلاقية في دول التمركز... بل سنعمل بكل قوانا لتحسين وضعنا الاقتصادي الفعال... كما دأبنا على تحقيقه دائماً... وفي كل الأحوال فإننا لن نفقد إيماننا في تحقيق النجاح لقضيتنا»[2].

إن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن الهجرات كانت مستمرة قبل عشرات السنين من ذلك الإعلان الصريح، ومنذ حدوث مرحلة الاستفزاز للقيصرية الروسية التي كانت تعج بآلاف الصدامات بين اليهود وغير اليهود من البرجوازيين، مما جعل عملية الهجرة هذه عملية تخطيطية للحفاظ على القاعدة الصلبة في روسيا، مع العمل على تقوية وتعزيز مكانتهم في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي جنوب

١- س. م دوبنوف - رسالة عن اليهودية القديمة الجديدة (١٨٩٧-١٩٠٧) إصدار عام ١٩٠٧ ص ٢٨٧-٢٨٩.

٢- المصدر السابق ص ٢٨٥.

أفريقيا، وفلسطين حسب ما يقول دوبنوف. وحسب ما جاء في الدوريات الصحفية، التي كانت تروجها الشخصيات الصهيونية عند حديثها عن فضح دور القيصرية الروسية، والبرجوازية اللا يهودية في تنظيم مذابح جماعية لليهود، دون أن تبين أو تتطرق تلك المطبوعات الثورية إلى فاعلية الدور الذي كان يمارسه اليهود وقيادتهم في إذكاء روح العداء والبغضاء في أوساط اليهود ضد غيرهم، مع القيام بالصدامات الدموية الاستفزازية، حيث يستمر دوبنوف موضحاً عن غير قصد الفكرة العامة «لشعار معاداة السامية» حيث يقول: إن الهجرة اليهودية ازدادت بعد «تنفيذ حكم الإعدام بمحتكري مادة الفودكا» من ٤٠-٥٠ ألف مهاجر كل عام، ولا شك أن هذا يبين بشكل جلي مدى ذاك التوق الحميمي عند اليهود، لحب المضارية الذي تعطله معاداة السامية، واستخدامها «كعمل دعائي» مضاد لخدمة مسلمات الصهيونية - الماسونية المتعصبة، إذ يقول أيضاً: إن «الذئب الروسي» لم يعش «ولن يعيش مع الحمل الصهيوني بسلام»[1]، وكأن أي عمل من شأنه أن يوقف ذاك الجشع والاحتكار واستحواذ الفائدة من تخزين مادة الفودكا، إنما يأتي عملاً معادياً للسامية.

صدر قبيل نهاية القرن التاسع عشر مؤلف يدرس (بتكليف من الدولة الروسية) هذه القضية من كل جوانبها، وضمن إطار الصفة الحضارية لهذه الحركة[2]، وقد قام بهذه المهمة «درجافين»[3] وتعرض لهذه المسألة من الجوانب كافة وتوصل إلى النتائج التالية:

إن مجموعة من الملاّكين كرست لنفسها التزاماً شرعياً (وردت كلمة «شرعياً» باللغة البولونية، كمعنى يعبر عن المعنى الشرعي القانوني لكلمة «جيد»، ويرتبط أيضاً مع الأصول الجذرية لكلمة «دايودي» (دواودي) المستخدمة في اللغة الألمانية، والإنكليزية، والإسبانية، وفي اللغات الأخرى مثل «يودي» و «جويش» و «دايوديو». واقتبست كلمة «جيد» في سنوات نزوح اليهود

١- المصدر السابق ص ٣٠٣.

٢- رومانينكو - الماسونية - والصهيونية ص ٦٢.

٣- درجافين غ. ر. مؤلفات دراسية - إصدار عام ١٨٧٢ - الجزء السابع ص ٢٢٩-٢٣٠-٢٣٢.

من بولونيا إلى روسيا واستخدمت هذه اللفظة أدبياً، إلا أنه صار ينظر إليها، كمفهوم يطال أولئك المهاجرين، لتعبر عن مجموعة من البشر قليلي الأفق، وصارت بمثابة إهانة لليهود)، كان الالتزام القانوني عبارة عن قرار يلزم الفلاحين في قراهم عند الاتجار بالمشروبات الروحية، بألا يشتروا حاجاتهم، سواء ديناً أو نقداً، إلا من عند أولئك الملتزمين بتنفيذ القرار، وعليهم كذلك ألا يبيعوا شيئاً إلا لهم (أي للملتزمين بالقرار) الذين كانوا يشترون هذا الإنتاج ويبيعونه بسعر مضاعف عن السعر الحقيقي، مما درّ عليهم ربحاً كبيراً، وتحولت القرى إلى حالة من الفقر المدقع. لكن هذا لم يجعل القرى كافة تلتزم ببيع منتجاتها لكبار الملاّكين الذين أُنشؤوا في القرى والبلدان والمدن خانات وحانات يباع فيها الخمر ليلاً ونهاراً للمسافرين... بينما كان همُّ أصحاب الخانات إغراء الشعب البسيط، وإفساد أخلاقهم، وتحويلهم إلى جماعات من الكسالى دون رغبة في العمل، حيث كان «الجيد» يقوم بابتزاز كل ما تبقى لديهم من الخبز، والقمح، والبذار، وعدد الحراثة.. وبالتالي فقدان الصحة وضياع الحياة.

تم في عام ١٨٨٦ أيضاً، إجراء دراسة استقصائية «الصفة الحضارية» عن إحدى مقاطعات روسيا (مينسك) - حيث تبين أن ١٥٤٨ من المؤسسات الغذائية التي يبلغ مجموعها ١٦٥٠، تخضع لملكية اليهود (٩٩٪). وإن وباء الإدمان على المشروبات الروحية، كان مصدراً للأمراض والأضرار الأخرى، كتفكيك الأسر، ونشر القمامة والتسول والإفلاس. وبينت هذه الإحصائية «أن من ١٢٩٧ كشك لبيع الدخان، كان منها ١٢٩٣ ملكاً لليهود»[1].

يرد في مقالة عنوانها «العناصر الأخلاقية - الفيزيولوجية في المقاطعات الغربية الشمالية»[2] قول مفاده «إن تناول الفودكا في السنوات المبكرة من العمر، يعرض الفلاح إلى المرض المبكر، ويضعف قوته، ويحد من قدراته.. وتنتشر في صفوفهم الطفيلية، والفقر والتسول، مما يجبرهم على العيش في أكواخ مهلهلة، يتراكض

١- لد فد سونبوتن - صفات التحضر لليهود - إصدار عام ١٨٨٨ ص ٢١.

٢- مجلة روسيا الغربية - مجلة ادبية تاريخية - فيلنا ١٨٦٥.

الأطفال بينها أشباه عراة لا يرتدون إلا القمصان، وكثيراً ما يفتقرون حتى لقطعة خبز»[1].

أليست هذه كلها أدلة وبراهين تثبت حجم الضرر الواقع على كاهل الأجيال المتعاقبة من جراء الجشع اليهودي؟... أليست هي أيضاً بنفس الوقت سياسة لمعاداة السامية؟... يستغلها الدعاة الصهاينة، ويتسلحون بها، لمنع الحكومة من إصدار أي تشريع يوقف سيطرتها على هذه التجارة، التي هي القوام الأساسي في بنيوية الذرائعية الهائلة التي تطلقها «الأمة اليهودية العالمية» المنادية بحق الأجداد وأرضهم، اعتماداً على مبدأ معاداة السامية التي تطال كل من هو غير يهودي، بقدر ما يمنع أو يعيق فكرة التفوق العرقي لليهود على غيرهم من الأعراق فيما لو صح اعتبارهم عرقاً مميزاً كما يدّعي حاملو لوائها الذين جاء مبشروها الأوائل بفكرة «صهينة» الموسويين عام ١٨٦٢، عندما أصدر «غيس» (١٨١٢-١٨٧٥) كتاباً بعنوان «روما وأورشليم»، وتبعه أيضاً ليون بينسكر (١٨٢١-١٨٩١) بإصدار مؤلف عنوانه «آلية التحرير» قبل قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ بكثير[2]، ويتبعهما فيما بعد تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤) بكتابه (الدولة اليهودية)، وآحادعام (الذي يحمل الاسم المستعار أرشيرتفي كينزبيرغ - ١٨٥٦-١٩٢٧) وف. جابوتينسكي في كتابه (الصهيونية)، وأ. روبين (يهود زمننا الحالي، عام ١٩١٧... وغيرهم كثيرون من رواد الحركة اليهودية[3] الذين حملوا قضّهم بقضيضهم، الحقد على الإنسانية جمعاء دونما استثناء لمعتقد، أو لفكر، أو لدين، أو لرسالة، حيث دعوا وطالبوا باجتثاث كل ما هو مناف ومعارض وداحض لهم.

لقد حملت الفترة السابقة لقيام ثورة عام ١٩١٧ العديد من تكونات تنظيمية، تمثلت بعدة أشكال سياسية وحزبية بعدما انتقلت من صفة الدعوة اليهودية العامة، إلى صفة التنظيم الحزبي المتمظهر على شكل تحالفات سياسية أو حالات اندماجية

١- المصدر السابق.

٢- غيس «رسالة عن القومية» (روما وأورشليم) - أوديسا ١٩٠٣، وبينسكر (آلية التحرير) - إصدار عام ١٩٠٠.

٣- سيميونك - الجنون القومي - مينسك بيلاروسيا ١٩٧٦ ص١٦.

فكرية مع مجموع ما كان سائداً في تلك المرحلة من قيام أحزاب متعددة داعية إلى تخليص الطبقات المستغَلة من ربقة التسلط والعبودية والإقطاع باستخدام وسائل ثورية تقدمية ممنهجة، تحمل علناً ودون تخفٍ الصفة الأساسية لدوافعها وبواعثها العامة.

لقد مارست هذه التشكيلات بشكل جدي عملية جمع الطبقات العمالية وإشراكهم في عملية نضالية واحدة تشترك فيها كل الفعاليات العمالية - البروليتارية، وتندمج في وحدتها النضالية، دون تفريق بين ما هو يهودي وغير يهودي، ضد الطبقات الأرستقراطية - الرأسمالية والبرجوازية الكبيرة، بغرض التخلص مما عانته من مشقة وظلم اجتماعي كبيرين، إلا أن المسوغ الكبير للفكر الصهيوني - الماسوني لم يبتعد عملياً عن هاجس أولئك الذين انضووا تحت لواء هذه التنظيمات، ولم تخلُ منهم تلك النزعة الغالبة على عملية الدمج النضالي هذا، مما ترك كبير الأثر في تأجيج الحالات الصدامية الفكرية بين نوازع تلك العامة وهذه الخاصة، وكان من أبرز هذه التنظيمات التي دعت إلى انفصالية الدمج النضالي بين مجموع العمال كافة، تنظيم حزب البوند المنظم على أساس علني موالٍ للفكر الأيديولوجي الصهيوني الذي تمثل بمجموعة مثقفين من الطبقة البرجوازية اليهودية المتعاونة مع التنظيم الصهيوني العام، على الرغم من محاولتها تنظيم «الاتحاد العمالي» في الأوساط الاجتماعية الفاعلة من الوسط اليهودي، والذي أطلق على نفسه تسمية «اتحاد العمال اليهودي العام في ليتوانيا، وبولونيا وروسيا» وقد ظهر البوند في أيلول عام ١٨٩٧[1] في نفس العام الذي ظهرت فيه الحركة الصهيونية بعد مؤتمرها الأول في بازل، ولم يخفِ أعضاء هذا التنظيم دون أيّ موارية أهدافه الواضحة، وطموحه الجلي، إذ جاء على لسان أحد أعضائه البارزين س. كوجانسكي: «إن قيادة البوند المثقفة لا تستطيع أن تفلت من النفسية اليهودية الإقطاعية» ومع ذلك لم تستطع الإفلات على الرغم من الزمن، الذي استمر فيه حزب البوند في روسيا حتى آذار عام ١٩٢١، وبرز من خلالها عدواً حاقداً على الثورة ذاتها، وغالباً ما أطلق الصهاينة عليه

١- المؤتمر الأول (لحزب العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي) - من وثائق المؤتمر المنشورة عام ١٩٥٨ - دار باليت ايزويل.

علناً «التحالف اليهودي» الذي يمتلك شكلاً منفرداً لتنظيم صهيوني، على الرغم من النفي القاطع من قبل أحد زعماء الصهيونية العالمية ف. جابوتينسكي بأن يكون البوند والصهيونية فرعين من جذر واحد، إنما هما قنال كبيرة وفرع واحد. إلا أن الأفكار التي أوردها بينسكر تحت الاصطلاح الأول «بوالي صهيون»، وهي كلمة عبرية تعني «الصهيوني العالمي»، مما يثبت بأن الكلام عن أحد التنظيمات الصهيونية، التي تخفي جوهرها الصهيوني العمالي، والتي أنشئ على غرارها البوند[1]، وفي عام ١٨٩٧ تشكل الفرع الأمريكي للبوند (اتحاد العمال اليهودي).

إن الموقع الذي احتله البوند سمح له بالمحاولة في تقسيم الطبقات العاملة في روسيا على الأقل، وإضعاف إمكانيتها في سلوك الطريق الثوري، ورفض الاشتراك في مؤتمر الحركة العمالية الثورية الذي انعقد بتاريخ ١٠ تموز عام ١٩٠٣ اشتراكاً فعلياً، واتخذ موقفاً قبيل انعقاد المؤتمر، مانع فيه الدخول في قوام العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي، على الرغم من حضور بعض الممثلين عنه المؤتمر، والذين عرضوا بعض ادعائهم في أن لحزبهم الوضع الخاص في حزب العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي، وقام بعرض هذا الادعاء كل من: ليبر، وأبرام سون، كولدبلات، يودين وكوفمان، وخرجوا من المؤتمر... وبنوا اعتقادهم في تلك المرحلة بشكل نظري وعملي على قيام وضع فيدرالي تقوم على أساسه علاقة تحالف واتحاد بين حزبيين مستقلين، الأمر الذي يحقق لهم بلا ريب تعزيزاً لمكانتهم، ويكسبهم استمرارية مطلقة التصرف في أن يتقولوا ما شاؤوا حسب ظروف تلك المرحلة المهمة، وليطرحوا رغبتهم في أن تتجمع الأحزاب العمالية الثورية في روسيا تحت يافطة الفيدرالية، وبالتالي تكتسب هذه الأحزاب كل على انفراد خاصية الاستقلالية القومية، ويصبح الرابط الأساس فيما بينها تحالفات تنظيمية تقود إلى التشتت، والإضعاف الفعلي لقوام الحركة الثورية في روسيا بمجملها.

إن المسعى الأساسي لحزب البوند، كان منحصراً في محاولته الرئيسية، لأن يثبت تلك الأفكار القائلة بوجود الأمة اليهودية الصهيونية، عدا عن تحقيق

١- جابوتينسكي، البوند والصهيونية ـ أوديسا ١٩٠٦ ص ٤٨.

الشكل الجذري التنظيمي لكل الأحزاب على هذا الأساس الذي سيبعد التعاون، ويعمق من التناقضات بين سلوك الأحزاب كافة. وقد شارك عدد منهم في نقاشات مطولة حادة حول هذا الموضوع، حتى خرجوا من المؤتمر على أثر التصويت، الذي امتنعت فيه عشرة أصوات) عن إبداء الرأي، وأيدتهم ثمانية أصوات (٥ من البوند، و٣ من الاقتصاديين)، ووقف ٣٢ صوتاً لصالح الآيسكريين الذين نادوا بفكرة وحدة الطبقة العاملة بغض النظر عن الانتماء القومي والديني، إلا أن هذه الأصوات (٣٢) انشقت في نهاية المؤتمر إلى مجموعتين، مثل الأولى ٩ أصوات من المترددين، والثانية ٢٤ صوتاً حافظوا على خطهم النضالي بوحدة الطبقة العاملة، وكان من المترددين في التصويت: مارتوف، الذي أصبح فيما بعد من زعماء المنشفية، وتسيدير باوم، اللذين ناديا بضرورة التكيف في الدعاية والإعلام الجماهيري، وجعله أكثر يهودية، ليحمل هدف تأثير الاجتماعيين الديمقراطيين في الوسط اليهودي، وليحضر فيما بعد إلى تشكيل تنظيم عمالي يهودي في تلك الفترة التي تعتبر نقطة التحول الأساسية في الحركة العمالية اليهودية، والذي قام على أساس صياغة مدينة فيلنا حسب اقتراح تروتسكي (ل. د. برونشتين) في نفس المؤتمر الاعتراف بالبوند كنوع من تنظيم خاص لحزب يشكل سنداً دعائياً، وإعلامياً وسط البيروليتاريا اليهودية. وتكلم أيضاً خلال سير المؤتمر، في الجلسة السابعة والعشرين من حزب البوند ليبر (م. ي. غولدمان) أكثر من عشرين مرة، محاولاً طرح الانفصالية والفيدرالية لحزبه عن الحزب العمالي الروسي - وتهجم على المؤتمر كل من: غ. ف. بليخانوف (من الاقتصاديين)، واكيموف (ف. ب. ماخنوفيتش)، ومارتينوف (أ. س. بيكر). ثبت بعد المؤتمر أنه من أصل ٥٥ صوتاً لممثلي المؤتمر (كان منهم ٤٣ صوتاً مقرراً، و١٢ صوتاً استشارياً) شكل اليهود منهم أقل من النصف بقليل (٢٥ ممثلاً: منهم ٢١ صوتاً مقرراً، و٤ استشارياً).

لقد تكلم ليبر في ذات الجلسة التي خرج فيها البونديون من المؤتمر قائلاً: «في عام ١٨٩٥... تشكل البوند، وقد ورد في الصحيفة التأسيسية... أنه يجب أن نعترف وبشكل جازم أن الهدف الذي يجب أن نسعى إلى تحقيقه وسط الاشتراكيين

والديمقراطيين من اليهود، أن يكون تنظيماً عمالياً يهودياً خاصاً»[1]. وجاء هذا الكلام طبقاً لما ما ورد في كلمة مارتوف في مؤتمر المثاقفية في مدينة (فيلون)، الأمر الذي يدل على أن تعاون ممثلي البرجوازية المثقفة اليهودية - الانتهازية في إطار المصالح الفئوية، والتقاليد الطائفية التي اعتمدها مارتوف، وممثلو البوندية الذين تابعوا الإعلان عن الفكرة اليهودية القومية، وضرورة انتشارها في الأوساط العمالية اليهودية.

أما خلال المؤتمر الخامس الذي اعتبر المؤتمر التوحيدي لحزب العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي مع البوند والمنعقد في ٢٥ نيسان عام ١٩٠٦ انشق أعضاء البوند، بين انفصاليين، ومؤيدين للتوحيد، إلا أنه بحلول عام ١٩٠٨، كانت قد منعت اللجان المحلية من البدء في الوحدة مع اللجان المحلية لحزب العمال الروسي الديمقراطي، وبقي عملياً حزباً منفصلاً ومستقلاً، سعى زعماؤه إلى تحقيق شعار الفيدرالية، وإلى تشكيل تحالف مع المجموعات والأحزاب الأخرى المضادة، كالمناشفة والكاديت الذين استطاعوا في المؤتمر السادس المنعقد في ٣٠ نيسان - ٩ أيار عام ١٩٠٧ أن يحصلوا على (١٤٣ صوتاً مقابل ٨٩ لصالح حزب العمال الروسي د. إ)، وبدؤوا في محاولة تحقيق فكرة تشكيل «حزب عمالي شامل» طبقاً لرغبتهم، يدخل في قوامه كل من الاشتراكي - الديمقراطي (البلاشفة والمناشفة)، والآيسيريين، والفوضويين، والبوند. وقد كان لهذا التحالف المتراص كبير الأثر والأهمية، حيث ترأس هذه المجموعة كل من الثالوث كوتس - ليبر - دان، الذين كان لهم الحضور الكبير في نصوص أشعار «ديميان بيدني» التي أطلق عليها «البيردان» وطبقت سيرتها الآفاق قبل ثورة أكتوبر[2]، ودأبوا إلى قطع دابر

١- المحاضر الأساسية للمؤتمر الثاني ص ٣١٦-٣٢٢ - وردت هذه الفقرة في البند الثاني من كراس تأسيس البوند - تأليف مارتوفد

٢- مثل البوندليبر (غولدمان)، ومثل الآيسيريين كوتس ودان (غور - فيتش أعضاء لجنة المركز للآيسيريين)، وقام الثلاثة بالتحالف مع الزعيم المنشفي بـ بـ اكسيلرود، وو. بـ ايراموفيتش (ريين)، وفـ ي دان واشتركت معهم بعض الشخصيات المعروفة في البوند - م ي خافير، وفـ د. ميدين (غرينبرغ)، وا. يا. موتنك (إبراموف) وفـ كوسوفسكي (م يا. ليفينسون) وبـ أ. ابراموفيتش (كان عضواً في لجنتين مركزيتين للبوند والمناشفة، وا. ي فاينشتاين (راخميلوفيتش) زعيم الآيسيرين، فـ م تشرنوف، وا. بـ كوتس ود. د. دونسكي، وم يا. غيدتلمان، وكان جميعهم من اصحاب المنبت الطبقي اليهودي المثقف - عن ألكسندر رومانينكو - كتاب الماسونية والصهيونية ص ٥٥.

التقرب بين العمالية اليهودية، وغير اليهودية عبر سلسلة من المؤتمرات الانفرادية لليهود دعت إلى ترويج فكرة إقامة تنظيم مستقل يجتذب العمال اليهود من صفوف حزب العمال الروسي د. إ. وقاوموا بشكل عنيد فكرة التوحيد، وبدؤوا في نشر التراث الثقافي القومي المستقل لليهود، ووحدة الثقافة القومية، وإظهار الفكرة البرجوازية القومية - الأمر الذي يؤكد أن «البونديين يجمعون أخطاء الكرة الأرضية» وجميع الانتهازيين الشذاذ الاجتماعيين الديمقراطيين في كل أنحاء العالم، ومن مختلف الأمم، ليضعوها في التنويع البضائعي السيئ الذي يملكونه - (قال لينين أثناء سرد موقفه منهم، ويضيف: إن البوند هو القبضة الحديدية لحزب البرجوازية اليهودية، وبالتالي الصهيونية. وقد وقفوا في الحرب العالمية الأولى في الصفوف التي ألحقت الأذى بروسيا، كل روسيا). وأبدى أعضاء البوند الصهاينة نشاطاً ملحوظاً بعد ثورة شباط، واعتبروا أن إسقاط القيصرية سيعزز الإمكانية مجدداً، للتصور الرأسمالي في روسيا[1]. وأولوا كل الأهمية لمشاركتهم في الحكومة المؤقتة، بغية الحصول على الحرية التي ناضلوا من أجلها، واعتبروها حرية البرجوازية - الديمقراطية التي تحقق بشكل أو بآخر المصالح البرجوازية اليهودية. وأصبح البوند عملياً ما بين شباط وأكتوبر عام ١٩١٧، القوام العضوي للحركة الصهيونية، وشارك ممثلوه في لجنة المؤتمر الصهيوني المنعقد في أيار في مدينة كييف، وحضره كل من الصهاينة من منظمة المجد اليكاتريني التي تعتبر أكثر الحركات المتحدة رجعية في التنظيمات البرجوازية اليهودية.

قبل انعقاد المؤتمر الاشتراكي عام ١٩٠٧ في شتوتغارت، حاولت قيادة حزب العمال الصهيوني - الاشتراكي المشكل في عام ١٩٠٤ الطلب من اللجنة المركزية لحزب العمال الروسي د. إ. لقبوله في الفرع الروسي لهذا الحزب التابع للأممية الثانية، رفض الحزب هذا الطلب. بعد ذلك حاول الصهاينة بمساعدة الآيسيري روبانوفيتش، وجينولوفسكي، اللذين كانا في قوام الفرع الآيسيري المسمى (حزب العمال الاشتراكي اليهودي) الذي كان عضواً في تلك الأممية.

١- الكسندر رومانينكو، الماسونية - الصهيونية ص ٥٥.

لقد أطلق بليخانوف غ. ب. على البونديين «الصهاينة اللا منطقيين»، ونوه إلى أنهم يعملون من أجل تثبيت صهيون (ليس في فلسطين فحسب، إنما في قوام الدولة الروسية). وكان البونديون قد أعلنوا في المؤتمر الأول لحزب العمال الروسي د. إ. صراحة، أن «الحركة العمالية - اليهودية، تعتبر من طليعة البروليتاريا لعموم روسيا»[1]، وكان قد حضر هذا المؤتمر تسعة من ممثلي البوند وهم: س. ي. رادتشينكو، و أ. أ. فانوفسكي، و ك. أ. بيتروفيتش، و ب. ل. إيدلمان، و ن. أ. فيغودتشيك، و ب. ل. تساتشابوسكي، و أ. كريمر، و أ. موتنيك، و س. كاتس[2]، وشكلوا في ذلك الوقت ثلث أعضاء المؤتمر. نظر البوند إلى نفسه كما يقول بليخانوف[3] على أنه: «أنموذج خاص» أي (المحور) الذي تدور حوله كل حركات البروليتارية الروسية، وتابع البونديون تمثيل دورهم، كتابع للصهيونية، إذ جاء على لسان فلاديمير ميدين في لحظة مكاشفة صريحة «إذا كان لا بد لك أن تكون تابعاً، فخير لك عندها أن تكون صهيونياً، وليس بوندياً».

١- المؤتمر الأول لحزب العمال الروسي د. إ. وثائق ومنشورات ص ٢٥٨.

٢- شيشتاك - نضال البلاشفة ضد القومية - الانتهازية البوندية ص ١٤.

٣- كان بليخانوف من الأيسبرين.

الصهيونية

من أكتوبر عام ١٩١٧ حتى منتصف الثلاثينيات

لقد تعددت المصادر التي تتكلم عن تلك المرحلة، إلا أن مجملها، كان ينحصر في نشر مقالات ماركس وآنجلز ولينين عن أيديولوجية وسياسة البرجوازية اليهودية التي لم تتعدَّ عملياً النظر إلى هذه المسألة إلا من حيث كونها حركة معادية للاتجاه النضالي البروليتاري العام الذي كان يجب أن تنظم إليه كافة الفعاليات العمالية بمختلف انتماءاتها العرقية والقومية كي تنتزع حقوقها من الطبقات المستغلة. إلا أن مجمل الاستنتاجات المستخلصة من مجموعة تلك المقالات، كانت تؤكد على رجعية الحركة البرجوازية اليهودية الداعية إلى النزعة القومية تحت إطار الانفصالية للعمالية اليهودية، نظراً لما تحملهُ من خصوصية وصفة مميزة لها عن مختلف الفعاليات العمالية العالمية، وبسبب اعتقادها بما تملكه من مواصفات تؤهلها لاستلام زمام الريادة والقيادة، بحيث تستخدم اللبوس النضالي العمالي كيافطة إعلامية تحفز تحت شعارها كل الطبقات العمالية اليهودية وغير اليهودية، وتشدها إلى التبعية العامة للسيطرة البرجوازية، هذا إذا لم تكن مسوغاً داعماً لها في مجال وصولها إلى سدة الحكم، وممارسة الحرية التي هي بحد ذاتها منظور هدفي لتلك الطبقة العمالية، دون الغوص في مسببات عماليتها وبؤسها واستقلاليتها.

لقد ورد بعض التقييم الدقيق للصهيونية في وثائق «كافتيرن» التي تعتبر في إطارها التمهيدي قاعدة لاستخدام المبدأ الاستقرائي في مشروع فلسطين، الذي كان قد نوه إليه إيسبالكوم كافتيرن (لجنة الكومونة الأممية) قائلاً: «إن محاولة نزع جماهير العمال اليهود من النضال الطبقي، والدعاية إلى الهجرة الجماعية إلى

فلسطين، تعتبر في جوهرها عملية مضادة للثورة». إلا أن أكثر المؤلفات التي حملت على الصهيونية، هو مؤلف البروفيسور أ. م. مالشكو[1] الذي نوه في مقدمته نقلاً عن لسان ف. يا. بيكون (متسلق القوة المضادة): «إن النضال ضد الصهيونية كان في عام ١٩٢٠ يقع بغالبيته على عاتق الأقسام اليهودية التي شكلت في ربيع عام ١٩١٨ من أجل العمل في أوساط العمال اليهود، وضمت في صفوفها عدداً من اليهود الشيوعيين، وبرزت من خلال نشاط هذه الأقسام النزعات المتعاطفة مع الصهيونية، ولم تُلغ هذه الأقسام إلا في عام ١٩٣٠، على الرغم من أنها ساهمت إلى حد ما في عملية تفكيك التنظيمات الصهيونية، بيد أنه استطاع أن يدخل في قوامها العديد من أعضاء البوند «أحباء صهيون» ومن بعض هذه المجموعات الصهيونية الأخرى، ومالوا بنزعتهم إلى العزلة والانقلاب، وحملوا العدوى بالطبع الصهيوني... «إن الخلل الأساسي في سير عمل هذه الأقسام، هو أنها لم تعمل ضمن المنحى الماركسي الصحيح وحسب تاريخ الصهيونية في (روسيا) حتى أكتوبر في السنوات الأولى من الثورة والحكم السوفياتي، حيث تمكن البونديون السابقون الذين احتلوا المناصب البارزة في هذه الأقسام، من النجاح في استجرار التفسيرات المنافحة عن الصهيونية من المؤلفات السوفياتية التاريخية. حيث ظهرت من المطبوعات الصادرة بين العشرينيات والثلاثينيات المسألة الصهيونية وكأنها ليست وليدة الإمبريالية، بل وكأنها جاءت كردة فعل من قبل العمال اليهود على معاداة السامية»[2]، ويضيف: «إن ما أوقف عملية تجميل وتزويق الصهيونية هي نكسة أحباء الصهيونية في بلدنا، والقضاء على الحلقات السرية الصهيونية المرتبطة مع المراكز الخارجية، على الرغم من أنه لم يتم القضاء عليها نهائياً، ولم تحل سكرة الموت على الحزب الصهيوني (أحباء صهيون) في الاتحاد السوفياتي، إلا في عام ١٩٢٨»[3].

ثمة مؤلف آخر نوّه إلى أن النجاح الكامل لم يتحقق من جراء العملية النقدية ضد حزب البوند الذي كان يتعاون كما في السابق مع الصهيونية (على الرغم من

١- أ. م مالشكو - المقدمة في كتاب بيكون (متسلق الثورة المضادة) مينسك بيلاروسيا ١٩٧٤ ص٤

٢- المصدر السابق ص ٤-٥.

٣- المصدر السابق ص ٥.

صدور الكثير من الكتب في العشرينيات التي تعرضت لتاريخية البوند المحتوية على الكثير من الوقائع الفاضحة للشخصية الانتهازية، إلا أنها وقعت في العديد من الأخطاء الجسيمة، وعدم الدقة في التفسيرات النظرية للكيان العملي لحزب البوند.. ولم تقدم النقد المناسب للانتهازية البوندية، على الرغم من أن البوند بدا برمته حسب المعطى التاريخي برمته ظهيراً للتنظيمات الثورية، زاعماً بأنه يتخذ موقعاً فعالاً في النضال ضد الطبقات المستغِلة) لكن «الضرورة تقتضي التنويه، إلى أن النتائج، التي توصل إليها الباحثون، حول الدور الريادي الذي لعبته الأقسام اليهودية في توجيه المؤلفات للتحدث عن الصهيونية، وعن المسألة اليهودية، وعن البوندية بشكل مقتضب، إنما ترك الأثر السلبي على محتوى هذه المؤلفات حول هذه القضايا المطروحة، وأدت إلى انخفاض الفعالية في كمية الإصدار، الأمر الذي أضعف القاعدة المصدرية للمراجع عن تلك السنوات، لا سيما أن الكثير من أعضاء البوند كانوا مشاركين في إدارة الصراع ضد الصهيونية، وكانوا على قيد الحياة آنذاك»[1].

كي نثبت محدودية تلك المراجع ومواربتها، لا بد من أن نتوقف عند تلك التناقضات التي عجت بها مطبوعات تلك المرحلة التي نتكلم عنها، ونستعرض إحدى المقالات النموذجية الصادرة تحت اسم «اليهود» في عام ١٩٣٢، التي اتسمت بالنظرية الواضحة، لا سيما من قام على صياغتها هي الأقسام اليهودية التي كانت تحتل المكانة القيادية في عملية تحليل الأحداث والإشكالات والمسائل التي تتعلق بشكل ظاهري في نقض الصهيونية، وكان قد شارك في تدبيجها وتأليفها كل من يا. روكينسكي، وت. كيليمان، وآخرون تحدثوا فيها وكأنهم المبشرون الأوائل، ووقعوا في أخطاء جسيمة، خاصة عندما أطلقوا على اليهود (العرق المضطهد)[2]، على الرغم من أن العلميّة السوفياتية كانت تنفي من حيث الأساس وجود مثل هذا المصطلح، الاضطهاد لليهود لا تتعلق بوضعيتهم العرقية، وعملية الخوض في المسألة اليهودية خارج الإطار الطبقي، لا تمت من حيث الأساس إلى جوهر العملية الثورية

١- الكسندر رومانينكو - الماسونية - الصهيونية - ١٩٨٦ ص ٦٦.

٢- نفس المصدر السابق عن باناناس س - نضال البلاشفة ضد الانتهازية البوندية نظرياً - سياسياً ص ٥.

بصلة من الصلات، وإن ما بين اليهود لا بد من أن يكون متعلقاً بشكل أو بآخر بوضعية الطبقات الاجتماعية سواءً كانت مستَغَلّة أو مستغِلة، طالما أن أرضية البحث كانت تتناول بشكل عملي حالة الاستغلال التي تطال اليهود واللا يهود. وما البرجوازية اليهودية، التي هي بحد ذاتها مع البرجوازية اللا يهودية المضطهد نفسه، والذي يقوم بممارسة التعسف والجور على الطبقات الدنيا أيّ كانت يهودية وغير يهودية على حد سواء.

يبرز في المقال أن «فكرة الصهيونية ترعرعت كتنظيم سياسي تحت تأثير الأحداث، ليس في روسيا فحسب، إنما في الغرب، وبشكل خاص تحت الضغط القوي «لمعاداة السامية»[1]. وإذا ما أعرنا الانتباه إلى مثل هذا القول، وتوقفنا عند كلمة «ترعرعت... تحت تأثير الأحداث» و «أيّ أحداث»، نلحظ الدليل الواضح على وجود مثل هذه القضية... وبالتالي ما هي إلا دعاية وافتراء، على أن الصهيونية «كحالة تنظيمية سياسية تحت الضغط، وبشكل خاص ضغط معاداة السامية» مما لا يتطابق والمفهوم الأيديولوجي السياسي القائل بأن اليهودية البرجوازية «الصهيونية» ظهرت ضمن القوام البرجوازي العام، وليس ضمن معاداة السامية، وهي التي استدعت هذا الظهور البرجوازي، إلا عندما يصبح مثل هذا القول منافياً ومناقضاً لما ورد في الماركسية ذاتها، من حيث إنها سياق تحليلي، وعرض لسببية التكوّن الاجتماعي الاقتصادي في تاريخية تكون الطبقات الرأسمالية[2].

يضيف المقال «اليهودي»: «إن عصر شاؤول، وداود خليفة سليمان، كان بين ١٠٥٠-٩٥٠ قبل الميلاد» وهو الزمن الذي بدأ فيه ظهور الإقطاعية، مما اقتضى ازدياد الطلب على الأجراء العاملين في حقول ومصالح الإقطاعيين في المدن والقرى والضيع، مما يؤكد ظهور الإقطاعية في زمن اليهودية القديمة، وتشكلت بالتالي «طبقة رأسمالية» من السكان و «ثورية» من حزب ثوار النواة، الذي شكله العمال الأورشليميون العاطلون عن العمل، والفلاحون المستأجرون والكهنة، الأمر الذي يدل، على أن التنويه إلى هذا التمثيل يتجاوز مفهوم الدولة اليهودية القديمة المقامة

١- المصدر السابق ص ٧٦.

٢- المصدر السابق ص ١٨.

على أساس الرق، ويميل إلى الحالة النضالية العريقة في القدم التي تعود إلى آلف عام قبل الميلاد، وتدلل على مدى البلوغ الذي وصلت إليه تلك الدولة اليهودية، وكأنها حالة من المستويات الاجتماعية والاقتصادية العالمية، وما أورثته هذه التطورية العالمية الخلاقة بعد آلاف السنين إلى الشعوب الأخرى ومنها الأوروبية التي لم تكن قد حوت مثل هذه الصلة الوثيقة التاريخية بالعلم وبالتالي برهنت على مزاعم استثنائية تاريخية عن الدور السباق في سياق التطور الاجتماعي للإنسانية جمعاء[1].

كان من أعضاء هيئة التحرير الذين دعموا هذه التقوّلات ن. بوخارين، - ويو. لارين (لوري) اللذان ارتكبا الكثير من الأخطاء في سياق حياتهما السياسية، بدوافع قد تكون واقعية من حيث سياقها التاريخي المنغرس في مفهوم الغربيين والشرقيين على حد سواء، والذين يؤمنون بالسياق التاريخي كحالة كانت قائمة وقابلة للوجود، ولا تتوفر إمكانية نفيها تاريخياً كواقعية مقبولة على الأقل في ذاكرة البشر، من التاريخ الديني التوراتي الذي يحمل مثل هذا الرد التاريخي لواقع قيام المملكة، وإرث الأسباط، والغزو البابلي. لكن كان من الأوجب، ألا يقعا في قبول هذه الاستثنائية في التاريخ الإنساني على أرضية الفهم العلمي الثوري لمجموع تكوناته، التي تعج فيها الأفكار المؤسطرة اللا مبرهنة للدور الأكبر. وبالتالي عندما يعتبر المقال أن «عصر النزوح» الذي جاء بعد الأسر البابلي؛ بعد تدمير المعبد عام ٥٨٦ ق.م، كان بداية الانتشار للشتات اليهودي، مما يناقض المفهوم الدامغ القائل: إنما اليهود وجدوا في كثير من أنحاء العالم بسبب «الطرد» كما يقال، وليس بفعل انتشار الديانة اليهودية في أوساط شعوب العالم[2].

ثم يضيف كاتبا المقال معبرين عن موقعهما الفكري قائلين: «إن العدو الكلاسيكي للبروليتاريا اليهودية، لم يكن دائماً الرأسمال اليهودي، بل كانت المواجهة الطبقية المتشابكة مع عامل العداوة بين اليهود واللا يهود، وبالتالي

١- المصدر السابق ص ١٩.

٢- ألكسندر رومانينكو - الماسونية - الصهيونية ص ٧٦.

«لا يمكن أن نصفها بصفة خاصة للصراع الطبقي في الأوساط اليهودية»[1] دون أن يعترفا بالأمر الواقع القائل بوحدانية الطبقة العاملة».

يورد ألكسندر رومانينكو أيضاً، أنه خلال تلك الفترة ظهرت الكثير من المؤلفات والمطبوعات التي تناولت تاريخية حزب البوند، على الرغم من أنها احتوت العديد من الأخطاء، وكان من المشاركين في كتابة هذه المقالات في تلك الآونة: م رافيس الذي أطلق على البوند تسمية «طليعة الحركة الثورية الروسية»، على الرغم مما كان يبديه هذا الحزب، وتحديداً في تلك المرحلة، من مواقف مخزيه، لما كان يمثله من مكانةٍ انتهازية داخل الحركة العمالية. ويضيف أنه صدر في عام ١٩٢٠-١٩٣٠ كتابٌ عن «التنظيمات الصهيونية»، وتطلب الأمر منا أن نخصه بقليل من التحليل النقدي، لما تضمنه من معلومات يمكن عند إخضاعها للاستقصاء التاريخي أن تبدو من حيث أساسها أعمالاً دعائية ليس إلا، قياساً مع المعلومات الموثقة (الموثوقة)، التي نشرها ن. أ. بوخيندير[2] «الحزب العمالي اليهودي المستقل»، المشكّل تحت إشراف عقيد الجاندروما «زوبو - نوف» كحركة سرية، استخدمت لزرع العملاء بين حلقات العمل الثوري السري. وكان من أبرز شخصيات هذا الحزب م. ف. فيلبوسيفيتش، الذي كان «لعبة واقعة تحت تأثير زوبونوف»، وصار فيما بعد «عبده المتحمس»... وتوقف نشاط هذا الحزب عام ١٩٠٣، ووضع جزء من أعضائه في حزب البوند، والبعض الآخر في الحزب الصهيوني الاشتراكي، وبعضهم في «جمعية أحباء صهيون». مما يؤكد مرة أخرى تلك العلاقة العضوية الرابطة لتاريخية تشكل التنظيمات الصهيونية تحت مختلف صنوف الأشكال، وقدرتها على التحوّل المتبدّل من شكل إلى آخر دون الاستغناء عن محمولها الفكري الأساسي المبني على التلفيقية الدعائية لركوب كل مرحلة زمنية بمعطى عقائدي جديد.

كان من بين المقالات، خطبة الأكاديمي نيقولا ميخائيلوفيتش نيقولسكي[3] (١٨٧٨-١٩٥٩) عن النظرية اليهودية الرجعية، التي ألقيت تحت عنوان

١- رافين - سنتان من الثورة في أوكرانيا ١٩٢٠ ص ١٤.

٢- بوخيندير ن أ. حزب العمال اليهودي المستقل (من وثائق الأرشيف المحفوظ عام ١٩٢٢ رقم ٣٠٢).

٣- نيقولسكي ن. م. مختارات من تاريخ الأديان ص ٣٩.

«الدين كوسيلة علمية» في اجتماع الحكومة البيلاروسية ٣٠ أكتوبر عام ١٩٢٢، إضافة إلى صدور كتاب آخر «شرك التوحيد في الديانة اليهودية» الصادر في مينسك عام ١٩٣١، ويقول نيقولسكي: «إن ما ينطبق على الدوائر البرجوازية اليهودية، ينطبق بشكل متساوٍ على العلماء اليهود الذين يعتبرون البوق الذي يظهر هذه الحالة الاستثنائية الشاذة، ويطوقون بآرائهم الدين اليهودي، ويمثلون من حيث الأساس وسائل الاستغلال اليهودي لجماهير العمال، مما يجعلنا نقف أمام هذا الواقع الذي تسيطر فيه المؤلفات العلمية على تاريخ الدين اليهودي، والتي تحمل الطابع العلمي الكاذب، بغية تحقيق المصالح الصهيونية المستثمرة لهذا الدين العجائبي الرائع، وتزوقه بشتى السبل، كي لا تسقط هدفيتها، لا سيما إذا اتضح أنه مجرد أسطورة قام على تزويرها العلماء اليهود المعاصرون والأسلاف. منذ وجود الدولة العبودية اليهودية القديمة التي برزت فيها عبادة يهوه الذي صار بمثابة أداة روحية للمستغلين، ووسيلة للتوسع، حيث بات هذا الرب المحاط بالنسور الملكية، والفناء المشمس، يمثل قدرة الرأسمال اليهودي على المضي في هدفه للسيطرة على العالم، مما ينطبق مع مدلول السياق التاريخي لليهودية نفسها الداعية من غابر الأزمان للسيطرة والسيادة على العالم.

وقد برزت في تلك المرحلة التي نتكلم عنها، بعض المؤلفات الداحضة لمعتقدية التنظيمات اليهودية، وصلفها الدعائي الكاذب. ومن خلال استعراضها الاستقصائي العلمي المتأطر ضمن مفهوم الطبقية العمالية وصراعها، يتبين عدم فقدان الأمل في أن تتحد القوى العاملة كافة تحت إطار نضالي واحد، بغض النظر عن منابتها الدينية والروحانية وقد صدر ضمن هذا المنحى كتاب (عمل آخر) في موسكو عام ١٩٢٢ «التحول الاجتماعي العالمي حسب العقائد المسيحية المبكرة»، وصدر عام ١٩٢٦، مؤلف تحت عنوان «أصول الأعياد اليهودية - والعبادة المسيحية». وفندت هذه المطبوعات بمجموعها النزعة اليهودية في الحقد على الإنسانية، مع التنويه إلى ذلك الشكل الأيديولوجي لتلك الدول العبودية اليهودية المعتمدة كأساس للفكر الصهيوني المتلبس تحت شعار الاشتراكية والأممية، واستثمارهما في تحقيق المقولة الأساسية بتفوق اليهود على غيرهم من الأمم.

لكن ما إن اندلعت ثورة أكتوبر، حتى بدأ الصهاينة في توسيع نفوذهم بشكل مؤقت، وذلك بفضل الدعم المالي الكبير من قبل البرجوازية اليهودية، ونشاط المعابد الدينية، وبفضل الحملة الدعائية الكبيرة بعيد إعلان بريطانيا عن إعطائها وعداً لليهود بإنشاء «وطن قومي» في فلسطين. وقد حصلوا عند انتخاب الجمعية التأسيسية (١٩١٧) على ٧٥٪ من الأصوات في ١٢ محافظة، واستطاعوا الحصول على سبعة مقاعد. في الوقت الذي لم تحصل فيه الأحزاب البرجوازية اليهودية الأخرى على مقعد واحد، وتكررت هذه الحالة أيضاً عند انتخاب ممثلي المؤتمر اليهودي لعموم روسيا[١].

لا شك أن قيام ثورة أكتوبر قد قلب العلاقات القديمة السائدة في المجتمع الروسي، ولا سيما تلك العلاقات القائمة على النزعة الفردية الشعوبية، وحاولت أن تستجمع العمال والكادحين كافةً في بوتقة الطبقة البروليتارية الموحدة لعمال مختلف القوميات والشعوب المتموضعة في المناطق والأقاليم، ضمن طرح شعار يحقق مبدأ توحيد مصالح القوميات كافةً مع مصالح الطبقات العاملة فيها. وقد أشار برنامج الحزب البلشفي الصادر عن المؤتمر الثامن للحزب في عام ١٩١٩ إلى أنه «سيتم تبني سياسة تقريب البروليتاريين، وإنصاف البروليتاريين من مختلف القوميات من أجل النضال الثوري المشترك للإطاحة بالإقطاعيين والبرجوازيين»[٢].

إلا أن تطبيق سياسة «النيب»، التي هي بمضمونها سياسة اقتصادية انتقالية للدولة، بدأ من عام ١٩١٨، مع تأخر تطبيقها إلى ما بعد انتهاء الحرب الأهلية (١٩١٨-١٩٢٠)، تضمنت بشكلٍ عملي تطبيق مبدأ المركزية في الإنتاج والتوزيع، ومنع التجارة الحرة عن طريق مصادرة المواد وتوزيعها ريثما تترسخ عملية السيطرة على الإنتاج، وتطوير القوى الزراعية والاقتصادية للانتقال إلى الاشتراكية وقد طالت هذه السياسة جزءاً كبيراً من اليهود البرجوازيين، وبعض المثقفين منهم المرتبطين بها وبأفكارها، على الرغم من أن الجزء الأكثر مصلحة في الاشتراكية

١- الصهيونية في روسيا القيصرية - ي. س. يفسييف وفوستوكوف - ترجمة هاشم حمادي ص ٩٦ - إصدار دمشق ١٩٧٦ منشورات الثقافة والإرشاد القومي.

٢- الحزب الشيوعي السوفياتي قرارات مؤتمرات الحزب - المجلد الثاني - ص ٤٣٦ - المصدر السابق.

والثورية انجذب إلى صفوف البلاشفة، وكان اليهود مثلهم مثل غيرهم من أبناء القوميات الأخرى ممثلين في الهيئات الحزبية، والقيادات المركزية والمحلية.

بغية جذب اليهود إلى صفوف الحركة العمالية، وتخليصهم من الرباط الصهيوني والمؤسسات الطائفية، أُحدثت «القوميسارية الخاصة بالقضايا اليهودية»[1] التي تأسست في كانون الأول عام ١٩١٨، وترأسها القوميسار «لاديما نشتين»، وعين نائبه (أ. غ. دوبكوسكي) وباشرت مهمتها في نشر أفكار ثورة أكتوبر، وأصدرت المطبوعات اليهودية الدورية منها الصحيفة اليهودية الشيوعية «دي لاناريت». وقد علق الكاتب الصهيوني س. ايتبيغنر على ذلك قائلاً: «فتح الباب أمام اليهود في الاتحاد السوفياتي للدخول إلى الجهاز الحكومي، والصناعة، والنشاط العلمي الثقافي»[2]، ومع كل هذا وقفت المنظمة الصهيونية الروسية، والمجموعات اليهودية القريبة منها، موقف العداء من النظام السوفياتي، وبدأت تشارك في أعمال مضادة - باستخدام أساليب المخاتلة والمكر والتخفي، خاصة بعد انعقاد اجتماع اللجنة المركزية الصهيونية في عام ١٩١٧، التي أعلنت من خلالهِ، إن الثورة «اغتيال إجرامي لحقوق الشعب» ودعت المنظمات التابعة كافةً إلى الوقوف في وجه «محاولات الاستيلاء على الحكم والدولة من قبل هيئات الإدارة المحلية الديمقراطية»[3]. وشارك أعضاء اللجنة في نشاط «مجلس إنقاذ الوطن والثورة» الذي أسسه الاقتصاديون الاشتراكيون والمناشفة من أجل تقويض ديكتاتورية البروليتاريا واستمر الصهاينة مع البونديين وبالتعاون مع الحلفاء أثناء العدوان على روسيا، وركزوا نشاطهم على توحيد كل العناصر الثقافية الروسية المعادية للبلاشفة[4].

أجمعت اللجنة المركزية الصهيونية في موسكو (٥-٨ أيار عام ١٩١٩)، ودعت إلى توسيع الهجرة إلى فلسطين، والبحث عن تمويل هذه الهجرة عبر الصندوق القومي، وأعلن ممثل المركز د. بوتسكي داعياً الصهاينة إلى الاستيلاء على

١- المصدر السابق ص ١٠٠.

٢- س. ايتبيغنر «تاريخ الشعب اليهودي» تل أبيب ١٩٦٧- ص ٦٢٣ عن المصدر السابق ص ١٠١.

٣- طلوع الفجر - ١٩١٧/١٠/٢٧- المصدر السابق ص ١٠٢.

٤- د. س. باسمانيك الثورة الروسية واليهودية (البلشفية واليهودية) باريس ١٩٢٣ ص ٢٠١ المصدر السابق.

السلطة «بالعنف»، وإبداء الاستعداد للتعاون مع الأحزاب الأخرى المعادية للنظام، واتخاذ جانب الحذر عند إقامة العلاقات مع حكومة روسيا الفيدرالية السوفياتية، ونوه إلى أن الطريقة الأكثر أماناً هي «إقامة علاقات عملية مع السلطة البلشفية»، وبادروا بحملة من السياسات التكتيكية عبر «هيئات تمثيل محايدة» (المجالس القومية اليهودية في بيتروغراد وموسكو)، كان من شأنها أن تغيّر طريقة العمل بعد ما ترسخت جذور الثورة، وقد أشار بعض أعضاء قيادتهم: أمثال إيدلسون، إلى ضرورة الالتقاء مع السلطة السوفياتية، واعتبارها «مسألة تكتيك، وليست مسألة سياسية»[1]. وعملياً بدأ العديد من الصهاينة من ممثلي الفئات البرجوازية الصغيرة اليهودية في العزوف عن التنظيمات الصهيونية، وحولوا اهتمامهم نحو النظام السوفياتي.

لقد قدّم الصهاينة المساعدات لقوات التدخل الغربية، وشاركوا في بعض المقاطعات جنباً إلى جنب مع الجيوش المتدخلة، ورحبت الطوائف والمنظمات اليهودية والصهيونية بقدوم الجيوش المحتلة، وراحوا يشكلون الوحدات[2] اليهودية للاشتراك في المعارك القتالية، واتفق جابوتينسكي في ٦ أيلول ١٩٢١ (أحد قادة الصهيونية) مع بتيلوروف، وسلافينسكي على تنظيم فرقة يهودية في أوكرانيا.

بعد فشل دول الوفاق، وهزيمتها أمام القوات السوفياتية، نقل الصهاينة نشاطهم إلى العمل تحت إطار السرية بعدما هاجر العديد من زعمائهم إلى الغرب، ليستمروا في توجيه الأعمال المضادة من هناك، بعدما منعوا من عقد اجتماعاتهم على الأراضي السوفياتية، واستمرت قوميسارية القضايا اليهودية بالعمل في أوساط اليهود، وأصدرت بياناتها المتكررة المنددة بتعاون اليهود مع دول الوفاق «إن للكادحين اليهود في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية وطنهم الاشتراكي، هذا الوطن الذي يدافعون عنه إلى جانب عمال وفلاحي روسيا ضد الحلفاء الإمبرياليين وحلفائهم، لم تعد هناك مسألة يهودية في روسيا، فالعمال واليهود

١- المصدر السابق ص ١٠٦.

٢- أ. يا. هيفيتس «الرجعية العالمية المجازر اليهودية» المجلد الأول - خاركوف - ١٩٢٥ ص ٢٤٣ - المصدر السابق ص ١١١.

والجماهير الكادحة يتمتعون بكل الحقوق الاجتماعية والمدنية، ولم يعد ثمة عائق في طريق تقدم وتطور الثقافة اليهودية. لسنا بحاجة لأي بلد آخر، وليست لدينا أيّ حقوق قومية في فلسطين. إننا نعترف بهذا الحق للجماهير العربية الكادحة وللبدو»[1].

إلا أن الصهاينة لم يوقفوا نشاطاتهم التخريبية بهدف نسف الوحدة القائمة بين مختلف شعوب الاتحاد السوفياتي عن طريق إثارة النعرات الدينية الطائفية بين سكان الاتحاد، وكثيراً ما استخدموا الأكاذيب والتلفيق، وترويج الثقافات الغربية الرخيصة، وتخريب الثقافة الوطنية. وتعتبر محاولات الصهاينة في التسلل وممارسة التأثير الفكري والمعنوي قديمة جداً، منذ تسلل الصهاينة إلى الكوفتيرن (المؤتمرات الشيوعية) وشاركوا في أعمالها تحت ستار «الشيوعيين»، وعلى سبيل المثال نذكر بأنه جرت مشادة عنيفة بين لينين (أثناء ترأسه لجنة دراسة المسألة القومية التابعة للكوفتيرن (الأممية الثانية)، وبين الصهاينة الذين قالوا: «نحن أمميون، ثوار، والعرب إقطاعيون متخلفون، ولا أمل في تقدمهم، ونحن قوى ثورية علينا الانتشار بين العرب وعلى أراضيهم للتطور هناك»[2]. ولم ينته سعي الصهاينة بعد قيام ثورة أكتوبر، بل استمروا في نضالهم ضد الدولة السوفياتية الفتية باستخدام وسائل التخريب كافة والتجسس والتظليل، إذ راحت المنظمات السرية تعمل تحت أشكال متنوعة كالمنظمات اليسارية، والمنظمات الخيرية (مثل المنظمة الصهيونية - أجويند) التي تعتبر منظمات صهيونية عسكرية إرهابية، وقد حاولت منظمة «أجويند» بعد عام ١٩١٧، الظهور بمظهر المنظمة الخيرية، زاعمة أنها تساعد اليهود الروس على تحسين أوضاعهم المادية، واستمرت كما استمر غيرها من المنظمات تحت أقنعة مختلفة[3]. «وبعد استقرار السلطة السوفياتية بعد الحرب

١- س. أغورسكي «العامل اليهودي في الحركة الشيوعية» ١٩١٧-١٩٢١- مينسك ١٩٢٦ ص ٤٢-٤٤ المصدر السابق ص ١١٤.

٢- حوار مع يفسييف - جريدة الثورة دمشق ١٩٨٨/٢/٢٩.

٣- الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - يفغيني يفسييف - هاني مندس ص ٤٦ من تقرير لرومانينكو مقدم إلى قيادة الدولة والحزب عام ١٩٨٩ عن النشاط الصهيوني الراهن في الاتحاد السوفييتي

الأهلية، اتخذت إجراءات للقضاء على المنظمات الصهيونية، وعندها اتجهت هذه المنظمات إلى العمل في السر، وبشكل معاد للنظام، حل بعضها رسمياً. مما جعل أعضاء تلك المنظمات يتجهون للدخول في الحزب الشيوعي، ومنظمة الشبيبة «الكوسمول»، والسلطة ككل، ومن هؤلاء أعضاء منظمة «بوالي صهيون» أي «الحزب الشيوعي اليهودي»، ومنهم على سبيل المثال: ميخايلس العضو البارز في هذا الحزب، ثم أصبح عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي، وفي عام ١٩٣٧ أصبح رئيساً للإدارة السياسية، ولعب دوراً أساسياً في اضطهاد قادة ومفوضين مسؤولين في الجيش الأحمر. كما أن دخول «بعض الذين كانوا أعضاء في المنظمات الصهيونية» مؤسسات الدولة، وصفوف الحزب الشيوعي، ومنظمة الشبيبة (شكل ظاهرة معقدة جداً كان لها كبير المعنى، وأثبتت الأحداث لاحقاً أن جزءاً منهم ظهروا صهاينة حقيقيين»[1]. فالمنظمات الصهيونية التي جرى حلها أكثر من مرة - بناءً على قرارات متخذة في العشرينيات والثلاثينيات - أخذت تعبر عن نفسها «بشكل مستتر وخبيث، وبأشكال وألوان متعددة».

١- المصدر السابق ص ٤٧.

من الثلاثينيات حتى الستينيات

قيم بعض الكتاب ومنهم فلاديمير بولشاكوف الباحث (التاريخي عن الصهيونية) سبب عزوف المؤلفين الروس (السوفيات)، ولفترة طويلة عن التطرق إلى نقد الصهيونية التي تعد من أكثر المسائل المعاصرة أهمية، ولا سيما بعد صدور مقالات اليهود في الموسوعة السوفياتية، قائلاً: «نلحظ وبدون الغوص في التحليلات التفصيلية لأسباب النسيان - سبباً واحداً من هذه الأسباب، ألا وهو أن مجرد التحرك ضد الصهيونية، تقوم الأوساط الدعائية الصهيونية، وبسوء نية، بتصنيف هذا وذاك ضمن خانة «معاداة السامية»، وهذا بدوره أثر على إدراك فكرة معاداة الصهيونية في الأوساط الاجتماعية في العالم، الأمر الذي انعكس على الرأي العام العالمي، وعلى أعمال الباحثين السوفييت»[1]، ولا ريب أن هذا التغاضي ترك الأثر السلبي على الوقوف في وجه هذه الأيديولوجية المتسمة بالتعصب القومي غير المحدود، على الرغم من أن ما ورد في الموسوعة الصادرة في تلك المرحلة، من أفكار ومواضيع تتضمن الشيء الكثير عن هذا الموضوع المهم في بنيوية المجتمع السوفياتي، لا سيما أنه لم يمر الوقت الطويل على تلك التجليّات التنظيمية الصهيونية - الماسونية في عمق الشعب الروسي - السوفياتي، الجديرة بألا تنسى خلال زمن قصير، لا سيما أن الموسوعة صدرت تحت نظر قيّمي الصحافة في تلك الآونة، والتي كان يمثلها بوخارين الذي كان جديراً في ملاحظة تلك العبارات القائلة: إن «الصهيونية ظهرت أو انتشرت انتشاراً واسعاً عاماً، مما عرض الجماهير اليهودية لعداء السامية والنزوح والاضطهاد، وهذا التصور وحده كاف لأن يعتبر سرداً لا يلامس الحقيقة، ولا حتى حقيقة المسألة اليهودية بحد ذاتها، إنما يعطيها غطاءً شرعياً، ويقبلها كحالة مشروعة تعطي الحق لليهود في ممارسة تفردهم عن باقي الشعوب والأديان، ويسدل عليها الستار بطريقة غامضة، على غرار ما جاء في الموسوعة نفسها من أنها «القضاء

١- ف، ف، بولشاكوف - نقد الصهيونية في التاريخ السوفييتي - مسائل تاريخية ١٩٧٣ رقم ٩ ص ٧٩ - عن الكسندر رومانينكو - الماسونية والصهيونية.

النهائي على الفكرة الصهيونية تم في مرحلة انتصار الثورة الاشتراكية»[1]، ولا شك بأن مثل هذا القول يتسم بتفاؤلية مطلقة ومسبقة، وكأن عملية انتهاء الصهيونية عملية لحظية انتهت بانتصار الثورة الأكتوبرية دون أن تترك أي أثر عضوي في طبيعة المجتمع السوفياتي، وما هذا الكلام إلا لإراحة أو إزاحة القارئ، بعدما تعقم وطهّر نفسه في أدران هذا الوهم الصهيوني دون أن يتطلب منه جهداً في طلبه وإدراك كنهه وجوهره، وبالتالي خلق الطمأنينة في نفوس المتخوفين من أن كل شيء انتهى ولا حاجة بعد الآن لإثارة المخاوف، وتم تحييدهم عن الفهم البين لهذه المسألة، وضرورة الوقوف بوجهها، طالما تم طي هذا الموضوع بهذه العبارات المقتضبة الملتبسة التي تغلف خطورة الحركة الصهيونية ومجموع ما نتج عنها، أو ما قامت به خلال المراحل كافةً بدءاً من القيصرية، وانتهاءً بالسوفياتية. وكان هذا التنظيم «الصهيوني العالمي» قد طواه الزمن، ولم يبق إلا ذاك الأثر الفعال في تخريب المجتمع السوفياتي مستقبلاً، خاصة عندما يأتي التنويه في الفقرة ذاتها، بأن هدف الصهيونية الوحيد هو تهجير يهود العالم كافةً إلى فلسطين ليس إلا، مع أن هذا الاعتبار لا يمت في الواقع بصلة لذلك المعنى في الانتهاء، طالما بقيت الأهداف الحقيقية للصهيونية متعدية هذا الإطار بكثير.

كانت قد ظهرت ما بين أعوام ١٩٤٠-١٩٦٠ المؤلفات التي تتحدث عن أحداث فلسطين، والقضية الفلسطينية، وإقامة الكيان الصهيوني، وكانت بمجملها عبارة عن كلام عام لا يمت بصلة إلى الاختصاصية البحثية، ولا يعتمد التحليل التاريخي عند دراستها الاستعراضية للواقع القائم، إلا من أبواب ضيقة تتحدث بشكل جزئي عن الصراع المسلح ما بين أعوام ١٩٤٨-١٩٤٩، وسير هذا الصراع بين القوات العربية والإسرائيلية، إلا أن أكثر ما يلفت الانتباه في هذا، الكاتب كونالوف الذي أصدر كتاباً يتحدث فيه عن «الأردن في الوقت الحاضر»[2]، لكنه تعجل في توجيه نقده

١- الموسوعة السوفياتية القسم ٥١ ص ١٩٢.

٢- ل. ن. كينين - القضية الفلسطينية - المعرفة ١٩٤٨، كونالوف ل. ن. الأردن في الوقت الحاضر - دار نشر الكتب الشرقية ١٩٦٢ - وايفانوف ل. وشينبس - الحكومة الإسرائيلية - وضعها السياسي ١٩٥٨.

ولومه لسياسة الدول العربية دون أن يبين الجرائم الصهيونية العسكرية وغير العسكرية بشكل واف.

يتضح من خلال سير البحث عن وقائع تلك المرحلة، أن الطفرة النقدية للصهيونية قد اضمحلت بين الثلاثينيات والخمسينيات، على الرغم من ظهور كتاب عنوانه «حرب التحرير الوطنية للشعب الأوكراني ضد الملكية البولونية، والسكان اليهود في أوكرانيا» لمؤلفه ل. س. يوروف الذي اعتبر في ذلك الوقت واقعة غير عادية، لما تضمنه من محتوىً غني بالدعاية المضادة[1] المدعمة بالوثائق الداحضة للمفاهيم اللا علمية لمحبي صهيون، وللصهاينة، حيث أثبت على أساس مصدري ثابت، وعبر سيل من الوثائق، أن المرحلة التي سبقت انتفاضة الشعب الأوكراني ضد الطغيان البولوني، مارست فيها الصفوة الاجتماعية اليهودية دور الشريك لذلك الطغيان، عبر استغلالها الفلاحين الأوكرانيين، والطبقات الدنيا في المدن، وقد أعطى الإقطاعيون البولون والمستأجرين - اليهود، والتجار، ومديري الأعمال، والنظار أحياناً كثيرة «حق السيطرة على السكان المحليين المستعبدين»، مع الاشتراط بأن يقوم هؤلاء المستأجرون بدفع المبلغ المتفق عليه مسبقاً إلى الملاكين البولون. نورد على سبيل المثال ما ورد في اتفاق الملاك البولوني كوشيرسكي عام ١٥٩٥ مع إبرام شيمويلوفيتش: يقوم المستأجر اليهودي بإرسال خمسة آلاف ذهبية إلى الأمير كوسيرسكي الذي عليه أن يمنح المستأجر حق الإدارة والإشراف على جميع ممتلكاته (وحق التصرف المالي بالمطاحن، والحانات والخانات، والدكاكين، وبيع أنواع المشروبات الروحية كافةً، وأتاوة الغسيل والإشراف على أماكن الاستحمام مع العاملين فيها، سواءً أكانوا عمال أجرة أو بالسخرة، والذين يعيشون في تلك الأماكن في القرى، والتصرف بحقوقهم، وبأعمالهم، وعرباتهم وإطاراتها وأخشابها، والطواحين، والبحيرات، وفرو قنادسها، والأحصنة والخيول، والسهول وحصادها وأحراشها، وغاباتها وأشجارها، وغابات البلوط والنوارج، والبيادر مع الإنتاج الحيواني والزراعي من

١- س. يا. يوروف - مؤلفات تاريخية ١٩٤٠ رقم ٩ ص ٨٣.

الحبوب، والبذار المبذور في الأرض، وبكل شيء بما يتعلق بالدخولات كافة ذكرت أو لم تذكر»[1].

تظهر هذه الوثيقة النازفة التي يستشهد بها الكاتب تصوراً كاملاً عن مستويات ودرجات تحكم مدراء الأعمال الذين حصلوا على أقصى حدود الإمكانيات من الاستغلال المجحف للسكان المحليين، بالإضافة إلى إعطائهم حق محاكمة ومساومة الحكام المحليين، ومحاكمة الفلاحين المذنبين، ومعاقبة العصاة، وفرض الأتاوات المالية عليهم، وعقوبات الموت حسب حجم الجريمة الواقعة. ويضيف الكاتب: إن الطبقة الدنيا اليهودية كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً وتبعياً مطلقاً مع القيادة الطائفية اليهودية الرسمية التي كانت تسمى «أرستقراطية الفاغال» (أو الرواد الفاغال الذين تتجذر أصولهم في عمق التاريخ اليهودي)، وكانوا يميلون إلى الانعزال عن الأوساط المحيطة، ويخضعون حسب إرادتهم لهذا الانعزال الذي بلغ ذروته في الطوائف اليهودية بسبب ما كان يقوم بينهم من منظومة معقدة وقاسية في آلية الخضوع التام للجهاز القيادي اليهودي. وقد برز إلى الوجود عام ١٥٨٠ ما يسمى «فاد الدول السوداء»، وهو بمثابة جهاز قيادي مركزي ذاتي لقيادة الطائفة (يشبه المؤسسة الحكومية إلى حد بعيد)، وكأن الفاد هذا يسيطر على الجهاز القيادي اليهودي عبر جهاز مركزي ممثل برئيس «باريس»، وأمانة صندوق مالي، وسكرتاريا، وتتغير آلية السيطرة عند انعقاد الفاد الدوري الذي ينتخب هيئة قضائية تعمل كهيئة قضاء حقوقية عليا. ولشد ما تميزت به هذه الحلقات القيادية من شدة انضباط، وسيطرة فائقة، إذ تم التحكم بهذه الحلقات القيادية الثلاثة عبر خمس من الشخصيات، ومارس «الأغنياء من اليهود المعروفين بـ «التوفا» دور الجهاز الحقوقي في وسط المجموعة إذ كان يُحكم بالطرد من الجمعيات، كل يهودي يتمرد عليها، ولا يبقى له إلا التسول «كمابتسان»، ويُخنق بالضرائب، ويستخدم ضده احتياطي كبير من وسائل الإخضاع والعقوبات «وكان كل عضو في هذه الجمعيات يشعر بأيدي الفاغال تنغرس فيه، حيث كانوا يقتفون أثره، ويتحرون عن

١- المصدر السابق.

تصرفاته كافة، ويراقبون تحركاته الشخصية خطوة خطوة، واستطاعوا التحكم بمدخوله الاقتصادي بدقة متناهية». تحت هذه التصرفات والظروف القاسية من الاستبداد المطلق، أخضع الغاغال الطبقات الدنيا لسلطات مدراء الأعمال الذين يخضعون بدورهم، لأن يكونون أداة القيادة العليا، وكأنهم جنود الاحتلال البولوني الذي مارس ذلك الدور المستغل للشعب الأوكراني.

لم تكن مجموعات المستأجرين والتجار كبيرة، لكنها تميزت بدور اجتماعي سياسي بارز في الوسط اليهودي وفي الأوساط الأخرى، حيث اعتُبر الفلاحون (الأوكرانيون، والروس، والبيلاروس) جماهيراً يهودية ترتبط باليهودي المستأجر الأكبر الذي يمثل دور الظهير للمحتل البولوني[1].

لقد أطبقت هذه الحالة على جميع المدن الأخرى التي كانت واقعة تحت نير المحتل البولوني، لكنها عملياً تحت سلطة المستأجر اليهودي، حيث يقول مؤلف كتاب «المدونات التاريخية اليهودية» عند توصيف الحوادث التاريخية من قبل شاهد يهودي مباشر يدعى ناثان نوت غينفر: «إن واحداً مثل اليهودي زحار «مستأجر المدينة من المحتلين البولون، يماثل تماماً جميع اليهود في روسيا، الذين أصبحوا وفي جميع الأمكنة مدراء أعمال، أو مالكين، وسببوا بشكل مباشر الفقر المدقع»، ويستدل من قول هذا الشاهد في كتابات المنافحين عن الطليعة الثورية اليهودية المستغلة الذين لا تعنيهم الحادثة التاريخية، إلا إذا كانت واردة ضمن التوجه العام، أي التغطية الفكرية لمصالح أسيادهم. ويضيف غينفر: «كان لليهود جواسيسهم في أوساط السكان الأرثوذكسيين، نقلوا المعلومات كافةً إلى المحتلين البولون، لذا فقد اقترب البولونيون في تلك الآونة من اليهود كثيراً، وأصبحوا روحاً واحدة، وتحالفاً واحداً»[2]. ويتضح من هذا مدى ذلك الكره الذي يكنه الشعب الأوكراني لهم، والذي لم يأت، ولم يكن دون سبب أو هدف، وفي الوقت نفسه لم يكن على سبيل معاداة السامية، إنما كان أمراً طبيعياً ومشروعاً ضد المستغِل المحمّل بالظلم والتعسف والجور، الممارس من قبل الغاغال، الشريك

١- يوروف - أوراق تاريخية - ١٩٤٠ رقم ٩ ص ٩٠.

٢- المصدر السابق ص ١٠٤.

الأساسي للمحتل البولوني، والمساهم في قمع كل الانتفاضات الشعبية المتكررة ضد المحتل.

إن التقصد بالسكوت المطبق عن نشر مثل هذه الوقائع، هو خلل مبدئي بيني واضح في علم التاريخية يغفل هذه الحوادث، وكأنها ظواهر اجتماعية لا تنم عن حقد بغيض تحمله الجماعات اليهودية ضد الإنسانية كافة. ولا نرى مدخل الفهم الطبقي لهذا الكم من التصرفات الناتئة في سلوك التصرف الذاتي اليهودي نفسه، سواء كان غنياً أو فقيراً، يفك عقده هذا التكافل الاجتماعي الصارم، والتماسك المتركز في كينونة النفس الحاملة لهذا الموروث التعصبي، ويحيله إنساناً آخراً يمارس كما غيره من البشر سلوكاً يفضي إلى الإنسانية نفسها. وإن محاولة الكاتب يوروف في اعتماد المبدأ الطبقي عند دراسته البحثية لأحداث أوكرانيا، ما بين عامي ١٦٤٨-١٦٥٤، لا تنفي بأنه «جمع بدقة متناهية الأدلة المؤكدة لمشاركة الدهماء اليهودية في الصراع ضد المستغل اليهودي، وضد الاحتلال البولوني في نفس الوقت»، لكنه كثيراً ما قبل اليهود العمادة المسيحية للحفاظ على حياتهم فقط، ليعودوا بعدها إلى يهوديتهم بمجرد زوال الخطر وتبدل الأحوال، وإن كان مثل هذا الانتقال الآني قد حصل في مراحل تاريخية جمة، ولم تتغير صفة هؤلاء الأساسية إلا بالقدر الذي يحقق لهم الفائدة، ويعود عليهم، وعلى أبناء جلدتهم بالنفع العميم.

إلا أنه لا بد من التنويه بأنه رغم افتقار تلك المرحلة التي تحدثنا عنها إلى المخطوطات والمؤلفات، ورغم أهميتها الزمنية المفصلية الواقعة قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، لا تنفي عملياً، بأن الضرورة لم تقتضِ صدور مثل هذه المؤلفات الفاضحة لممارسات الماسون - الصهاينة داخل الاتحاد إبان مرحلة تلك المرحلة، ومن غير المستبعد استمرارهم في ذات الطريقة والفهم الذين درجوا على ممارستهما في مراحل الثورة الروسية كافةً وما قبلها وما بعدها. ولم ينكفئ الصهاينة قط عن تمثل أهدافهم السامية في تخريب المجتمعات والدول، وإن اتخذت منحى آخراً في طريقة ممارستها الفعلية في ذاك الزمن، الذي تبدّى فيه الفعل الماسوني التخريبي داخل الاتحاد السوفياتي بادياً للعيان، ولا سيما في المرحلة الستالينية التي أغرقتها

الأحداث الجسيمة بمهمات فاقت حدود إمكانية الدولة في تلك الآونة، وحاولت الابتعاد عن استعداء تلك المجموعات المسخرة والمستعدة لأن ترد الصاع صاعين، إنما بطريقة الإنابة، أي بتحريض المجتمع، وإثارة القلاقل والبلبلة، وتزويغ عقول العامة، واللعب في مصائر البشر وإذلالهم، وهذا ما لم ينقطع أبداً، بل كان موجوداً ومستمراً في كيان المجتمع، وممارساً من قبل اليهود، الذين اصطبغوا بالألوان الطبقية اليسارية التقدمية دون أن الأخذ بلون دواخلهم التي لم تحمل قط التلون الخارجي، إلا لتبقى على لونها الوحيد الأحد، وهو ولاؤها لقادتها الصهاينة الماسون الذين يُحكمون الحلقة حول صدورهم ورقابهم.

لقد قام منافحو القيادات اليهودية - الصهيونية المستقلة خلال تلك الفترة بتشويه الحقائق عبر بث العديد من المطبوعات - والمؤلفات، منها تلك التي كانت تصدر عن المطابع الحزبية، ودافعوا فيها عن الأحداث التي طالت أبناء دينهم سواءً في فلسطين ما بين عامي ١٩٤٨-١٩٤٩، أو حتى في الأوساط العالمية الأخرى حيث كتب ف. نبراخ:

«إنها لتعاسة كبيرة حطت على رؤوس اليهود، لأن ساطور قاطع الطرق يقع دوماً على رؤوس الضعفاء الذين لا عون لهم»، وهكذا نرى أن جميع الآراء التي طغت إبان تلك المرحلة صدرت عن جميع المؤلفين والكتاب الصهاينة والبونديين، وتميزت باللا منطقية، وبالغلو المعهود في التعصب لدينهم، الذين روجوه إما على شكل قومية أو عرقية أو أممية، وفي كل الحالات قد تكون باطلة لكنها غير ملغية في عقولهم على الأقل.

لقد قاد الصهاينة حملة دعائية كبيرة ضد المرحلة الستالينية، وعمدوا إلى تشويه القيادات الحزبية والحكومية، وألقوا عليها كامل المسؤولية في خرق القوانين وممارسات الإرهاب، والمحاكمات القضائية في تلك المرحلة، وصوروها أعمالاً مضادة لهم، بينما كان ظهراؤهم يتبوّؤون المناصب الرفيعة، ويتسترون تحت مظلة النظام ليقوموا بكل ما من شأنه أن يلحق الضرر بالوحدة الوطنية للبلاد، ويخلخل عملية التماسك الداخلي في تلك الآونة الحرجة من تاريخ الاتحاد السوفياتي، لا سيما أن أبرز المحاكمات القضائية والإرهابية والاعتقالية كانت

تقع على عاتق اليهودي الصهيوني (لازار غاغانوفيتش) الذي أشرف إشرافاً مباشراً على المحاكمات كافةً، وتنسيقها بمشاركة رئيس الجهاز الأمني «لافرنيتي بيريا الصهيوني وعميل المخابرات البريطانية، و «ليون ميخايلس» الذي عمل فيما بعد مساعداً لستالين ورئيساً للإدارة السياسية للجيش الأحمر (توفي في نفس العام الذي توفى فيه ستالين)، ولا يزال يُحفظ رماد جسده في جدار الكرملين، بينما تم في نفس العام إعدام بيريا رمياً بالرصاص.

لعب غاغانوفيتش دوراً كبيراً في تحطيم الإرث الحضاري للشعب الروسي وهدم الشواهد الحضارية الأثرية، وخاصة منها معبد «المسيح المنقذ» الشاهد على انتصار الشعب الروسي على نابليون (عام ١٨١٢). ومع كل هذا يحاول الصهاينة التستر على أفعالهم، ويحيدون أنفسهم عن المسؤولية في كل ما حصل، ويحملونها إلى شخص ستالين بسيل من المؤلفات والمطبوعات التلفيقية التي قام على نشرها الكتاب والصحافيون والمؤرخون الصهاينة أمثال: «أناتولي ريباكوف، والكاتب المسرحي ميخائيل شاتروف، والمسرحيون: أركاردي رابكين، وقسطنطين، وغينادي خزانوف، وزينوفي فيسكوفسكي، والهجّاؤون: أركادي أركانوف، وغريغوري غورين، وجفانيسكي»[1]، وألكسندر سولنيجستين، وآخرين.

١- الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - يفغيني يفسييف - دراسة هاني مندس ص ٢٦.

من الستينيات وحتى الثمانينيات[1]

اتسمت إصدارات تلك المرحلة بالتعرض للصهيونية كعدو للسلام والديمقراطية «ومخالفتها القواعد والأعراف الدولية الثابتة، والقفز فوقها»[2] ضاربة عرض الحائط بالرأي العام العالمي، والإخلال بمعايير السلم العالمي وميلها إلى العدوان، وتأجيج بؤر التوتر الساخنة في العالم، خاصة بعد تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية وإدارة الحرب الباردة ضد المعسكر الاشتراكي، مما أدى إلى ظهور المؤلفات التحليلية التاريخية لطبيعة تلك الأيديولوجية الصهيونية.

إلا أن الكم الكبير من الدوريات والصحف، ووثائق المؤتمرات الدورية للحزب المتعددة، لم تتعدَّ النظر إلى الأحداث السياسية الجارية في فلسطين، والدعوة إلى الوقوف إلى جانب القضية العربية لما لها من عدالة، وحقوق شرعية في أراضيها المسلوبة والمحتلة، مع التنويه إلى ضرورة إدارة الصراع النظري مع الصهيونية، لما تشكله من خطر على الاستقرار في العالم. وقد تميزت دوريات الحزب بدءاً من المؤتمر الرابع والعشرين المنعقد في عام ١٩٧١، وما تلاه من مؤتمرات، بتأكيد مساندة قضية الشعوب العربية، وضرورة السعي للوصول إلى التسوية السلمية والعادلة على أساس مقررات مجلس الأمن الدولي، والجمعية العامة للأمم المتحدة، وإنهاء آثار العدوان الإسرائيلي، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وإقرار الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني، وتدعيم السلام الكامل في الشرق الأوسط. بيد أن هذه المطبوعات والإصدارات لم تقتصر على إبراز الموقف والنظرة إلى هذه المسالة، إنما تضمنت بعض الأبحاث فكرة دحض الفكرة الصهيونية، كونها فكرة عالمية واحدة، وتؤدي واجباً وظيفياً على أساس أنها أيديولوجية خفية، وتمثل حجر الزاوية في تطبيق ممارسات تلك الحالة

١- يوري ايفانوف - حذار الصهيونية ص ٣-٦.

٢- الصهيونية حقيقة أم خيال - الطبعة الثانية ص ١٦٩.

الوظيفية[1]، الأمر الذي يشكل من وجهه النظر العلمية حالة مبدئية لا تحيد عن المفهوم النظري العام من حيث أنها قائمة على فلسفة صهيونية مدمجة لعدة مفاهيم متفاوتة ومتناقضة من حيث صيرورتها التاريخية، بغرض جعلها الأساس المتين لانطلاق الفكر والسعي الصهيوني، لتحقيق أهداف تطال الأمن العالمي، وتخل بمبادئه حتى تصل إلى الغاية المنشودة.

لقد جاء في تلك المواضيع البحثية المتعددة تفنيد لتلك المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في المفهوم الشعبي، وحتى في المفهوم الشعبي العلماني - التوافقي مع مفهومي «الأمة» و «الشعب»، كونهما ومع كل الأسف متساويان مع نفس المصطلح «المفهوم الشعب - الأمة»، و «الجماعة السلالية» و «الجماعة القومية» و «الجماعة الإثنوغرافية»[2]، واستخدمت جميعها في مواقع مختلفة على الرغم من أنها غايرت الواقع، وأثارت صراعاً فكرياً نظرياً عبر سنوات طويلة مع الصهيونية الحاملة لهذه الفكرة اللا مبدئية. وقد جاء في كتاب قام على تأليفه مجموعة من المفكرين[3] حول المسائل القومية، تطرقوا فيه إلى تحديد دقيق ألغى كل المصطلحات الآنفة الذكر؛ أي أن الأمة وحدة بشرية تاريخية مستقرة، تكون بذاتها شكلاً اجتماعياً تطورياً مؤلفاً من تراكيب وحدة الحياة الاقتصادية، والتآلف في وحدة لغوية واحدة، وأرض (إقليم)، وتملك الخواص الأخلاقية - الواعية، والسيكولوجية، وبهذا يكون مفهوم «الشعب» - الأمة متجانساً مع مفهوم الأمة من حيث التحديد الآنف الذكر.

ثم أيضاً تناول الكتاب السمات (القومية - الأقوام) و «وحدة اللغة والأرض» و «الوحدة التكوينية في الحياة الاقتصادية - السياسية - الأخلاقية». وما الجماعة السلالية - إلا وحدة محددة لعدة آلاف، أو حتى عدة مئات من الأشخاص، تجمعهم لغة واحدة، ويقيمون على أرض واحدة. أما الجماعة الأثنوغرافية هي جزء تركيبي من الأمة، أو من الأقوام[4]. والجماعة القومية هي «شرذمة» من أمة أو قومية خارجية

١- رومانينكو - الصهيونية - الماسونية - إصدار عام ١٩٨٦.

٢- الكسندر رومانينكو الماسونية الصهيونية ص ٧٩.

٣- اللينينية والمسألة القومية في الوقت الحاضر - إصدار دار السياسي - ١٩٧٤.

٤- نفس المصدر السابق ص ٢٣.

غير تابعة للمكان نفسه، أما القومية ينظر إليها كتعبير تنتسب إليه الأمة، والأقوام، والجماعات السلالية، والإثنوغرافية، وبهذا يكون التفسير الشرعي لهذا المصطلح «القومية» يطابق بشكل كامل الفهم العلمي. ويشار إلى أن وحدة اللغة، هي شرط ضروري لازم لكل ما يطلق عليه تسمية الجماعة السلالية، أما القومية فهي تعبير منتسب لأيّ وحدة منهم. وبالتالي تغدو مسألة فهم المصطلح «القومية» بشكل علمي ودقيق، هو أن نرفض التفسيرات اللا محدودة لهذا المصطلح، وغيره الكثير الذي يرد في المطبوعات والدوريات التي تختص بالبحث العلمي في مسائل الإشكالية القومية - لا سيما الصهاينة قد زرعوا الاختلاط والبلبلة المربكة في علم المصطلحات، بغية «الصيد في الماء العكر»، كي يدخلوا في التداول العلمي فكر «الأمة اليهودية الواحدة»، و «الأمة اليهودية العالمية» المتواجدة في جميع البلدان، أو «الأمة اليهودية الخاصة» و «العالمية» في نفس الوقت. كما يشير مؤلفو كتاب «الصهيونية العالمية - أيديولوجية وتطبيق»[1] إلى أن هذه الأيديولوجيا تأتي في الدرجة الأولى مضادة للنظرية الماركسية - اللينينية عن الأمة التي تدحض فكرة «الأمة اليهودية العالمية»، وتحاول استغلالها بغرض الترويج الدعائي لفكرة اليهودية العالمية، وتطمح إلى تحقيق المطابقة بين مفهومي «الأمة» و «القومية»، عبر طرح فكرة مشوهة مقنعة، ومعتصرة من أفكار «أثنية - سلالية»، باستخدام أحدث الطرق البحثية التي أنجزها العلم المعاصر. ويقوم الصهاينة بتعبئة هذا المفهوم «الأثيني»، وتزويقه بمختلف الأفكار المبهمة المشوشة، محاولين بذلك خلق الإمكانية للمقاربة مع مبدأ علمي كاذب، وتصوير المسألة، وكأن وحدة اللغة ليست الدليل الضروري لظاهر الإثنية - السلالية، لما يطرح تيودر هرتزل أحد منظري الصهيونية قائلاً: «إني لا أطلب من الأمة أن يكون لها لغة واحدة»[2]. ويظهر الصهاينة في التفسير الجوهري «للإثنية - العرقية (الجنسية)» مفهوم المذهب الإرادي الحر، ويصرون على التعمق بثبات في أدب الاختلاق والتلفيق، وكأن «حالة الشعور

١- سيمينوك - الجنون القومي، الأيديولوجية والتطبيق للصهيونية العالمية - دار الإصدار السياسي ١٩٧٨.

٢- قراءة في كتاب ضد الصهيونية - والعدوان الإسرائيلي - ناووكا ١٩٧٤ ص ٦١.

المتبادل» هي دليل أو شرط ينتسب لوحدة السلالة، أما وحدة اللغة فتبقى غير ضرورية، وما التصور الصهيوني «للسلالة اليهودية - العالمية» - إلا احتمال فكري كاذب لفكرة «الأمة اليهودية العالمية».

إن محاولات التلاعب الصهيوني التي يقوم بها الأيديولوجيون في تصوير مسألة اللهجات وكأنها لغة واحدة لليهود، على غرار لهجة الآيديش، أو «آيدش - دوتيش» التي هي بحد ذاتها مفردات لغوية ألمانية ونمساوية تعرضت لعدة تحريفات أو تشويهات نتيجة الاستخدام المديد المنفصل في أوساط الجماعات اليهودية، وهي بشكل أو بآخر مثيلة اللغة الألمانية، «وما هي إلا لغة قومية، بل هي رطانة حقيقية»[1]، ومع ذلك لا تعتبر هذه اللغة المحرفة لغة عامة لجميع اليهود الذين يعيشون في مختلف البلدان، مما فرض على الصهاينة عدم الإقرار بهذه اللغة «الآيدش - دوتيش» كلغة عامة لجميع سكان البلاد، على الرغم من ما يبديه المغالون الواعظون من عدم الاعتراف بهذه الحقيقة، كما ينظر الإسرائيليون المتعصبون إليها على أنها لغة «محرّفة»، وليست هي اللغة اليهودية. ومع ذلك تجري المحاولات من قبل المغالين الصهاينة في إثبات ما لا يمكن إثباته، من أن هذه اللغة هي لغة عامة لليهود، و «إن كان على سبيل المثال يوجد ١٪ فقط من مجموع يهود بريطانيا يتكلمون بهذه اللغة المحرّفة»[2]. لكن لا بد من التنويه إلى أن اللغة العبرية بحد ذاتها، ليست هي اللغة العامة لليهود القاطنين كافة في مختلف البلدان، حتى ولو كانت هي بالفعل لغة القيادة الدينية لخدمة الآلهة من يهود الإقطاعية القديمة، والتي فرضت حالياً على جميع اليهود في إسرائيل كي يتكلموا بها، بيد أن هذه الرطانات اليهودية كانت قد لازمت اليهود أنفسهم في مختلف الأمكنة، فعلى سبيل المثال كان اليهود قد تكلموا بالرطانة الإسبانية المحرّفة عبر عشرات السنين، حتى وأثناء نزوحهم في عام ١٤٩٢ إلى البرتغال، وتركيا، والبلقان، وآسيا الصغرى، وسوريا والعراق، وشمال أفريقيا. واستمرت الجماعات اليهودية

١- ماركس - انجلز - مؤلفات كاملة جزء ٨ ص ٥٢ - لينين المؤلفات الكاملة الجزء السابع ص ١٢٢.

٢- ن. غ. يوبا - الصهيونية وسيلة إمبريالية رجعية - كييف - راونبسكايا باشوكولا ١٩٨١ ص ١٠٩.

باستخدامها مع قليل من التبدل، وما زال حتى الآن جزء منهم يحتفظ في ذاكرته ببقايا تلك اللغة المبسطة من الإسبانية. كما يستخدم يهود الفلاشا لغة «الآكاي»، ويهود العصور القديمة والحديثة اللغة الآرامية التي ظهرت على أساس اللغة السريانية، مثلما ظهرت الآيديش على أساس اللغة الألمانية - مع قليل من الإضافات من الكلمات البولونية، وكما تكونت تلك اللغة على الأسس اللغوية الأسبانية مع قليل من الاقتباس من لغات تلك البلدان التي رحلوا إليها.

«إن هذا الذهان والتصور الديني الرجعي عن وجود شعب في العالم يعرف «بالأمة اليهودية»، أو «الأمة اليهودية العالمية»، أو «السلالة (الجنس) اليهودي» أو «العرق اليهودي»، ما هو إلا فكرة باطلة لا أساس لها من الصحة، وبالتالي تغدو فكرة الوجود العمالي اليهودي كما يقول لينين: فكرة «اليهودية» تنم عن وجود بعد «قومي» لدى الأتباع الصهاينة، أو عند الذين حملوا فكر الاجتماعية الديمقراطية (البوندية)، أو أولئك الذين تقوّلوا بفكرة «الشعب اليهودي» الواحد، كما يقول بن غوريون «عندما نقول «الشعب اليهودي الواحد» يجب علينا أن نتجاهل تلك القرينة، في أن الشعب اليهودي منتشر في كل العالم، أو كما يقول ليون بينسكر: «إن اليهود لا يعتبرون أمة بسبب فقدانهم وجود المقومات الأساسية لذلك، إلا أن «الشعب اليهودي» استمر في الوجود روحياً كأمة»[1].

إن زعماء الصهيونية العالمية، يسيرون على طريق تعليم «الأمة اليهودية العالمية» اللغة العبرية، ويتجاهلون حقيقة أن اليهود ليسوا نتاج «انتشار» أحفاد وأخلاف السلالات[2] القديمة «للعبريين»[3]، بل هم نتاج انتشار الديانة اليهودية العبرية في أوساط القبائل والأقوام المختلفة داخل الأمم والقوميات، والجماعات السلالية،

١- سيميونك ن أ. - الجنون القومي ص ١١٣، يوري ايفانوف - حذار الصهيونية ص ٤٣.

٢- أ. رانوفيتش - نبذة تاريخية عن الديانة اليهودية القديمة - أوكريك - ١٩٣٧ ص ١٤١-١٤٢.

٣- «العبريون» تسمية الأقوام القبلية الغازية - أرض فلسطين القديمة أوساط الألف الثانية قبل الميلاد، وقد تبدلت هذه الكلمة عبر عملية تبديل انطولوجي عبر آلاف السنين من لغة إلى أخرى، لتأخذ المعنى في اللغة الروسية «يهودي» - ف. ي. آنديبف - تاريخ الشرق القديم ص ٣٢٥، و(ف. ب. لاديين - مصدر الأزمة الخطرة - دار باليت زدات ١٩٧٣ - ص ٣٠.

الأثنوغرافية. وإن عملية استبدال تسمية اليهود العبريين، هي عملية غير شرعية وغير علمية، حيث اقتحم الغزاة العبريون فلسطين من شرق الأردن، ومن سهول شبه الجزيرة العربية، وما هم إلا قوم رحل، لم يشكلوا حتى زمن الدخول في أيّ قبيلة، أو قوم واحد قديم، بل عبارة عن حشد مختلف القبيلة، ومختلف الجنس والسلالة. حتى إن مفكراً صهيونياً مثل «روبين» يقر بالعوامل الواقعية التاريخية حيث يقول: «إن العبريين أثناء دخولهم المسرح التاريخي، كانوا عبارة عن نتاج لتداخل العرب، والسريان، والبابليين مع الآراميين والحثيين»[1]، إلا أن رابوفيتش يعقب على هذا قائلاً: «إن المعطيات المبعثرة الواردة في كتاب العهد القديم - تدحض هذه الحكاية»، التي صورت اتحاد الرحل - الغزاة «كشعب آمن بدين يهوي واحد، في مرحلة لم تتخطَ مرحلة البداوة»[2]، ويتابع: إن بعضاً من الغزاة الذين داهموا فلسطين القديمة «قد قتل وذاب بعضهم في وسط السكان المحليين، وضمت بضعهم روابط التواصل بين القبائل المحلية والقبائل الدخيلة» الأمر الذي يعني، بأن الهجرات السكانية إلى فلسطين القديمة الواقعة عند ملتقى القارات الثلاثة، وفي مكان يعتبر تقاطعاً للطرق كافةً بين الشرق والغرب، هي هجرات من مختلف المناطق، حتى بعد الغزو «العبري» إلى فلسطين، واختلاط القبائل والأقوام القديمة من مختلف الأجناس. وبعد ألف عام ظهر «القانون الديني اليهودي» الذي يمنع التزاوج المختلط، كما ينوه «شرايبر»[3] إلى أن عدة عوامل تشهد على استحالة ظهور جنين «الأمة اليهودية العالمية» بشكل ملموس، في الظروف التاريخية لفلسطين القديمة. ومن الطبيعي ألا تتوقف استمرارية اختلاطهم في القبائل والأقوام التي قدمت إلى فلسطين في تلك الفترة.

ثمة عوامل كثيرة تؤكد استحالة هذا الجنين المذكور، بسبب قلة عدد السنين لتواجد تلك الدولة اليهودية المستبعدة نسبياً، وعدم استمرار تأثير تلك

١- أ. روبين - يهود زمننا الحاضر - ساخرون ١٩١٧ ص ١٦٥.

٢- رانوفيتش - السمات التاريخية للدين اليهودي القديم - ص ١٤١.

٣- شرايبر - الصهيونية - الأسطورة والسياسة، ومن كراس - الصهيونية وسيلة إمبريالية - باليت زدات ١٩٧١ ص ١٨.

الظروف التي تستثني تلك البداءة «الجنين» ليزداد ويتضاعف عدد اليهود بمقاييس كبيرة بسبب اعتناق الديانة اليهودية من قبل زعماء القبائل والأقوام المختلفة التي لا تملك علاقة سلالية أو سبطية مع العبريين. فإذا كان قد ورد في «نشيد ديبورا» أن عدد الإسرائيليين المؤهلين لحمل السلاح كان ٤٠٠٠٠ أربعين ألفاً، فإنه في زمن داوود، بلغ مليوناً وثلاثمئة ألف (١٣٠٠٠٠٠)، وهناك لا يسعنا بالطبع إلا أن نتكلم عن معدل النمو السكاني الطبيعي: «ونقصد هنا أن عدد اليهود ازداد على حساب السكان المحليين، وأقاليم الجوار»، ويضيف رانوفيتش: إنه منذ زمن ظهور «آناشيد ديبورا» (الأثر الكتابي لليهودية القديمة) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وحتى تولي داوود المملكة في القرن العاشر قبل الميلاد، يكون قد مضى مئة عام، ولا يمكن أن تتضاعف أجيال اليهود خلال هذه الفترة القصيرة نسبياً بثلاثين مرة عن طريق التوالد، مع العلم أنه في نفس تلك الفترة، وجدت المملكة اليهودية القديمة التي واجهت الحرب، وتعرضت للاجتياح المتكرر، حتى تم القضاء عليها نهائياً، واختفت من الوجود بشكل نهائي، ولم تستمر أكثر من بضع عشرات السنين على قيامها إضافة إلى هذا كانت قد أخذت القوات المصرية القديمة الكبيرة العدد قد اقتحمت أراضيها (قرابة ٩٢٨ ق.م)، وخربت، وهزمت ذلك الخليط السكاني، وقسمته إلى دولتين: إسرائيلية ويهودية ناصبتا بعضهما العداء والحرب، عدا عن تلك الحروب مع قوات الجيران المجتاحة. وفي القرن التاسع ق. م قامت الدولة المؤابية بقيادة «ميخا» في الرد على هجوم إسرائيل القديمة المعتدية، وناصبها العداء، واحتلها، ودمر سكانها كافة «وقتلهم عن بكرة، أبيهم، بما فيهم الأزواج والشبان، والزوجات، والفتيات والعبيد» - كما جاء في نص ميخا القديم المحفوظ على حجر أثري -.

أما الملك السرياني شلمنصر الثاني قام عام ٧٢٢ ق.م باحتلال المملكة الإسرائيلية، وقتل جزءاً كبيراً من سكانها، ووطّن بدلاً من الذي بقي على قيد الحياة، والبالغ عددهم (٢٧٢٩٠) (حسبما جاء في النقش الحجري)، البابليين، والآراميين، وتم فيما بعد عام ٥٨٦ ق.م القضاء بشكل كامل على المملكة اليهودية من قبل الدولة البابلية، وأسرت من بقي منهم على قيد الحياة واقتادتهم إلى

بابل، ولم يبق أي وجود لمثل هذه التسمية، وتعرض من بقي من السكان اليهود إلى السحق الكامل في عام ١٤٢ق.م على يد الرومان. وتم «الاختفاء الكامل» لخلفاء وأحفاد «العبريين» القدماء، وانحلت، أو ذابت في أوساط الشعوب المختلفة[١].

وهكذا نرى أن محاولات الصهاينة المسلحين بالنظريات في إثبات وإبراز مسألة أن «جنين» الأمة اليهودية العالمية قد وجد في فلسطين القديمة، ونما وشكل هذه الأمة، وكونها بواسطة الانتشار الكبير، ما هي إلا فلسفة ساخرة. وما اليهود الذين يقيمون في مختلف بقاع العالم، إلا نتيجة انتشار الدين اليهودي الواسع عن طريق اعتناق القبائل والأقوام، والأمم الإثنية المختلفة لهذا الدين، عن طريق الكتبة الذين قاموا «بتهويد» السكان المحليين، واستخدموا القوة «تحت ذريعة اكتساب العبيد الجدد للإله يهوه»، سواء في أوساط المصريين، والإغريق، والرومان، أو في القبائل البربرية في الغرب. وأصبح البشر الداخلون في قوام الدين اليهودي، دافعي أتاوات لهؤلاء الكهنة اليهود، وتحولت عملية التهويد إلى مكاسب، واستجرار للأرباح لصالح القادة الحكماء لليهودية التي عملت على تثبيت دعائم ديانتهم، وتطبيق «الحق الذي منحهم إياه الرب المقدس يهوه»، أي أن اليهود «فوق كل الشعوب».

أخذت اليهودية خلال مئات الأعوام بالتوسع والانتشار، ووصل البعض منها إلى مطاولة القبائل الخزرية (القبائل التركية المستوطنة حوض نهر الفولغا الأسفل)، وشمل التهويد: الروس الكييفيين، وبعض القبائل الصينية بشكل جزئي، وعرفت عملية التهويد هذه بتهويد «الكايفين»، وبعض القبائل الهندية (بني إسرائيل)، واستمرت عملية اعتناق مختلف الشعوب للدين اليهودي منذ الأزمان القديمة حتى في أفريقيا (الأفارقة السود الفالاشا)، وجزء كبير من السود الأمريكيين. وقد أشار المؤرخون القدماء إلى العوامل الفردية المؤدية إلى الاعتناق الجماعي للعقيدة اليهودية، والتي قد تعود بسببها إلى إغراء زعيم قبيلة ما، لينجر وراء الأتباع كافةً، كما هو حاصل في الوقت الحاضر. لذا فإن غالبية اليهود في أوروبا، يعودون في أصولهم إلى الاعتناق الجماعي لقبائل الخزر التيوركية، والأوغورية، والبلقانية[٢].

١- يفسييف - الغاشية تحت اللجنة الزرقاء - ص ٢١ - كومسمولسكايا برافدا ١٩٧٠.

٢- شرابير - الصهيونية أسطورة سياسية - الحياة العالمية - ١٩٧٠ جزء ٦ ص ٩٦.

إن أكثر الأدلة عياناً، تلك التركيبة السكانية في إسرائيل الآن، والتي تثبت بطلان التصور الصهيوني عن وجود «الأمة اليهودية العالمية»، ففي إسرائيل يشكل ٦٠٪ من السكان «السفارديم»، الذين يختلفون عن اليهود الأوروبيين «الأشكناز» من حيث الشكل والعادات والطبائع النفسية، وقد خرج السفارديم من بلدان شمال أفريقيا، والشرق (لا يوجد مثيل لهذا التقسيم البشري كما في إسرائيل، إن كان في المقاطع الأفقية والعامودية والمائلة والدائرية)[1]، وخرج الأشكناز من دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد لفت الكاتب الباحث بولشاكوف[2] الانتباه إلى ضرورة استبعاد التشويش والخلط في فهم المسألة اليهودية القائلة «بالأمة اليهودية العالمية»، إذ يقول: «يرد في مؤلفاتنا أحياناً بعض التمريرات، بسبب عدم الاهتمام والاكتراث، أو لسبب ما»، ومن غير المناسب استخدام تلك المصطلحات مثل «الشعب اليهودي»، أو «الأمة اليهودية»، إلا أنه على الرغم من صدور هذه المقالة، ما زالت تظهر في الصحافة مثل هذه المصطلحات والتعابير التي تمت بالصلة إلى ظاهرة عدم استخدام المفاهيم العلمية، وقد برزت في المقالات النقدية التي نشرها سكورلاتف[3] المنشورة في كتابه: «الشيح البري» الصادر عن دارسوفتسكايا راسيا - ١٩٧٧، تحذيرات من هذا الخلط المشوه، وضرورة الابتعاد عن مثل هذه المصطلحات المرتسمة في ذاكرتنا بشكل مغلوط.

تعرض سكورلاتف وكل الكتاب المعادين للصهيونية إلى وسائل ضغط لمنعهم من نشر مقالاتهم ودراساتهم وكتبهم في وسائل الإعلام، بغية إرباكهم وتعريضهم للاضطهاد والمضايقة، وطردهم من وظائفهم وأعمالهم. وقد فرضت على سكورلاتف العقوبات الحزبية بسبب كتابه «الصهيونية وسياسة التميز العنصري» الصادر في عام ١٩٧٥، وطرد من عمله. وكذلك تعرض الأكاديمي المتخصص في نقد الماسونية والصهيونية «فاليري يميليانوف» (إلى قتل زوجته في مطلع الثمانينيات، وقاموا بتشويه جثتها، ووضعوها في ثلاجة منزله بغية اتهامه بالجنون)، وكذلك

١- أ. جيراميسكي - إلى الغرب من الأردن - وارسو ١٩٦٥ ص ٢٧ اللغة البولونية.

٢- سكورلاتف - خبز الألم «لأرض الميعاد» كومسمولسكايا براقدا ١٩٧٧ - حزيران.

٣- المصدر السابق.

طرد الباحث السوفياتي، «ريجيكوف» صاحب المقالات المضادة «للصهيونية والماسونية» من عمله، وطرد البروفيسور «فيجوديف» الناقد الشهير للتوراة، بينما جرت محاولات عديدة لطرد «يفسييف» من الحزب الشيوعي السوفياتي، وطرد من عمله عام ١٩٨٨. واضطر «ألكسندر رومانينكو» صاحب كتاب الطبيعة الرجعية للصهيونية، والماسونية والصهيونية وجوهرهما النفعي)، إلى ترك عمله كمدرس في فرع الماركسية - اللينينية في معهد الطب الأول في لينينغراد، بعدما حاول الصهاينة إلصاق تهمة «الاختلال العقلي به». وتعرض المستشرق «يوري إيفانوف» صاحب كتاب «احذروا الصهيونية» إلى الاغتيال (شنقاً) على أيدي الصهاينة في إحدى غابات موسكو عام ١٩٧٨، ورُفِضت رسالة الدكتوراه لجالينا نيكتينا صاحبة كتاب دولة إسرائيل لمدة عشر سنوات[1].

١- يفغيني يفسييف - الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - دراسة هاني مندس - دار كومبيو نشر للدارسات والإعلام والنشر والتوزيع - ص ٢٨.

السلاح الصهيوني القوي

إن مضاربة الصهيونية بشعار «معاداة السامية» يحمل معنىً سياسياً كبيراً، وتحول بيدها إلى سلاح قوي لتحقيق المرامي والأهداف البعيدة، وكوسيلة تخويف وترهيب لأعدائهم السياسيين، ولشد ما لعبت هذا الاتهامات والافتراءات دوراً في تحقيق النجاح لهم، وقهر أعدائهم.

ورد مصطلح معاداة السامية لأول مرة في كتاب لإحدى الشخصيات الأصولية الرجعية، القس الألماني واعظ بلاط القيصر «فيل كيلما الثاني». ويعتبر هذا الواعظ المدعو «أدولف ستويكر» شخصية بعيدة كل البعد عن العلم، وكثيراً ما استخدم هذا المصطلح، وكل من جاء من بعده، على أنه عبارة تعني حسب مفهومهم: كره وعداوة اللا يهود لليهود، بغض النظر عن الوضعية الطبقية لهما، وهذا يدلل على عمق الخدعة اللا طبقية، خاصة عندما ينظر إلى العلاقات المتبادلة كافة بين مختلف الطبقات في قوام السكان إن كانوا من اليهود، وبين اللا يهود من جهة أخرى، وهذا يعزز عملياً مكانة هذا المصطلح المبتكر في التعبير عن المرمى العام، والأبعاد السياسية التي تعرض اليهود إلى فرز أنفسهم كحالة اجتماعية مميزة عرقياً، وغير خاضعة للوضعية الاجتماعية من حيث تركيبتها الطبقية، إذ إن الظلم الواقع عليهم يغاير ما هو واقع على اليهود العمال والطبقات الأدنى منهم، وأكثر عمومية وعمقاً في كيان وجودهم الذاتي كمجموعة غير منفصلة، ومنفصلة حسب فواصلها الطبقية، ويبعد شبح السيطرة للطبقات المستغِلة على الطبقات المستغَلة، إذ إن الاستغلال عندهم يدخل ضمن تراكيبة التفوق العرقي أو النخبوي في تركيبة الجماعات اليهودية، التي وإن وجدت فيها

طبقات دنيا فإنما ذلك حاصل نتيجة لمعيارية التفوق ذاتها، وخاضع لحلول صفة الانتشال والخلاص التي تطال اليهود بمجملهم، دون الخلاص الذاتي لطبقة اليهود وحدهم، وينفي ضرورة التنازع بين الطبقات (طبقاتهم) كافة، وهذا يدل على عمق التقليدية الرجعية اليهودية في غرس وتعميق هذا المفهوم في ذاكرة الأجيال اليهودية وذاكرة المجتمع الإنساني، الذي يجب عليه، لا بل يطلب منه الرضوخ لمفهوم غلبة الظلم الاجتماعي - السياسي العام عليهم كعرق مميز، وإلا فإن إبراز الاتهام بمعاداة السامية لا بد من أن يكون قائماً في وجه كل من أراد النيل من تلك التراكبية المتماسكة لليهودية ذاتها، التي راحت تبحث لنفسها في مرحلة النشوء القومي عن أرضية تخلق على قاعدتها مفاهيم «القومية» أو «الأمة» أو «الشعب» لتنطلق فيما بعد إلى تحقيق هدفها العام في السيطرة على منظومة توائم فكرتها، وفهمها، وتبعد شبح التأثير الفكري العالمي السائد عن كينونتهم، كفئة لا تعرف الانقسام التصنيفي الطبقي ببعده البروليتاري، إلا ربما يتطابق مع مفهوم الرأسمالية البرجوازية، كونها تنحو إلى التقويم الفكري الحديّ للطبقات الدنيا، طالما أن الرأسمالية حالة تماسكية تذوب فيها المنابت القومية، وتتعداها إلى العام العالمي الذي يحقق لها ما تصبو إليه من سيطرة على هذا العام، الذي يخدم أغراضها وطموحاتها النخبوية، لتصبح على رأس السدة المالية (الطغمة) المتحكمة بصياغة القرار السياسي للكثير من الدول الغربية ذات الأنظمة الرأسمالية، وبالتالي لا بد من أن تغدو هدفيتها أكثر اتساعاً لتطال تلك الدول التي ما زالت ممانعة في الرضوخ لتفتتها، وتحيلها إلى دول لدنةٍ، قابلة للخضوع الاقتصادي المالي، حتى وإن كان هذا الخضوع غير شعبي، طالما كان المهم بالنسبة إليها الإمساك برؤوس الحكام، وليّها في ذات المنحى، وذاك الصوب الرأسمالي - الليبرالي المتحكم، بحيث يسهل عليها الأمر في إحكام القياد على رقاب الحكام والدول.

لكن الدعاية الصهيونية كما يقول بولشاكوف[1] «تطمح لأن ينظر إلى أي موقف معادٍ للصهيونية وكأنه معاداة للسامية»، وهكذا فإن المقاتلين الروحيين لليهودية، لا يقبلون بالطبقة كمدخل منطقي، لتعميم العلاقة المتبادلة بين اليهود وبين باقي الإنسانية، إذ يقول بينسكر: «إن اليهودي منافس بغيض... لكل الطبقات الأخرى»[2]، بيد أن مصطلح معاداة السامية للدفاع عن اليهود المتفرعين عن عرقيات صغيرة، والذين يدعون بأصولهم السامية التي يدخل في قوامها كذلك العرب، وبهذا تصبح معاداة السامية معاداةً «للعربية» في آن واحد وبالتالي فإن اليهود القاطنين في مختلف بلدان العالم، بما فيهم «السفارديم» و «الأشكناز» و «السابري» و «الكايفني» و «بني إسرائيل» لا يملكون السمة الأنتربولوجية العامة، ولا يمتون بصلة بأي شكل كان من الأشكال إلى جنس أوسطي (يعربي) بما فيهم السبط الصغير للسامية»[3].

إن الكذب الصهيوني اللا معقول عن معاداة السامية، ما هو إلا مقدمة للظواهر الأيديولوجية السياسية - التنظيمية البرجوازية اليهودية التي ما استحقت الاهتمام لولا انخراط الفلاسفة في دراستها من خلال المؤلفات العلمية، وربما مع شديد الأسف، قد يكون بعض المؤلفين السوفييت قد ارتكبوا أخطاءً بسبب استيعاب البعض منهم لما ما طرحته المصادر الأجنبية، وتأثر دون تدقيق نقدي، وتمحيص، على الرغم من ما كان يتطلبه الواجب منهم، في أن يقوموا بتدقيق ما كتبوا، وعلى سبيل المثال كما يورد «ليوكوردن»، في كتيب صغير «سيف داوود»، بأن تيدور هرتزل يعتبر المؤسس الأول للصهيونية[4]، علماً بأنه بات واضحاً من أن هذه الأيديولوجية الصهيونية البرجوازية ظهرت قبل ظهور هرتزل بزمن بعيد، مما يؤكد بأن هذه الحركة لم تظهر بإرادة إنسان واحد فقط، بل

---

١ - بولشاكوف ف.د ت.د الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ١٩٨

٢- بينسكر ل. التحرر الآلي ص ١٨.

٣- الكسندر رومانينكو - الماسونية - الصهيونية ص ٨٧.

٤- ليوكوردن - سيف داوود ١٩٧٧ ص ٢٩ - اللغة الإنكليزية.

ظهرت من تلك الارتكاسات، والانعكاسات العدوانية البارزة في مؤلفات موريس كيتس (روما وأورشليم) ١٦٠٦ وفي كتاب ليو. بينسكر «التحرر الذاتي» ١٨٨٢، ومن مؤلفات السير تسفي كيزنبرغ وأليعازر بن أنجودي... وغيرها الكثير.

الصهيونية والدولة السوفياتية[1]

تؤكد المصادر والمطبوعات كافةً بين عامي ١٩٥٠-١٩٨٠، على تفاقم حدة الصراع بين الفكر السوفياتي الشيوعي، والتنظيمات الاجتماعية السوفياتية من جهة وبين الصهيونية المناهضة من جهة أخرى. وأجمعت تلك المصادر على اعتبار السمة الأساسية لمفهومي الصهيونية، ومعاداة السوفياتية شيئاً واحداً غير منفصل، وبالتالي فإن هذه القاعدة الأيديولوجية، هي المنطلق الرئيسي للفعل الصهيوني في تلك المرحلة[2]، ولقد مارست الصهيونية معاداتها للبروليتاريا الروسية الثورية منذ الأيام الأولى لقيام تلك الثورة، مستخدمة تأثيرها الكبير في الأوساط السكانية من اليهود، وسلطانها على كل المجتمعات الدينية اليهودية. وقد اتضح هذا من خلال استعراض نتائج انتخابات المجالس التأسيسية في نهاية عام ١٩١٧ في اثنتي عشرة مقاطعة من المقاطعات الغربية من البلاد، حيث تبين أن الحزب الصهيوني قد سيطر على نسبة ٧٥٪ من أصوات اليهود، وألحق التأثير العدائي الصهيوني الضرر الكبير بمستقبل الثورة.

على أثر انسحاب نواب «بوالي صهيون» و «البوند» مع المناشفة والآيسيريين من الدورة الثانية للمجلس السوفياتي لعموم روسيا بدءاً من تشرين الثاني عام ١٩١٧، اتخذت «اللجنة المركزية الصهيونية» في اجتماعها الطارئ قراراً يدعو إلى النضال ضد دكتاتورية «البروليتاريا»، وتشكلت «لجان إنقاذ الوطن والثورة» من قبل زعماء المناشفة، والآيسيريين بهدف إسقاط النظام السوفياتي.

١- عن كتاب الصهيونية والماسونية - روما نينكو - إصدار عام ١٩٨٦.

٢- بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ٤، فد بد يفرلكوف، وا.ا. بازونوف - نقد الأيديولوجية الرجعية - الدعاية الصهيونية العالمية المناهضة للسوفياتية - مسائل تاريخية للحزب الشيوعي السوفياتي ١٩٧٩ جزء رقم ٣ ص١٠٣.

إن التجربة التاريخية لتلك المرحلة ضد الصهيونية هي تجربة عملية (وخير مقياس للحقيقة) امتحنت يسارية الصهيونية وأحزابها الأخرى «الاشتراكية» و «الثورية»، خاصة عندما وجد الصهاينة أنفسهم في جبهة واحدة مع كل القوى المناهضة للنظام السوفياتي، وأقاموا اتحاداً تحالفياً مع ألد أعداء الثورة المتطرفين، مما يؤكد بأن نزعة معاداة السامية للبلاشفة ليست هي التي دفعتهم للوقوف ضد الصهيونية كما يشيع الصهاينة، ويثيرون الضجة حولها، إنما هي طبيعة تلك التنظيمات البرجوازية اليهودية[1] المنتهجة سياسة معاداة الثورة، لا سيما منظري الصهيونية كانوا قد افتروا على الحزب البلشفي وصوروه كأنه تنظيم يهودي، بينما الواقع الفعلي يدحض مثل هذا التلفيق الصهيوني المتعاون مع الغفاردية البيضاء، المساهمة بشكل مماثل في تقويض هذا النظام البلشفي، وبالتالي ليست «معاداة السامية» مصدر هذه الخصومة مع النظام، إنما تلك العدائية الشرسة للجهات الخاضعة للسيطرة الصهيونية.

تم في الثاني من أيار عام ١٩١٨ عقد مؤتمر سري لكل التنظيمات الصهيونية المتفرعة عن «تسيير صهيون»، وتصدر المنهج الذي أقر في هذا المؤتمر عبارة «إن الاشتراكية تقف حائلاً في طريق الصهيونية» و «إن الصهيونية والاشتراكية ليستا قطبين متنافرين فقط، بل عنصرين ينفي كل منهما وجود الآخر»[2]. وهكذا سقطت كل الشعارات التي تخفت وراءها من «يسارية» و «اشتراكية» و «عمالية»، كما بين سلوك المجموعات الصهيونية بعد قيام أكتوبر مباشرة. «وجاءت مرحلة الحرب الأهلية لتثبت صحة تنصلها من حقيقة تقولها بتلك المفاهيم، وأزاحت قناعها، وتصرفت على غير عادتها في المراء علناً، ودعت إلى تحقيق أهدافها الحقيقية»[3].

كان الصهاينة قد عملوا على ممانعة صدور قرار بإيقاف الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا، وعملوا على الأصعدة كافةً في سبيل عدم إصدار ذلك القرار

١- بانافاس /تشي/ - نضال البلشفية ضد النظرية الانتهازية، وسياسة البوند ص ٤٢.

٢- بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ١٥.

٣- الصهيونية: نظرية وتطبيق - بالتيزدات ١٩٧٣ ص ٢١٧.

بالمصالحة وسيادة السلام بين روسيا السوفياتية وألمانيا[1]، وقد قام أحد زعماء الصهيونية العالمية حاييم وايزمن (ترأس حكومة إسرائيل فيما بعد) بإرسال برقية من لندن إلى أحد قياديي التنظيم الصهيوني الروسي في مدينة بيتروغراد - يوري زوزوف - يعلمه فيها بتوجيهاته «منع إجراء المحادثات مع ألمانيا».

يشار إلى أن رأي القيادة السوفياتية، كان قد بيّن مخاطر استمرار الحرب «التي ستفرض على روسيا بدون شك هزيمة كبيرة، وستجبرها على توقيع سلام خاسر منفصل، بغض النظر عمن يعقد هذا السلام سواءً أكانت الدولة الاشتراكية، أو أي حلف برجوازي، سيؤدي إلى ذات النتيجة، إذ إن الكلام يدور عن أن يكون النظام السوفييتي، أو لا يكون، مع أن هذا السلام الذي نقره الآن يقرر مستقبل البلاد، وبالتالي في حدود ما مستقبل الإنسانية. والدعوة التي يقودها التروتسكيون، ويدعون «الشيوعيين البارزين» في هذه الأيام العصيبة إلى التضحية بنظام الحكم السوفييتي، لمصلحة «دفع» الثورة العالمية[2] كما يزعمون، حيث وقف مع هذه الدعوة كل من الآيسيريين، والمناشفة، وزعماء الفوضويين بما فيهم اللجنة المركزية لحزب العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي، والاتجاهات المعادية كافة حتى أنه عند التصويت على القرار في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (الروسي الاشتراكي الديمقراطي) نال أنصار وقف الحرب (مع لينين) الأقلية من الأصوات[3].

ما إن وقعت اتفاقية الصلح (صلح بريست) بين ألمانيا وروسيا في مدينة بريست، حتى بادر حاييم فيشمان إلى إرسال البرقيات إلى زعماء التنظيم اليهودي في روسيا وفي مدينة بيتروغراد، وكييف (روزوف) لاتوبولسكي، غالبيرن، فانشتين،

١- يفسييف ي. س. معاداة الشيوعية - المضمون الأساسي للعنصرية الصهيونية ناوونشني كاموتيزم ١٩٨٧ رقم ٢ ص ١١٢.

٢- اللينينية والهزيمة الفكرية السياسية التروتسكية - لينيزدات ص ٢٧١-٢٩٢.

٣- محاضر جلسات اللجنة المركزية لحزب العمال الروسي الديمقراطي الاشتراكي - بالتيزدات ١٩٥٨ ص ١٦٥-٢٣٤ - مع تاريخ الحزب الشيوعي الروسي في الاتحاد السوفياتي - الكتاب الأول ١٩٦٧ ص ٥١٧-٥٣٦.

طلب فيها الاستمرار في إبطال هذه الاتفاقية. وفي كانون الثاني عام ١٩١٩ قام زعماء الصهيونية في الولايات الأمريكية (بانديس، هانس، فابيس) بتوجيه الرسائل إلى الصهاينة في روسيا يطلبون فيها المطلب السابق بوقف مفعول الاتفاقية، الأمر الذي يؤكد وجهة النظر القائلة بالتعاون الدقيق بين الصهيونية العالمية والروسية، ونشير هنا إلى أن تفاصيل هذه العلاقة تعتبر من (المواضيع غير المتداولة)، وما زالت «نقطة بيضاء في العلم التاريخي»، على الرغم من ما قام به بعض الكتاب أمثال يفسييف من توضيح المشاركة الصهيونية الصريحة في الواجهة العامة مع القوى المعادية للشعب، مما يستدعي فتح هذا الملف لإزالة هذه النقطة البيضاء.

يتبين من خلال استعراض عمل القوى الرجعية المشاركة في الحرب الأهلية أن التنظيم الصهيوني وقف مع الغفارديين البيض، ومع القوى الأجنبية الدخيلة، إثر حملة افترائية كبيرة اتهمت النظام السوفياتي (بما فيهم اليهود الشيوعيين) الذين عارضوا الصهيونية «بمعاداة السامية»، وقامت بإجراء اتصالات واسعة مع القوى المعادية للسوفياتية بما فيها منافستهم السابقة البرجوازية الروسية، ومع الألمان، ومع دول الائتلاف التي تدخلت لإجهاض الثورة، ومع «التجار الجشعين»، والرجعيين، وكبار الأغنياء، ومع الدوائر البرجوازية كافة، وفتحوا الباب أمام أيّ جماعة معادية للثورة[1]، وشغل كل واحد من الصهاينة، روزنبام، فيكورسكي، وراحميلد يفيتش، وآخرون المناصب الوزارية في وزارة «تاديب» اللتوانية التي شكلت في ربيع عام ١٩١٧ في مدينة فيلنوس، وكانت خاضعة للاحتلال الألماني. وشاركوا كل تجمع معادٍ، وأدخلوا ممثلي البرجوازية في قوامه. عدا عن أن الصهاينة تلقوا دعوة للمشاركة في شغل أيّ مناصب مناسبة في تجمع «رادي» للأوكرانيين، الذي أصبح بعد قيام الثورة واحداً من المراكز الرئيسية المعادية. ودخل الصهاينة فيما بعد قوام الأنشوطة المعادية للدولة السوفياتية، وفي الجهاز الحكومي الذي شكله دنيكين، وفرانكلين، وسكورابارسكي وآخرون من الأعداء. وعلى الرغم من ما حاق بالغفاردية البيضاء، وباليهودية من هزائم، إلا أنها لم تمنعهم من الاستمرار

١- سيميونك - الجنون القومي ص ١٩١.

بالتعاون مع الصهاينة من الأجناس كافة، بما فيهم ماخنو، وبولاك، وبلاخوفيتش[1]. وقامت منظمة «بوالي صهيون» بالتفتيش داخل الأراضي الروسية عن سبيل أيديولوجي للاتحاد مع التروتسكيين، وقامت بتنسيق نشاطاتها كافة مع الزعماء المناشفة والآيسيريين في عملية التحضير لإسقاط النظام.

ما إن بدأت تلوح في الأفق بوادر الانتصار على قوات التدخل، حتى بادر الصهاينة إلى اتخاذ جملة من التدابير تضمنت استخدام سبل التجارب السياسية التنكرية بهدف التكيف، وخلق الظروف للتعايش مع الاشتراكية مع الحفاظ على مبدأيتها العقائدية، ويأتي هذا في سياق الظاهرة التكتيكية الصهيونية، وتغلغلها في مختلف التنظيمات السياسية، إذ إن عملية زرع العملاء هي من أهم الوسائل، التي يستخدمها الصهاينة للوصول إلى أهدافهم، لا سيما أن أساليب تغير الألوان لهذه المنظمة، أثبتت دورها في إعاقة القوى الطبقية ذات المعلم الأساسي في الثورة، وما بعدها.

كان تنظيم «بوالي صهيون» قد قام منذ عشية الثورة الأكتوبرية بتنظيم العمل إلى جانب الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية لقيام دولة له في فلسطين، وعمل كذلك على قيام اتحاد تحالفي جديد تحت اسم «الاتحاد العمالي اليهودي الاشتراكي لبوالي صهيون»، ودخل في قوام الأممية الثانية قبل أن يتوقف وجودها، وانشق هذا الاتحاد فيما بعد عن كل الفروع التابعة له في روسيا، ففي عام ١٩٢٠ قامت إحدى المجموعات التابعة لبوالي صهيون بتشكيل «الحزب الشيوعي اليهودي لبوالي صهيون» في روسيا السوفياتية، وذلك للتستر وراء يافطة الشيوعية[2]، والحفاظ على قوة تأثيره في الأوساط الجماهيرية وتحييد التنديد بالفلسطنة، واستخدام آلية منظومة الدول الاشتراكية للتغلغل في الشرق الأوسط.

استمر الحزب «الشيوعي اليهودي» بالتواجد في روسيا حتى بداية عام ١٩٢٠ حتى قام البلاشفة بدراسة نشاطات هذا الحزب، التي تبين على أثرها أنه ما زال

١- بولشاكوف ضد الصهيونية في معاداة الشيوعية ص ١٩-٢٠.

٢- سكورلاتف - ملاحظات في كتاب بيكون - تدخل بدون سلاح ص ١٤٨.

يعمل على تحقيق أهدافه، وهي التخفي بأي شكل من الأشكال وراء الشيوعية لإخفاء هويته الأساسية، وليبقى تنظيماً صهيونياً.

«ازداد عدد المنتمين إلى هذا الحزب في عام ١٩٢٠-١٩٢١، بانضمام أعضاء البوند السابقين الذين خرجوا من التنظيمات الصهيونية الأخرى، وعمل على تقوية وجوده داخل البلاد وعلى المستوى العالمي، وأخذ على عاتقه قيادة التنظيمات التي أطلق عليها اسم «الاتحاد الشيوعي لليهود الشباب»، والتي شاركت في عمل الأقسام اليهودية من خلال القوميسارية الشعبية للتعليم، العاملة في المجالس المحلية، والنقابات، وثبت نفسه في دور إداري لما يسمى بـ «الاتحاد الشيوعي اليهودي العالمي» (فلتفيرياند باللغة الايدشية)، ودخل فيه أعضاء تنظيم «بوالي صهيون» في النمسا، بولونيا، ليتوانيا، تشيكوسلوفاكيا، وبلدان أخرى[1].

نشط أعضاء الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين، وساعدوا بدرجة كبيرة في توجيه عملية تضليل وإغواء الدوائر الاجتماعية في دول العالم، وصورت مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين - وكأنها عامل «إيقاظ الشرق للالتحاق بالثقافة الشيوعية»، وقد ثبت عملياً فيما بعد أن عملاء الصهيونية في الحركة العمالية دفعوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين لإقامة «الفكر الشيوعي»، وصورت أيّ مقاومة للهجرة اليهودية إليها وكأنها توجس بلشفي، وبهذا نجح الحزب الشيوعي اليهودي في تقديم مساعدة كبيرة للتوسع الصهيوني في فلسطين، واستطاع «الفلتفيرياند» تنشيط الهجرة اليهودية إليها، وتنفيذ الإرشادات والأفكار الصهيونية، وتمكن بالتالي من الحصول على المشاركة في أعمال الدورة الثالثة لمجموعة الأحزاب المنضوية تحت الأممية بصفته عضو استشاري.

كان تنظيم «بوالي صهيون» في فلسطين يخضع لقيادة «بن تسفي» و «بن غوريون»، وتحول فيما بعد إلى حزب «آحدوت - آفود» المنضوي تحت لواء الأحزاب اليهودية الصهيونية[2].

١- مالاشكوف بـ ا. مقدمة في كتاب بيكون (فلاديمير) الثورة المضادة ص ٨٠.

٢- سكورلاتف - ملاحظات في كتاب بيكون - التدخل بدون سلاح ص ١٤٨.

استمرت التنظيمات الصهيونية على أراضي الاتحاد السوفياتي بنشاطها حتى اتخذ قرار في عام ١٩٢٧ بحل هذه التكونات والتشكيلات الصهيونية بما فيها: «كاردون» و «خاشمير خاتسبير» و «بيتار» وتنظيمات أخرى. لكن الصهاينة حاولوا الحفاظ على تنظيماتهم تحت ستار أعداد كبيرة من الحلقات والجمعيات والاتحادات المتسترة تحت أسماء ظاهرية محببة، مثل «لجنة المساعدة اليهودية - اللينينغرادية» التي كانت في واقع الحال «غطاء يخفي تحته نشاط عملاء التنظيمات الصهيونية العالمية (جونيت) على أراضي الاتحاد السوفياتي، وفي عام ١٩٣٠ منعت هذه اللجنة من النشاط»[1].

يشير الباحث سوليشينكو في دراسته عن نشاط التنظيمات الصهيونية في روسيا البيضاء إلى أن أكثر التنظيمات التي دخلت في قوام حزب العمال الصهيوني الاشتراكي كانت أكثر نشاطاً من التنظيمات الصهيونية كافة قبل ثورة عام ١٩٠٥-١٩٠٧، وظهرت في العديد من المدن والأمكنة المتعددة في روسيا البيضاء. وفي عام ١٩٠٣ ازداد نشاط هذه التنظيمات الصهيونية التي سميت فيما بعد «بوالي صهيون»، وتحولت فيما بعد إلى «الحزب العمالي اليهودي الاشتراكي» الذي ضم بعضاً من البوند المناشفة، إضافة إلى تلك التنظيمات التي كانت تطلق على نفسها «المحايدين»، الذين يرجون أفكار الحزب الآيسيري[2]. وأبرز هذا الحزب البرجوازي الصهيوني علناً نشاطات صهيونية كافية لأن تكون «عمالية» من حيث التنظيم، وكان قد شكل على عجل وسرعة فائقتين حسبما نوه إلى ذلك أحد منظري الصهاينة «كولد شتاين» الذي قال عنها: «إنها تنظيمات «منفذة» لمهمة صهينة البروليتاريا اليهودية.

يقتضي الانتباه البالغ إلى ذلك الإصرار الذي أبدته الصهيونية في محاولاتها لتشكيل الحلقات الرئيسية في الاتحاد السوفياتي خلال السنوات العشر الأخيرة[3]، والتي تقوم بالتأمين الأيديولوجي للأقسام التخريبية بشكل نشيط وواسع، الأمر

١- ف. ي. سوليشينكو - البلشفية ونضالها ضد الأحزاب البرجوازية الصغيرة - مينسك - بيلاروسيا ١٩٨١.

٢- المصدر السابق.

٣- يفسييف - هذه هي المهمة التي أوكلتها الصهيونية - الفاشية تحت النجمة الزرقاء.

الذي يؤكد هذا التوجه للحركة الصهيونية العالمية، ومركزها القيادي القوي من تسلطها الدعائي، بهدف التأثير في عقول وقلوب اليهود السوفييت، وليقوم بإثارة الضجة الإعلامية الافترائية في الخارج عن «المضايقات اليهودية» التي يتعرض لها اليهود في الاتحاد السوفياتي، وتوجيه الاتهام التقليدي «معاداة السامية» لهذا الاتحاد، ويتغلغل في وعي الناس ذوي العقول الصغيرة، حيث ثبت عند العودة إلى المحاكمات التي جرت في مدينة ريغا، لينغراد كيشنيف، أن المجموعات العاملة في المدن ترتبط مع الرؤساء الصهاينة المعادين للاتحاد السوفييتي، ومع دوائرها الخدمية السرية[1]. «إن تحليل مواد المحاكمة يؤكد أن المحاكمين يعرفون إلى أين، ومع من تعاونوا، حيث كان تنظيمهم الأساسي «اوليان»، وهو عبارة عن مجموعات علنية تتخفى تحت تسمية «دورات» تعليمية للغة العبرية، وتاريخ إسرائيل، بينما المحتوى الأساسي لنشاط «أوليان»، كان الدعاية الصهيونية لمعاداة السوفياتية الافترائية التي تتلقفها المنظمة الرأسمالية الإعلامية «المتحررة» عبر الصحافة المطبوعة المحققة للشروط الجيدة للخداع والتضليل المؤثر على الأغلبية في دول العالم الرأسمالي، وإعطائهم انطباعاً غير حقيقي عن الحالة التي يعاني منها اليهود في الاتحاد السوفييتي.

جاء في كتاب «معاداة السوفياتية في خدمة الإمبريالية» الذي عمل على تأليفه مجموعة المؤلفين، تحت إشراف البروفيسور ي. د. مودرجينسكي، لوائح تفصيلية متضمنة معلومات ومعطيات عن عدد العاملين اليهود وغير اليهود في مجال العلوم، وعدد الطلاب في الاتحاد السوفياتي:

كان عدد العاملين اليهود في مجال العلوم عام ١٩٥٨ في عموم الاتحاد ٢٨٩٦٦ حيث يوجد يهودي واحد من كل ٧٩ يهودي يعمل في الأوساط العلمية. وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً في عام ١٩٧١، تضاعف عدد هؤلاء العاملين إلى ٦٦٧٩٣ بمعدل واحد من كل ٣٢ يهودي (من المجموع العام لليهود في الاتحاد). وإذا ما أخذنا في الاعتبار المجموع العام لسكان الاتحاد السوفياتي نجد أن لكل ٢٤١ شخص من

١- المصدر السابق نفسه ص ١٥١.

السكان، إنساناً واحداً يعمل في الوسط العلمي (إحصائيات عام ١٩٨٣)، وبهذا يشغل اليهود نسبة ١٩٪ من مجموع العاملين في المجالات العلمية لعموم الاتحاد، وتشكل نسبتهم كذلك في المجال السياسي والثقافي في حدود ١٠/٢٠٪.

كانت نسبة اليهود القاطنين خارج المدن في مرحلة ما قبل الحكم السوفياتي أكثر من ٥٠٪، وانتقل منهم على شكل مجموعات للعيش في المدن عام ١٩٢٦ ليشكلوا ٨٢٪ من مجموع اليهود في البلاد، وفي عام ١٩٧٠ بلغت النسبة ٩٧.٦٪، وفي أيامنا هذه ١٩٨٩، ١٠٠٪.

بلغ عدد الطلاب اليهود في ١٩٦٠ (٧٧١٧٧)، أي بمعدل طالب لكل ٢٩ يهودي وفي عام ١٩٧٠ بلغ عددهم /١٠٥٨٠٠/ أي بمعدل طالب لكل ٢٠ يهودي، وفي نفس العام كان بمعدل طالب لكل ٥٣ من مواطني الاتحاد السوفييتي اليهود وغير اليهود. وشكل الكتاب اليهود في الأعوام العشرة الأخيرة نسبة ١٤٪ من مجموع الكتاب السوفييت، و٢٣٪ من الموسيقيين، و١٤٪ من الأطباء، و٣٦٪ من مجموع اليهود في الاتحاد يعملون في العلوم والفنون، والأدب، والطباعة، والنشر[1].

تتشابه النسب تقريباً في الإقليم اليهودي ذي الحكم الذاتي مع تلك التي ذكرناها، حيث يبلغ عدد سكان الإقليم ١٩٧ ألف نسمة، منهم قرابة عشرة آلاف من اليهود أي ما يقارب نسبة ٥٪ من مجموع السكان، ويعيش منهم في المدن ٩٠٪، ويتضح من هذا أن من يعيش في هذا الإقليم ١/٢٠٠ من مجموع اليهود في الاتحاد، الأمر الذي يدل على الحرية المطلقة للسكان اليهود بالتنقل داخل أراضيه[2]، ويدحض الافتراءات والاختلاقات الصهيونية التي تحاول أن تغرسها في وعي البشر منذ عشرات السنين محاولة تضخيم تلك الادعاءات خاصة تلك المتعلقة بعدد الضحايا الكبير الذي قدمه اليهود السوفييت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، بغية ترسيخ هذه الأفكار في عقول الجهلة والبسطاء، كي يبدو الاتحاد السوفييتي وكأنه ينفذ سياسة تمييزية في علاقته مع اليهود.

١- سيميونك فد أ. الجنون القومي ص ٢٠٠.

٢- الثروات الوطنية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في ١٩٢٢-١٩٨٢ التمويل والإحصاءات ١٩٨٢ ص ١٩٧.

أقام الهتلريون على الأراضي المحتلة من الاتحاد السوفييتي، معسكرات استقدموا إليها اليهود من ألمانيا، ومن البلاد الأوروبية الأخرى المحتلة، وقاموا بتصنيفهم في هذه المعسكرات، مما يكشف زيف الادعاء عن عدد اليهود الذين خضعوا لهذه التصفية من قبل الفاشيين، وكأنهم من اليهود فقط، ومن اليهود الذين عاشوا على الأراضي السوفياتية قبل الحرب، مع العلم أنه قد ثبت بأنه لا يوجد لدى الصهاينة قاعدة لتوجيه هذا الاتهام للحكومة السوفياتية في عدم الاكتراث بمصير هؤلاء اليهود في سنوات الحرب.

إن حجم الخسائر التي أصابت اليهود لا يمكن أن تفوق تلك التي حلت بالسكان غير اليهود، ففي عام ١٩٣٩ كان عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي ٣,٥٢٨٥٠٠ (من أصل يهودي)، وأكثر من ١.٥٪ من إجمالي التعداد السكاني العام للاتحاد في ذلك الوقت البالغ (١٩٤٠٧٧٠٠٠) حسب إحصاء عام ١٩٤٠. وإذا ما أوردنا لوائح تشكيل مئتي كتيبة سوفييتية من الجيش السوفياتي على الجبهة لبلغ أكثر من مليون إنسان عام ١٩٤٤ (حسب المعطيات التي يقرها علماء الاجتماع في المواد الإحصائية)، وكانت نسبة اليهود من هذه الكتائب قرابة ١,٢٨٪ أي أقل نسبة عما يشكل اليهود من مجموع التعداد السكاني العام في مجموع الاتحاد[1].

١- فد ن كازلووف - القوميات في الاتحاد السوفييتي إحصاء عام ١٩٧٥ ص ٢٥٠ - الاتحاد السوفياتي والدول الأجنبية بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية ١٩٨٠ ص ٥٧.

دسائس الصهيونية
في مجموعة دول المعسكر الشرقي

كان قد ورد في بيان ختامي للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٧٠ «لقد كان التأثير الكبير في مناهضة الشيوعية في الجمهورية، لتلك العناصر التي كانت تناصر الصهيونية. وقد كان من هذه الشخصيات المعروفة ب. كريغل، وب. بيليكان، وأ. لوستيك، وي. غولد شينوكر، ول. ليم، دي ليبيل، وك. فينتر، وآخرين»[1]. حيث أكدت الأعوام التالية ذلك الدور الصهيوني في التنظيمات المعادية. وكان العديد من الشخصيات المؤيدة للصهيونية قد شغلت المناصب الرفيعة في الدولة، إذ شغل كريغل منصب رئيس الجبهة القومية في تشيكوسلوفاكيا، وبيليكان المدير العام للتلفزيون، ورئيساً للجنة الأجانب في البرلمان، وغولد شينوكر رئيس اتحاد كتاب تشيكوسلوفاكيا، ولوستيك معاوناً لرئيس الحكومة، ومدير المعهد الاقتصادي، وفينتر المحرر الرئيسي الأول في التلفزيون، وف. كاشبار رئيس نقابة الصحافيين، وبا. بروسكي السكرتير العام «للنادي - ٢٣١»، وب. بان المحرر الرئيسي لمجلة «ريبورتر»، وي. بافل وزير الداخلية[2]. كما يشير الباحث ماتووش إلى أن «من شغل المكانة الرئيسية على الجبهة الأيديولوجية هي

١- تطور الأزمة في الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، والمجتمع بعد المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي التشيكي - باليتزدات ١٩٧١ ص ٢٧.

٢- ماركوميلوش - الأسود بالابيضاض، بروغرس ١٩٧٤ ص ١٦-٢٢-٢١٣-٢١٤ وماتووش - جبهة بلا سلاح باليتزدات ١٩٧٧ ص ٦٨، ول. أ. موجوريان - الصهيونية شكل من أشكال العنصرية - تمييز عنصري ص ١٦٣ - الصهيونية نظرية وتطبيق ص ١١٥-١١٩، وبيكون - التدخل بلا سلاح ص ٩٥-١٥٣، ويوري حذار الصهيونية ص ١٦٨-١٦٩.

المجموعات الصهيونية»[1]، ويضيف: «رغم أن المواطنين من أصل يهودي يشكلون النسبة القليلة من عدد السكان، فإن النسبة العظمى من تعداد الشخصيات هم من الأصول اليهودية، واكتسبوا تأثيرهم من خلال تغلغل كوادرهم في المناصب السياسية، واحتلوا المناصب المهمة في مجال الأدب، والصحافة، والفن، واستطاعوا أن يجعلوا من شخصية كفرانس كافكا نابغة في تاريخ الأدب التشيكي والأوروبي لما تميزوا به من ترويج دعائي لأنفسهم لاكتساب الشهرة والنفوذ».

لذا فإن الثورة الهادئة في تشيكوسلوفاكيا نفذت طبقاً للسيناريو المعد مسبقاً بدقة متناهية، وشاركت في إعداده الصهيونية العالمية «التنظيم الصهيوني العالمي، وتنظيم الشبان الصهاينة، ومؤتمر صحفي اليهود، ومجلس تحديد النشاطات للمنظمات الصهيونية، ومجلس النساء اليهوديات العالمي، والمجلس العالمي للطلاب اليهود، والتنظيم النسائي الصهيوني العالمي، والمجلس العمالي اليهودي العالمي، ووكالة الاتصالات ومؤتمر الصحفيين اليهود العالمي»[2].. وفتحت هذه التركيبة قنوات الاتصال المتعددة مع التنظيمات اليهودية في الدول الأخرى عن طريق القنوات السرية، أو عن طريق التستر تحت الجوازات الدبلوماسية - الإسرائيلية. وكان من التنظيمات الناشطة «منظمة تسفي سابير للإسرائيليين ذوي الأصول التشيكية (التي عرفت سابقاً تحت اسم كورت ستبين)، ومنظمة نيخودايفيما، وناحوم لافون (عُرف د. إيرك ليبمان)، وكارن آهارون (كانت قبل الهجرة إلى إسرائيل تعرف - حريو نيغاند)، وإسحاق شاليف (عرفت سابقاً يثوغنيك شبفكا) وتنظيمات أخرى[3].

استخدم الصهاينة مختلف الحيل في تحقيق «الاحتلال الهادئ» للمناصب الرفيعة الحساسة، والمؤسسات العلمية، والإعلام الجماهيري، ومن أخطر أساليبها على الإطلاق، هو استخدام «تكتيك الفيروس السرطاني»، والمقدرة على امتلاك

١ـ مالتووش ـ جبهة بلا سلاح ص ٩٨.

٢ـ يفغيني بفسييف ـ الفاشية تحت النجمة الزرقاء ص ١٤٢.

٣ـ المصدر السابق ص ١٤٢.

خصوصية التخفي والتستر تحت غلالة مشابهة لتلك التي تغطي الخلايا السليمة عند الكائن الحي، وتتغلغل فيها كذاك الفيروس الذي يعمل على إبطال منظومة المناعة الذاتية، والفتك في أوصال الجسم المحكوم عليه بالموت، إن لم يصار إلى تدخل جراحي عصري، فيما لو توفرت الإمكانية لذلك.

أظهر الصهاينة أنفسهم أمام الناس وكأنهم من أبرز الأعضاء الشيوعيين اقتناعاً، بغرض الوصول إلى احتلال المناصب القيادية، ولا يمكن الوقوف ضد التكتيك الصهيوني إلا بحذرٍ رفيع المستوى للحد من «الاحتلال الزاحف». ويجدر التنويه بأن الصهاينة لا يستخدمون تكتيكهم الهادف من أجل الصراع ضد الاشتراكية فحسب، بل من أجل إخضاع كل التنظيمات المعادية للاشتراكية لسلطانهم «بقدر ما كانوا يلوذون بالتروتسكية، بهدف التستر في معاداة الماركسية وجوهرها، بارتدائهم قناع «الماركسية نفسها»[1].

لقد أثبتت عدة عوامل تلك العلاقة القائمة بين الصهاينة التشيكوسلوفاكيين والتروتسكيين، وما السيطرة على المناصب في أوساط الإعلام الجماهيري إلا للقضاء على النظام الاشتراكي في البلاد، ونذكر على سبيل المثال، نذكر أن الكاتب إيساك دويتشير كان عضواً في اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين، وقد نشر عدة مقالات ذات مستوى عدائي للسوفياتية[2].

ويرجع الباحثون سبب استكانة المجتمع التشيكوسلوفاكي الكارثية، وغياب المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني الهادئ، إلى أن هؤلاء الأعداء استخدموا على وجه السرعة، وبغية خنق المخططات المضادة لهم، شعار الاتهام بمعاداة السامية المعهود، ووجهوه إلى كل من مارس النقد على غولد شينوكر، رغم أن الجميع يعرف أن هذا الاتهام يعتبر بالنسبة إلى الشيوعي، وإلى كل إنسان تقدمي وصمة مشينة، لهذا لم يتجاسر أحد على المبادرة إلى اتخاذ أيّ تدابير»[3].

١- بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ١٩٨.

٢- يا. بيكون - معاداة الثورية المتسلقة ص ١٢٧، بيليان فاسيل - الحقيقية ضد الكذب - الوقت الجديد رقم ٣٣ ص ١٩.

٣- يوري ايفانوف - حذار الصهيونية ص ١٦٩.

كـان الـصهاينة في صـراعهم هـذا ، يظهـرون تحـت قنـاع محكـم دقيـق، إلى جانب الشيوعيين الجنـاح اليميني، حتـى تـأتي اللحظـة والـزمن المناسبين ليـصبح فيـه التـصرف في متنـاول اليـد ، إذ ، وبإيعـازٍ مـا ، ينـزعـون ذلـك القنـاع، ويبـدون وكـأنهم الجبهة الوحيدة القائمة بالهجوم ضد الحزب الشيوعي وقبل أي كان[1].

مارسـت الـصهيونية في نـشاطاتها الموجهـة في نـشر الفـساد الفكـري في عقـول الشبيبة التشيكوسلوفاكية، فأثناء أحداث ربيع عام ١٩٦٨، بذل الصهاينة جهدهم للحصول على المكانة الطليعية في أوساط المشاركين من الطلبة، مستخدمين بذلك عدم النضوج السياسي عند البعض منهم، وغياب القيادة السياسية الحازمة في تلك المرحلة، حيـث دفعـوا بالـشعارات الديماغوجيـة اللاذعـة، وقـاموا بتوجيـه جـزء مـن الـشباب للـتهجم علـى نظـام الحكـم، وتـشكيل الخطـر الـسياسي علـى الدولـة التشيكية[2]. وممـا يثير الريبـة أن وزيـر الداخليـة المـدعوي. بافـل كـان علـى علاقـة مباشرة مع المبعوثين الصهاينة، وكل المعلومات عـن النـشاطات التخريبيـة الـصهيونية قد تم إما تجاهلها ، أو إبطالها. أما وزير الخارجية ي. كايك (الذي أصبح صهيونياً) عمد إلى تركيز الجهود كافة لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسـرائيل، وتوجيـه سياسـة الـبلاد الخارجيـة، لتسير علـى خـط التقـارب مـع الإمبرياليـة، عـدا عـن قيامـه وبمساعدة من أنصاره بتعقب العاملين في وزارة الخارجية الذين أبدوا موقفـاً متـشدداً في المواقع الأممية، وقـد أثبتـت التجـارب أن صـعوبة إدارة الـصراع ضـد الـصهيونية في تلك المرحلة تعود إلى الخطـورة الفائقـة مـن جـراء فقـدان عامـل اليقظـة والتأهـب ضـد تلك الشخصيات المتعاطفة مع الصهيونية، ولم تـكـن الجمهورية التشيكية هـي البلد الوحيـد الاشـتراكي الـذي مارسـت عليـه الـصهيونية نـشاطها التخـريبي، وقـد وردت معلومات تفصيلية عن نشاطات مماثلة في جمهورية بولونيا[3]، حيـث اسـتخدموا ضـد البولون الشعار التقليدي التلفيقي (معـاداة الـسامية)، مـع توجيـه الاتهـام لهـم بالتعـاون مع الهتلريين أثناء سنوات الحـرب العالميـة الثانيـة، إضـافة إلى أن الـصهيونية والـدوائر

١- الصهيونية العالمية بين النظرية والتطبيق ص ١١٩.

٢- المصدر السابق.

٣- من كتاب تاويوشا مالخنوفسكي - إسرائيل وألمانيا الغربية.

المرتبطة بها، حاولت بكل قواها وضع الذنب في كل الذي حصل على الشعب البولوني بشكل رئيسي، وصمتت عن معاناة هذا الشعب إبان الحرب العالمية الثانية، الذي فُقد فيها اثنا عشر مليوناً «وتناست المسؤولية الهتلرية، إرضاءً لدولة ألمانيا الغربية التي لا تريد أن تسمع أي تذكير بالمخططات الفاشية المتغطرسة»، لا بل عمد الصهاينة إلى نشر كتبهم الكثيرة التي يتهمون فيها افتراءً بولونيا بـ «معاداة السامية»، وإن من يقرأ هذه الكتب، أو يستمع إلى البث الإذاعي والتلفزيوني الذي يبث هذا النوع من الثقافة، فإنه لا بد، وخاصة الأغرار منهم الذين لا يملكون الخبرة الخاصة وقوة الملاحظة من أن يصلوا إلى نتيجة تؤكد أنه كان من الممكن أن يتم التفاهم مع أولئك الهتلريين المتحضرين على نطاق واسع، لكن ما العمل طالما أنهم مضطرون للخضوع لمشيئة ونزعة البرابرة - البولون؟»[1]. وبهذا تكون قد توحدت الجبهة الالتفافية بين ألمانيا الغربية والصهيونية في أيديولوجية واحدة مميزة ضد بولونيا.

من نافل القول: ن الطلاب اليهود ذوي الأصول الصهيونية قد شاركوا في عملية التحريض في بولونيا ١٩٦٨ وأطلقوا عبارات مباركة العدوان الإجرامي للعسكرتاريا الإسرائيلية الصهيونية أمام السفارة الإسرائيلية. ولقد أوردت صحيفة الشباب (شتالدار فلودي): إنه من غير المتوقع أبداً. أن نرى مثل هؤلاء الشباب ينظرون إلى الدولة البولونية وكأنها ليست الوطن الذي رعاهم، بل هي حكومة موشي دايان، وبن غوريون، وايشكول، الأمر الذي يتعارض مع الإدانة التي وجهها البولون لهذه السياسية الإسرائيلية التوسعية العدوانية، وأخذوا يتكلمون عنهم وكأنهم «حيوانات معادية للسامية»[2].

إن الصهاينة المتخفين وضعوا على وجوههم قناع «المواطنين العظام للحكومة الاشتراكية، بغية استخدامه وسيلة للتغلغل أكثر فأكثر في أهم المفاصل التنظيمية - الحكومية والاجتماعية، عن طريق الاحتلال الهادف للسيطرة على

١- المصدر السابق ص ١١٦.

٢- بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ١٩٢-١٩٣، فالخنوفسكي - إسرائيل وألمانيا الغربية ص ١١٦.

المناصب العليا. وما إن تحين اللحظة المثلى، حتى تتمظهر علناً في إبراز حقيقتها كعدو لدود للاشتراكية، وخصمٍ متعصب مؤمن بالسياسة العدوانية الصهيونية لدولة إسرائيل»[1]. «هؤلاء المواطنون أصحاب النوايا الخبيثة المزدوجة» هم ذاتهم من سار على تلك الأرض التي ترعرعوا عليها، واغترفوا منها الخير، وقدم لهم المجتمع كل شيء، وها هم يحملون في أنفسهم نظرة الازدراء الباهتة لمواطنيها ووطنهم، محاولين إلحاق الضرر به خلسة. ولقد وضعت القيادة الصهيونية جل اهتمامها، في عدم إعلان عقيدتها الفكرية السرية، لتتغلغل كيفما ما أمكن عمقاً ورسوخاً في المؤسسات الحكومية الوطنية، وفي وسائط الإعلام الجماهيري، بأيّ سبل أخرى للحصول على أعلى وضعية في إدارة المجتمع.

لقد كان ضرورياً لها، أن تخلخل، وتفسد المجتمع الاشتراكي من الداخل حتى إذا ما حانت الفرصة، بادر عملاؤها إلى استخدام المناصب التي يحتلون للانقضاض الصارم على مجتمعهم، ولم يقتصر الأمر عليهم، بل كثيراً ما عمد الصهاينة إلى استخدام مثل هذه المناصب، إن لم تكن بشمولية أكثر اتساعاً في غالبية الدول التي أقاموا فيها «البنى اليهودية المتعاطفة مع الصهيونية»[2].

لقد كانت النسبة الكبرى من قادة «التضامن» من الصهاينة الذين يؤيدون إسرائيل وسياساتها، وكانت هذه النقابة تغتصب وظيفة الحزب السياسي الذي يتزعم الحركة المضادة، وعلى رأسهم مجموعة من «خبراء التضامن»: ب. كريمبك الشاغل لمنصب سكرتير اللجنة الحزبية في الأكاديمية العلمية البولونية، والسكرتارية الثانية في جامعة فرصوفيا وما إن تم القضاء على الزمرة الصهيونية عام ١٩٦٨ حتى خرج ظاهرياً من صفوف السكرتارية الثانية، واستمر يزاول النشاطات المضادة للاشتراكية «مع التنويه بأن كريمبك هذا كان على علاقة وثيقة مع التنظيمات الماسونية في باريس»[3].

١- سيميونك ن. أ. - الصهيونية السياسية الاستراتيجية الإمبريالية - مينسك بيلاروسيا ١٩٨١ ص ٩٤-٩٢.

٢- ي. غ. ايفانتشكوى - التدخل الأيديولوجي الإمبريالي - نظام ومضمون وتوجه - كييف - ناووكا مادوفكا ١٩٨٠ ص ٢٥٧.

٣- برافدا ١٩/١٢/١٩٨١.

لم يكن الأمر في الاتحاد السوفياتي في تلك الآونة مختلفاً عن باقي الدول الاشتراكية، وربما تزامنت كل التحركات مع بعضها على الأصعدة كافة، خاصة بعد استشراء الصراع أثناء الحرب الباردة، واتخاذه أشكالاً صدامية في بعض الحالات على أراضي الدول الأخرى. إلا أن الصهاينة لم يتوقفوا في تلك الآونة عن ممارسة نشاطاتهم حتى داخل الاتحاد السوفياتي، إذ بدأت تتكشف الأمور عن تشكل منظمات صهيونية جديدة أقيمت في مختلف المدن السوفييتية، ومنها مدينة لينغراد، حيث ظهرت منظمة صهيونية عام ١٩٧١ أشير إليها في كثير من المصنفات العلمية (منها كتاب فلاديمير فيكتوروفيتش يوشاكوف - الصهيونية منطلق من أجل معاداة الشيوعية)، وكان قادة هذه المنظمة منديليفيتش و ديمشيدس، وآخرون من الصهاينة المعروفين، وأقامت الصلات مع المخابرات الإسرائيلية، وتلقت المساعدات المالية، والمنشورات والمؤلفات الخاصة بنشر الدعاية الصهيونية (وقامت باختطاف طائرة بعد قتل طيارها)، وجرى على الأثر اعتقال عدد كبير من أعضائها، وأحيلوا للمحاكمة.. لكنها عادت إلى نشاطها بعد وقت - على الرغم من حلها - بأشكال سرية مختلفة. وجرت في موسكو تظاهرة صهيونية عام ١٩٧٤ ترأسها يوسف بيغون، ورفعت شعارات معادية للسوفياتية (هاجر إلى إسرائيل فيما بعد)[1].

صدر في عام ١٩٧٨ كتاب عنوانه (الكتاب الأبيض)، وجاء فيه أنه يوجد في مدن الاتحاد السوفياتي ما يسمى «أوكيبان» (وهي حلقات دراسية باللغة الروسية)، بينما هي في الواقع عبارة عن تشكيل خاص يقوم بتدريس اللغة العبرية، ويمارس نشر الدعاية للتاريخ اليهودي والصهيوني (انتشرت في مدينة موسكو لينغراد - على شكل حلقات منفصلة من ٢-٣ أشخاص تعمل بشكل سري، بحيث إذا ما اكتشفت أيّ حلقة تكون الأخرى سرية)، إضافة إلى دور الصهاينة القادمين من الخارج على شكل مجموعات سياحية، تقوم بالاتصال مع الصهاينة داخل الاتحاد وتنقل لهم الأدبيات الصهيونية من كتب وصحف ومجلات، وما هم في الحقيقة إلا صلة الوصل بين اليهود في الاتحاد السوفياتي وبين الصهاينة.

١- الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - يفغيني يفسييف - دراسة هاني مندس - ص ٤٩- من تقرير رومانينكو المرفوع إلى القيادة الحزبية الحكومية عام ١٩٧٨.

إلا أن التعاطي مع المسألة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي بقي بحدود عدم الإحاطة الكافية بنشاطات الصهاينة بسبب عدم توفر المعلومات لكل الجوانب المهمة والخطيرة في تحركاتهم المشبوهة ضد السلطة والمجتمع على حد سواء، خاصة عندما بدؤوا يظهرون شراستهم ضد كل من حاول أن ينشر المعلومات عنهم، واتخذوا عدة تدابير منها ممارسة التصفيات الجسدية للبعض منهم، واستغلوا تأثيرهم في بعض المواقع السياسية ليعبروا عن احتجاجاتهم واستيائهم الشديد ضد تلك المطبوعات، بغية إرغام الجميع على الانصياع الكامل لمبادئهم وعقائدهم، وقد نوه رومانينكو لذلك في تقريره الآنف الذكر، إلى أن هناك «تأثيراً للصهيونية في الاتحاد السوفياتي، وهذا التأثير يحقق بنسبة كبيرة مصالح إسرائيل، كما حققها على مدار السنوات الماضية، رغم انقطاع العلاقات الثنائية». بيد أن الصهاينة لا يعتمدون على تلك العلاقات، إنما كان اعتمادهم الأساسي على أجهزة الضغط والتأثير التي يملكها اليهود أنفسهم في الاتحاد والتي لم تصل بعد إلى إقامة «تشكيل دولي» كما في أمريكا، إلا أنهم في «مواقع التأثير في كثير من القضايا السياسية الاقتصادية الثقافية»[1].

كان الكاتب الروسي يوري بونداريف قد أشار في كلمته أمام المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي (في حزيران ١٩٨٨) وبحضور غورياتشوف، إلى التخريب الذي يمارسه اليهود الصهاينة المهيمنين على بعض المراكز الرئيسية في الدولة والإعلام «إنهم يزيلون ويدمرون ويمزقون ويلقون في المرحاض كل شيء كان من قبل... بما فيها أشياؤنا القومية التي نقدسها، وتضحيات البلاد في الحرب الوطنية وتقاليدنا الثقافية[2]، إنهم يمسحون من ذاكرة الناس ووعيهم الإيمان والعمل»[3].

١- تقرير رومانينكو إلى قادة الحزب والسلطة - من كتاب الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - يفغيني يفسييف - دراسة هاني مندس.

٢- المصدر السابق.

٣- للاطلاع على الدور الصهيوني في الاتحاد السوفياتي، يمكن العودة إلى كتاب «الصهيونية في الاتحاد السوفياتي» يفغيني يفسييف - دراسة هاني مندس.

تعاون الصهيونية والنازية
قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية ضد روسيا

زخرت المؤلفات الغربية بشكل عام والصهيونية بشكل خاص خلال السنين المديدة، بانطباعات نظرية تقول، إن الفاشيين الألمان تسيطر عليهم «نزعة المعاداة الزاوولوجية للسامية» الأمر الذي سبب تصفية الجزء الأكبر من اليهود في ألمانيا، وفي الأراضي التي احتلوها (لم تثبت صحة تلك التصفيات عملياً، إلا بشكل جزئي لا يتطابق مع مفهوم الإبادة الجماعية (الهولوكست)، الذي تروج له الصهيونية». إلا أن أحداً لم يتطرق إلى الدور السري للصهيونية في ذلك وعلاقتها مع النازية والهتلرية، وبقيت كل الأبحاث الغربية والأمريكية بشكل خاص تنظر إلى هذه المسألة من وجهة نظر النزعة الفردية، وتصور تاريخية العلاقة بين الصهيونية والهتلرية وكأنها مجرد أحداث فائقة التعقيد، وحجبت جوهر القضية الأساسي، دون التطرق إلى أن هاتين القوتين قد تنازعتا فيما بينهما على المزاحمة التجارية، وعلى اكتساب الحلفاء في الأوساط الجماهيرية الدنيا، حيث قام الهتلريون بتخريب الجماهير الألمانية، والصهاينة بتخريب اليهود لهذا الغرض ليس إلا.

لا بد عند التعرض لهذه المسألة من أن تبرز صدقية هذه العلاقة القائمة بين الطرفين، وماهية النوايا المتخفية تحت الغطاء الفلسفي، والأحابيل الخداعية لتلك الدعاية، بينما الجوهر الحقيقي كان يثبت العلاقة المصلحية المتبادلة بين الصهاينة والهتلرية، رغم أن الصهاينة، وبغية تأجيج سعيهم الدؤوب لتنفيذ مخطط الاستيلاء على فلسطين، قاموا بعقد تحالف شرير مع الفاشية المتوحشة ضد الطبقات الاجتماعية الدنيا «واستغلوا المزاعم النازية»، وكأنها ليست كارثة، بل كأنها فرصة تاريخية شاذة لتحقيق النوايا الصهيونية»[1].

١- يوري إيفانوف - حذار الصهيونية ص ٧٩.

إن الملاحقة والتصفية المزعومة التي قام بها الهتلريون ضد اليهود (خاصة ضد الطبقات الدنيا). أجبرتهم على الهجرة من ألمانيا، والأراضي التي احتلها النازيون، واتخذت الصهيونية تلك الإجراءات التي من شأنها توجيه تدفق المهاجرين إلى فلسطين، لتغير الوضع الديموغرافي في بين الأوساط السكانية، كمقدمة لقيام الدولة اليهودية.

لقد «تبين بوضوح نتاج ذاك التحالف العجيب، تحالف الأعداء - الشركاء، حيث كان قد ارتفع عدد اليهود في فلسطين. من ٤٧ ألف عام ١٨٩٥ إلى ٤٠٤ آلاف عام ١٩٣٦[١]، ولولا هذا التعاون ما استطاع الصهاينة تحقيق هذا الازدياد السكاني بواسطة الدعوات الموجه لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وقد أفلح الهتلريون عن طريق الاضطهاد القسري الذي أوقع اليهود بين خيارين: إما أن يرسلوا إلى المعسكرات التحضيرية للانتقال إلى فلسطين، أو إلى معسكرات الاعتقال[٢].

ربما كان موضوع التعاون الصهيوني - الهتلري قد تم كشفه بشكل تفصيلي، إلا أن مواضيع أخرى ما زالت بحاجة إلى التقصي والدراسة، ومنها تلك العدائية المطلقة للتنظيمات اليهودية البرجوازية للنظام السوفييتي إبان مرحلة الحرب العالمية الثانية، والنشاطات الصهيونية المعادية. وإن من أكثر الأشكال حقداً، هو ذاك العداء السياسي الصهيوني الذي استماتت من أجله، وقامت بتشكيل جبهة واحدة معادية في نهاية الحرب العالمية الثانية مؤلفة من الهتلرية، ودول أوروبا الغربية. والإمبريالية الأمريكية، خاصة بعد أن أفلح الصهاينة في إحداث الأرضية الأساسية لتهجير اليهود إلى فلسطين، بعدما أُضعفت النازية لدرجة لم تعد تتوجس من نجاح الصهيونية في الاستيلاء على مسرح خاص على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

بذلت الصهيونية محاولات جادة في تأليف جبهة موحدة ضد السوفييت «لقد لعب الزعماء الصهاينة دور الوسيط في المحادثات السياسية بين قادة الرايخ الثالث، وبين الدوائر الغربية، ووفروا للقادة الموثوقين مثل هملر، وينتروب، سيلسبيرغ، وميلر، منفذاً إلى القادة العسكريين والسياسيين في

١- بولشاكوف - الصهيونية في خدمة معاداة الشيوعية ص ٢٣.

٢- المصدر السابق ص ٣١.

إنكلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت فروع الشبكة الصهيونية مشدودة إلى هذه المناقشات «المؤتمر اليهودي العالمي» و «الوكالة اليهودية»، ولقد جرت المباحثات في سويسرا، والسويد، وتركيا، وألمانيا وفي دول أخرى حيث بادر هنريخ هملر شخصياً في أكتوبر عام ١٩٤٥ إلى إقامة قنوات التماس الشخصي المباشر مع الشخصيات الصهيونية البارزة[1]، وقام مبعوثاه الشخصيان شتاندرا نيبنومزير، وس. س. بيخر، بالالتقاء أكثر من مرة مع تلك الشخصيات، ومع ممثلي وزارة الدفاع الأمريكية، وقام شتورخ المكلف من قبل المؤتمر اليهودي العالمي، بالالتقاء كذلك مع مبعوث هملر ف. غينسس في مدينة ستوكهولم، وقام فيما بعد بالاتصال المباشر مع الدوائر العسكرية الأمريكية، وقد أشرف على المباحثات مع هملر بشكل غير مباشر مبعوث المؤتمر اليهودي العالمي نوربيرت مازور.

لقد عبر هملر عن موقف الهتلرية بشكل دقيق «إن الأس. س، والفيرماخ سيواصلان القتال ضد الروس، وإذا ما وافق الإنكليز والأمريكان على المصالحة، فإننا لن نعقد اتفاق سلام مع البلاشفة الروس»[2]، ولم يتوخ هملر من ذاك السلام مع الغرب، إلا مساعدة الدول الغربية في أوروبا على الاستمرار في الحرب ضد روسيا. وجاء سعي الصهاينة هذا مضاعفاً لقوة الماكينة التدميرية للفاشية، وفي الوقت نفسه، أطالت سكرة الموت لهذا النظام الدموي، بعد أن باءت محاولتهم في شق وحدة التحالف المعادي للهتلرية، وإنقاذ النظام الفاشي من الهزيمة النهائية الماحقة بالفشل.

لم تتعرض المؤلفات الغربية الصادرة عن الحرب العالمية الثانية، لذكر هذه النشاطات الصهيونية الخطيرة، رغم اعتبارها على جانب كبير من الأهمية، ولقد عمل الصهاينة من خلال مواقعهم في المناصب الرفيعة في الدول الغربية بالوسائل كافة لإخفاء نشاطاتهم هذه في مجال تشكيل الجبهة المعادية ضد روسيا.

١- المصدر السابق ص ٤٦.

٢- المصدر السابق.

بغية الاطلاع على المكانة اليهودية في ألمانيا قبل الحرب من عام ١٩٢٠-١٩٤٠، لا بد من العودة إلى الكتاب الشهير[1] الذي تطرق إلى تلك المرحلة، وتحدث فيه الكاتب عن الرأسمال اليهودي في ألمانيا، وعن تشكل إمبراطورية فليك، ويطرح معلومات إضافية عن البرجوازية اليهودية. إن نسبة ٩٠٪ من أسهم شركة «ميتال خيو تنيفيرخ ليوبك» تعود في ملكيتها لليهود والرأسمال الأجنبي[2]، وبلغ سعر السهم لهذه الشركة ستة عشر مليون مارك ونصف، والشركة البريغية لتجارة الحديد «رافاك اندكريونفليد» برأسمال قدره أربعة ملايين ونصف المليون مارك، وشركة «فرانكفورت برفاك زبلشفات»، برأسمال قدره أربعة ملايين مارك، وبلغت حصة الإقطاعي الكبير كليوكز ٨٥٠ ألف مارك، وفي دار المصارف (فاربوزغ) ٨٧٥ ألف مارك، وفي شركة «البوبيكايا» لصهر الفولاذ، ومعمل لصناعة الإسمنت، ومعمل للفحم الحجري، ومعمل لصهر النحاس، ومؤسسات صناعية أخرى. إضافة إلى وجود مالك يهودي آخر أرتور سيميسون، الذي كان يملك شركة «سيموسن» وشركة زول، ويعد من أكبر محتكري المنشآت في ألمانيا، وبلغ حجم المدرورات السنوية ثمانية عشر مليون مارك، إضافة إلى قيمة المصانع ومواد الخام التي بلغ مجموعها قرابة تسعة ملايين، وقامت هذه الشركة بإنتاج الأسلحة والمعدات العسكرية لتسليح الفيرماخت الهتلري عام ١٩٤٠، وخضعت شركة «رافاك اندكريونفليد» لليهود، وبلغ مجموع قيمتها السهمية ٤,٢٥ مليون مارك، وشركة «فرانكفورت وميتاكيز بلشافت» والاتحاد الاحتكاري «هانس خيرك» (رأسمال ١٠ مليون مارك)، وكانت تخضع لملكية العائلة اليهودية هاآن قرابة ٦٢٪، وللعائلة اليهودية آبيزيروف بنسبة ٣٨٪.

الجدير بالذكر، أن الرأسماليين الألمان، كانوا قد اشتروا من اليهود في ألمانيا أسهم المؤسسات الصهيونية بدءاً من نهاية الثلاثينيات، وحتى أواخر

١- كبونتراوكير - فريدريخ فليك - «الهزلي» الكبير، ويعتبر فريدريخ فليك - مليونير - مليونير كل الأزمان وكبونيراوكير - كاتب اجتماعي ألماني - كتب هذا الكتاب بهدف استقصاء «الإمبراطورية» المالية لفليك - واحد من أغنى البشر في الوقت الحالي - «مولت مليونير كبير» - ميونيخ ١٩٧١.

٢- لوكير كيوفتر - ١٩٨٣ فريدريخ فليك - مولت مليونير ص ١٧٠.

الأربعينيات[1]، الأمر الذي يعتبر عاملاً يستحق أن يعار الاهتمام، طالما كانت البرجوازية واليهودية، والدعاية الصهيونية قد عملتا على إخفاء هذه الحقيقة التي تعبر عن تاريخ العلاقات المتبادلة بين البرجوازيين الصناعيين اليهود والألمان في تلك السنوات التي تعتبرها الأخيرة تاريخاً للاضطهاد النازي، أو قبيلها. مما يدل وحسب هذا الواقع، أن كلتا الطغمتين الماليتين الألمانية واليهودية قد تمكنتا من التوافق والتآلف، والاتجار الشرائي والمبيعي بمبالغ مالية وقيمة مادية كبيرتين، وما الطابع التنافسي المتمظهر بالحدة، إلا تقليد وعادة الرأسماليين الكبار، والأعداء المتوحشين، بينما هم في واقع الأمر من ذي النسيج والجنس[2].

ملكت العشيرة البرجوازية اليهودية آل بتشيك المنشآت الخاصة باستخراج الفحم الحجري على غالبية الأراضي الألمانية، عبر شركتين احتكاريتين من أكبر شركات استخراج الفحم، يبلغ إنتاجهما السنوي أكثر من ٢٥ مليون طن، وعاش صاحب هذه الدولة الفحمية الجبارة في تشيكوسلوفاكيا، وحمل جنسيتها، ليحصل على تأمين ممتلكاته في ألمانيا عبر شخصيات إنكليزية، وأمريكية، واستخدمهم وكأنهم الملاك الحقيقيون، عدا عن أن هذا الأسلوب هو نموذج «تغطية» استخدمت فيه أيضاً هيئات مساهمة هولندية وسويدية، وبلغ رأسمال مجموعة بتشيك قرابة ٤٠ مليون مارك، أما ما بلغه رأسمال مجموعة أخرى من عائلة «ابفانتس بتشيك» يفوق ما يملكه بولمبوس أربع مرات، وبلغ ما ملكاه معاً قرابة ١٩٢ مليون مارك[3].

وهكذا يمكننا القول: إن اليهود احتلوا المكانة المرموقة في ألمانيا قبيل قدوم الهتلرية، ليس في مجال الصناعة فحسب، إنما في مجال التمويل المالي، ومجال العلوم والآداب، والفن، وفي المجالات الحيوية الأخرى. وقد أسهمت المزاحمة بشكل فعال بين اليهودية والبرجوازية الألمانية، وفي العالم قاطبة، في إشعال نار الحرب العالمية الثانية. وربما فلسف الفاشيون، والصهاينة التاريخ كل حسب هواه ومصلحته: فالهتلريون كانوا وسيلة البرجوازية الألمانية، إلا أنها تسترت تحت قناع الدفاع عن

١- المصدر السابق ص ٢١٧-٢٢٣.

٢- المصدر السابق ١٩٣-١٨٤.

٣- المصدر السابق ص ١٨٣.

المصلحة «القومية» للشعب الألماني في الصراع ضد الرأسمال اليهودي الذي كان يقوم باستغلال الألمان الكادحين، إلا أن الصهاينة لم يقلوا حذاقة في نفس الوقت من تشويه الحقائق في دعايتهم العنصرية، وأخضعوا اليهود تحت سيطرتهم، وتمكنوا من خلق تصور عام عن أن الهتلريين مارسوا الاضطهاد ضد اليهودية، لأنهم يملكون النزعة الحيوانية في معاداة السامية - وليس لأي سبب آخر على الإطلاق.

إلا أن ألمانيا بعد الحرب، حاولت غسل أدرانها التي لحقت بها إبان الحرب، لتظهر أمام العالم، وأمام اليهود، بأنها تكفر عن ذنبها حيث يقول موئتسيخوفسكي: «إن جل اهتمام الزعماء الألمان كان منحصراً في أن تبدو ألمانيا أمام المجتمع العالمي، أنها ليست مدينة للرايخ الثالث وسياسته، بل تحاول أن تبدو «ألمانيا أخرى»، إلا أنها في واقع الأمر استخدمت تقديم أموال التعويضات لإسرائيل بعد الحرب بغية تعزيز قوتها العسكرية، وبدت أمام السذج في الدول الرأسمالية كأنموذج خاص لإعادة الصفوة الحاكمة في ألمانيا التي كان قد تعاون البعض منها مع الهتلريين في السابق، وبالتالي فإن هذه التعويضات، لم تكن تعويضات إنسانية» بقدر ما كانت محاولة لإعداد قاعدة أيديولوجية جديدة لهذا التحالف المتشكل تحت تلك اليافطة.

كان «المؤتمر العالمي اليهودي» قد طالب باعتراف جميع الألمان بالذنب جراء جرائم الهتلرية ضد اليهود، حيث تبين أن الألمان جميعاً على حد سواء مذنبون - لا بل عرقيون[1]، ولا بد من أن يكفروا عما فعلوه. وكأن الصهيونية منزهة عن الدعوة العرقية، وأكثر نقاوة من غيرها في هذا المجال، ولها الحق في أن تتهم الآخرين بها، حتى بلغ الأمر في أن يصرخ أحد النواب في الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٥١: «إنه لشرف كبير، بل أكثر من ذلك للألمان، لو اكتفيا بقبول الأموال منهم، دون أن نجلس على طاولة واحدة مع هذه الوحوش الضارية»[2].

١- فولخونسكي - إسرائيل والمانيا الغربية ص ٢١.

٢- المصدر السابق ص ١٨.

على الرغم من مطالبة الشعوب كافة بوقف الحرب القذرة التي حصدت قرابة خمسين مليون نسمة، كان الصهاينة على العكس من ذلك يطالبون باستمرارها، بعد أن كانوا قد ساهموا في إشعالها، لكي تأخذ منحىً آخر وبأيدٍ أميركية - إنكليزية فرنسية، إنما ضد الجبهة الشرقية. وقد ظهرت بعض المناشير في ألمانيا على أثر هذه المطالبة تقول: «من يعرف الحقيقة عن اليهود، ولم يحاربهم، ولم يحترس من مواطنيتهم في الوقت المناسب، ولم يكتشف الخطر اليهودي، لا بد من أنه سيكون نذير شؤم، وعامل قضاء محتم على شعبه»[1]، إلا أن هذا لم يمنع الصهيونية من الاستفادة من جمع الأموال الكثيرة من ألمانيا الغربية» التي كانت محتلة من ذاك الوقت من قبل القوات الأمريكية والإنكليزية والفرنسية، وكان الصهاينة يملكون القاعدة الصلبة في تلك الدول التابعة لها هذه القوات، وفرضت عليها ضغوطاً لتمارس الضغط على حكومة بون، لتأخذ على عاتقها الحصة الكبيرة من المساعدات لإسرائيل، واعتبارها بمثابة حجة لائقة لدفع التعويضات، الأمر الذي ساعد القيادة الأمريكية في حل عدة مسائل مبرمجة في آن واحد:

١- أن ترفع من مكانة حليفتها ألمانية الغربية، وإظهارها بمظهر الحكومة المغايرة لتلك التي كانت في زمن الرايخ.

٢- أن تخفي عن الدول العربية مساعدة العدوان الإسرائيلي.

٣- تعزيز مكانة حليفتها الصهيونية في الشرق الأوسط، ورفع مكانتها الدولية، وتأييدها لتحديث آليتها العسكرية.

في السادس من أكتوبر عام ١٩٥١، التقى القنصل الألماني كونراد ادنيهاور في لندن مع «ممثل المؤتمر اليهودي» ناحوم غولدمان الذي أصبح اعتباراً من ٢٦ تشرين أول من ذلك العام رئيساً «للمؤتمر في شؤون ادعاءات اليهود على ألمانيا»، وأعلن ادنيهاور في تصريح خطي: إن حكومة ألمانيا تعتبر أن «دفع التعويضات هو تعويض للخسائر» التي ألحقتها النازية باليهود وما هي إلا «واجب الأخلاق والشرف، ومستعدة أن تعمل كل شيء من أجل دفع التعويضات عن الأفعال اللا قانونية

١- فولخنوفسكي بد - إسرائيل وألمانيا الغربية ص ٢٥-٢٤.

المرتكبة بحق اليهود»[1]. وقد جاء في صحيفة الأبسيرفاتور الصهيونية اللندنية جوئيش عام ١٩٥٢ «إن كل القدرات المالية التي يملكها اليهود كافة، ستكون معبأةً ضد الألمان إذا لم تلبِّ المقترحات اليهودية عن التعويضات»، وقد أعلن الحزب الاجتماعي الديمقراطي في ألمانيا الغربية في رسالة خاصة: إن الضرورة تقتضي «أولوية التسوية للادعاءات الإسرائيلية» مع التنويه أن هذا الحزب كان في قوام مجموعة الأحزاب التي شكلت «السنتيرن» عام ١٩٥١ الذي دخلت في قوامه مجموعة من الصهاينة، ومن ثم تم التوقيع على الاتفاق في مدينة لوكسمبورغ في العاشر من أيلول عام ١٩٥٢ والذي التزمت ألمانيا بموجبه بدفع ٣ مليارات مارك خلال عشر سنوات، واقترن الاتفاق بأن عليها، أن تحقق المطالب المالية «للمؤتمر اليهودي للادعاءات الصهيونية» التي بلغت ٤٥٠ مليون مارك حصة هذه المؤسسة.

(لا شك أن عوامل كثيرة تشهد، وبشكل أكيد على أن الدوائر الرأسمالية اليمينية في ألمانيا الغربية كانت مضطرة - وبدون إرادة - (تدنيس الذنب الهتلري أمام الصهاينة بغية تحقيق المصلحة الأساسية لهذا الرأسمال الذي شكل الحرب العالمية الأولى، وتعاون مع الرأسمال اليهودي في تلك الآونة، ليلعبا دورهما كل على انفراد، وحسب اقتضاء المصلحة، وها هما يعودان الآن للالتقاء ثانية على المصلحة ذاتها، بعد أن جرب كلاهما نزعاته القومية - المتعصبة، وبدت الاستفادة من الحليف الصهيوني بعدما استجلب منفعته من الهتلرية، وحقق حلمه في تجميع اليهود، وشدهم من رقابهم للانجرار وراء ادعاءات الصهيونية، والتفاعل مع مفاهيمها في قولبة الدين اليهودي تحت مفهوم الأمة، والقومية، وضرورة إقامة دولة خاصة بهم في فلسطين، مع استكمال عملية استحلاب خلفاء الهتلرية بالطريقة ذاتها، وبالأسلوب نفسه، إلا أنه تجاوز هذه المرة استثماراً لما كانوا قد حصلوا عليه في الزمن الهتلري، وابتزوا دول العالم كافة من خلال تضليلها بمسألة الإبادة العرقية التي تعرضوا لها في ألمانيا، وكانوا على دراية تامة بما كان يجري من تخطيط مدروس.

١- المصدر السابق ص ٢٧.

الهدف الصهيوني

تتخفى الصهيونية منذ زمن طويل تحت الشعارات الكاذبة، بغرض تكوين البؤرة القومية لليهود في فلسطين، وإقامة دولة يهودية على تلك الأرض، والدفاع عنها وعن مصالحها، إلا أن الأهداف العملية التي يتوخاها «السنتيرن» الصهيوني يخرج عن إطار موضعة دولة صغيرة حسبما يعتقد سولوفييف «إن قيام الدولة اليهودية لم يكن منذ البداية الهدف الرئيسي للصهاينة، إنما خطط لها أن تكون طوراً - مهماً (مرحلياً) من النشاطات التي يجب أن تكون مهيأة للسير قدماً في تحقيق سيطرة الصهيونية العالمية»[1].

يدل الواقع على أن الصهيونية العالمية كانت قد قامت بصياغة «مخططها الأعظمي» قبل تكوين دولة إسرائيل بزمن طويل، ولم تعمل في ذلك الوقت على إعلانه بنطاق واسع، بل زرعت تلك الشعارات الكاذبة في عقول الجهلة على شاكلة تعابير قائلة «بضرورة سيطرة دولة إسرائيل على بلاد الأرض» أو «اليهود أرقى الشعوب الأخرى، ومدعوون للسيادة على الإنسانية»، وهذا يعبر عملياً عن الهدف الصهيوني بالاستيلاء على السيادة العالمية. وقد اتخذت بداية بعض الخطوات العملية في السيطرة على وسائل الإعلام الجماهيري، بهدف خداع الشرائح الاجتماعية الواسعة، وإعطاء الانطباع، وكأن الأمر يتعلق بتنفيذ قيام هذه «الدولة اليهودية». على الرغم من أن الصهاينة أنفسهم قد هزئوا وسخروا من أولئك الذين يكررون الكذب الصهيوني بعناد غبي، وكأنه الحقيقة ذاتها، وكثيراً ما نصادف الآراء والتصورات الوارد في المؤلفات التي تعطي انطباعاً وتصوراً للأمر، وكأن الصهيونية هي نفسها البرجوازية اليهودية الساعية إلى إقامة الدولة الصهيونية، إلا أن واقع الأمر، ليست البرجوازية اليهودية هي بحكم الضرورة صهيونية، بل إن كل الصهاينة الذين يخضعون نشاطاتهم لتحقيق الهدف في قيام الدولة اليهودية. وما الخداع الصهيوني، الذي امتنع الصهاينة عن

١- سولوفييف ي. ي - الجوهر الرجعي للصهيونية ص ٢٥.

الاستمرار في إشاعته، إلا ذلك الخداع نفسه الذي ينشر في المطبوعات منذ زمن بعيد. إذ يرد على سبيل المثال في تصريح لرئيس دولة إسرائيل في اليوم الأول لقيامها «إن ظهور إسرائيل للوجود، لا يعني نهاية نضالنا، إنما اليوم هو بداية النضال»[1].

ظهرت في السنوات الأخيرة مؤلفات تقدم أدلة وبراهين، أكثر حجة، على أن الصهيونية تضع نصب عينها هدفاً وحيداً «ألا وهو السيطرة على سيادة العالم، وقد حتم منظرو البرجوازية اليهودية على أن قدر اليهود، أن يشغلوا دور «العرق السيد» على غير اليهود الذين لم يبق لهم إلا أن يستعدوا للمشاركة في دور الرقيق الأبدي، ويتقبلوا العمل المفروض عليهم من أجل ازدهار خيرة الإنسانية».

يرد في مقالة نقدية كتبها فالودين[2]، وب. بايكوف، تعليقاً على صدور كتاب «العنصرية تحت النجمة الزرقاء»[3]: نتيجة للاحتيال الفكري والتنظيمي يجنح الصهاينة لدرجة كبيرة إلى تخدير عقول الشعوب على وجه البسيطة، وقليل من يعرف، وفيما إذا عرف، فإنه لا يصدق حقيقة وجود هذه المزاعم الصهيونية في السيادة على العالم.. إن لم يتحسر على سخف هذه الجماعة من المساكين المغامرين، المستغلين لفكرة «البؤرة القومية» ليست أكثر. لكن ما إن جاء الزمن الراهن حتى أخذ بعض الناس يدركون خطر الصهاينة المتصرفين في العالم الرأسمالي.

إن الصهيونية تخطط في الوقت الراهن لوسائل ملكية العالم، وتطمح بثبات لتحقيق هذا الهدف تماماً، مثلما خطط الهتلريون للاستيلاء على السيادة العالمية، ومن إحدى هذه الوسائل: التغلغل السري في مسام الأجهزة السياسية والأيديولوجية والاقتصادية لهذه الدولة، أو تلك من دول العالم[4]. «لا يفهم هنا من كلمة «التغلغل» الاحتلال المباشر للمناصب والوظائف العامة من قبل الصهاينة، إنما على العكس من ذلك، أن يشغلها أناس دمى من نوعية تروق لسبب أو لآخر للصهاينة»[5]، مع استخدام الطرق الأخرى كاستخدام القوة، وإملاء الشروط.

١- الصهيونية العالمية بين الأيدولوجيا والتطبيق ص ١٣٣.

٢- ي. فالودين، ن بايكوف - الحقيقة عن الصهيونية موسكو ١٩٨٣ رقم ٤ ص١٩٦.

٣- الكتاب من تأليف يفسييف يفغيني

٤- لم تكن قد جاءت البيروسترويكا ٢١ آب ١٩٩١، على الرغم من أن بوادر الطبخة كانت قد بدأت في ذلك الزمن الذي صدرت فيه هذه المقالة النقدية - المؤلف

٥- المصدر السابق - الحقيقة الصهيونية ص ١٩٧.

«إن الأعمال الخفية والسرية المطلقة لاحتلال العالم أدت إلى نمو القدرة العسكرية، والاقتصادية للصهيونية، لدرجة تسمح لها ألا تقيم وزناً لإرادة ووجهات نظر الشعوب، ويعتبر الصهاينة أن الصهيونية قد اقتربت من الخطوة الحاسمة لاحتلال العالم».

يبدو للعيان أن المخططات الصهيونية للسيطرة على العالم، غير قابلة للتحقيق، ويجب ألا تقل أيضاً ضرورة ظهور المقاومة العالمية لهذه المخططات من قبل دول العالم. وخاصة تلك الدول الدنيا وشعوبها البائسة المعنية بشكل أساسي في أن تقود نضالاً مستميتاً ضد القوى الإمبريالية الضاربة التي أضحت تحت سيطرة الرأسمال العالمي واليهودي.

يورد كوزمين مقالة نقدية حول كتاب «الصهيونية - نظرية وتطبيق» اقتباساً من مذكرات أحد أعضاء الجمعيات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، يشهد فيها على أزلية طموح اليهود بالسيادة على العالم، حسب آرائهم الخاصة «التنبؤية»: «من غير المستبعد أن يؤدي هذا الطموح بالسيادة إلى أمر لا سابق له في التاريخ، ألا وهو سحق اليهود»[1].

إن الازدواجية السياسية الصهيونية في الظروف الحالية هي الأساس المبدئي الصهيوني، وإن عملية التعقب للطموحات المستترة للصهيونية، تؤدي إلى معرفة أنهم يحاولون استعمار المستعمرين، مما يساعدهم على نزع لبوس التخفي الذي يحجب وراءه الصور الشريرة المزدوجة[2]. وثمة وسائل متعددة تقوم بها الصهيونية لاستمالة الدول الإمبريالية إلى جانبها، إذ تعمل وبشكل دائم على إظهار إمكانياتها واستعدادها لأن تطرح نفسها بمثابة أداة وضعية للدولة «الإمبريالية»، وفي الوقت نفسه تقوم بطريقة «الاستيلاء الهادئ» على تلك الدولة من خلال السيطرة على المواقع الهامة. وإن غرس هذه الفكرة المربكة في العقول، من أن الصهيونية ما هي إلا أداة إمبريالية، كانت دائماً هي التوجه التأميني للأيديولوجية التوسعية.

سعت الصهيونية إلى إخضاع «والتأثير» في كل الجمعيات الدينية اليهودية، بهدف استخدام الغالبية العظمى من هذه الجمعيات في عملية تسخيرها لعدة

١- اندريه كوزمين - الصهيونية - نظرية وتطبيق - مولدافيا غفارديا ١٩٧٤ رقم ١٠ ص ٣٠١-٣٠٨.

٢- الكسييف فـ وإيفانوف «الصهيونية في خدمة الإمبريالية - من كتاب الجوهر الرجعي للصهيونية - باليتزدات ١٩٧٢ ص ٤.

أهداف، تبدأ من لحظة انخراطها الاجتماعي في كل الطبقات وفي كل التنظيمات السياسية والحزبية، بغية الاطلاع على كل المجريات اليومية لحياة تلك المجتمعات، وتشتيت تلك الأفكار الضارة بمصالحها، وتدعيم النافع منها، بحيث لا تخرج «هذه الجمعيات» عن إطار المراقبة الدائمة من قبل رؤسائها ومديريها لتثبيت وتعزيز زعامتهم عليها، وتأمين الرقابة على الجماهير اليهودية، والإيعاز إليها بكل التوجيهات الضرورية لاستتباع ما ترشد إليه، والابتعاد عما تحذر منه، بحيث تبقى عملية التضليل قائمة في وسط الطبقات الاجتماعية كلها.

لقد نجح الصهاينة في إخفاء طموحاتهم السرية، وذلك بنشر دعايتهم بهدف إلباس التجمعات العالمية الواسعة فكرتها النظرية حول محاولتها إحداث الدولة اليهودية التي ستكون قاعدة لنشر الحضارة والديمقراطية، ومعطيات الحضارة الغربية، ريثما تتبع قاعدة تلك الدولة، ويصبح من السهولة لها أن تنطلق لتحقيق الأهداف الكبرى، وتغدو أكثر شمولية واتساعاً لقد نشرت المجلة الأسبوعية الهندية «بليتس» مقالاً تكشف فيه عما يسمى «خطة ليوزا» الصهيونية المحتوية على فكرة إقامة مجموعة من الدول الجديدة على أراضي الشرق الأوسط والأدنى تكون أكثر انصياعاً وامتثالاً، وأمثل جغرافياً، لتخضع بموجبها كل من إيران - العراق، أفغانستان، باكستان للتقسيم بشكل خاص[1].

إن إسرائيل والصهيونية، وحليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الغربية الأخرى، يعملون على تحقيق هذه الخطة لإضعاف دول الطوق (من الطوق الأول وحتى الثالث) حول إسرائيل، بواسطة تنظيم النزاعات المسلحة بينهم. وقد قامت دائرة الخدمات الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية والإسرائيلية باتخاذ التدابير كافة لتأجيج هذه الخلافات بين العراق وإيران بغية إثارة الصدام المسلح بين الدولتين اللتين تقفان في الجبهة المضادة للإمبريالية والصهيونية، وبالتالي إضعافهم. وبهذا تغدوا مسألة إذكاء النزاعات والأحقاد بين الدول، استراتيجية تستخدمها الصهيونية داخل تلك الدول والبلدان، والقوى والأحزاب، والتجمعات العرقية والطائفية، بغية تشتيتها، وعدم السماح لأيّ قوة منها في أن تنازعها البقاء.

١- سولوفييف ي. ي. الجوهر الرجعي للصهيونية.

مجمل التحركات السياسية - الصهيونية في الاتحاد السوفياتي

اعتمدت اليهودية في خطواتها العامة بعد السبي على ثلاثة أقانيم تمثل «العرقية - النخبوية العالمية - التوحد الصارم»، وانحصرت مفاعليها الحركية عبر التاريخ في محاولة إعادة بناء الهيكل، وإيجاد المجمع الكبير عبر أماكن العبادة (الكنيس) المنظم للأمور العبادية، ومختلف جوانب الحياة الدينية وشؤونها الاجتماعية تحت رئاسة الحاخام الأكبر، وسعيه إلى تقوية حرفية (الكتبة) الدينيين كأداة لحفظ تماسكية استمرار الديانة اليهودية في وجه الأخطار التاريخية، والاختلاطات القومية والعرقية، التي تحمل مفعولاً تهديمياً خطراً على اليهودية. إذ إن عملية الاختلاط في المجتمعات الأخرى، وانسجامها مع النسيج الاجتماعي العام، يفصلها عن هدفيتها الأساسية، ويبعدها عن التوحد الصارم وعن المرامي اليهودية العامة المحافظة على كينونة هذه الجمعيات المتدينة والمنخرطة في قوام الوحدة الصغرى المعبأة ضمن المنحى العام، للالتصاق مع الوحدات الأكبر بطريقة تسلسلية، تحقق السهولة الإنسانية في التلقي والانفعال في اللحظة المناسبة في زمنية فائقة تؤمن الموثوقية العالية في إيصال الأمر، والتوجيه من القمة إلى القاعدة، وتصبح منفذة للإيعازات بطريقة تنظيمية تفوق ما هي عليه كافة البنى الاجتماعية الأخرى، سواءً كانت عرقية، أو أثنية طائفية، مما جعل هذه الجماعة المتدينة مالكة لعناصر التأثير المعنوي، والتأهيل الديني المنغمس بالتوجهات الهادفة السياسية، والمطعمة بعوامل تأثيرها الاجتماعي عبر الانهماك الحياتي للطوائف الأخرى، وفي صقل مواهب الفئوية اليهودية عبر التحصيل العلمي المتميز، من حيث تأهيل النخب المثقفة من اقتصاديين وماليين للإمساك بعناصر توجيه الحياة العامة للمجتمعات كالإعلام، والأدب، والفن، وتسويق

الشخصية الفردية إعلامياً، وإشهار عبقريتها في كل المجالات العامة العاملة بها، لدرجة يتضح فيها عدم الانسياق بين مكونات الشخصية وإمكانياتها، وبين ما تحصل عليه من ترويج دعائي داعم يضعها في موقع تستطيع فيه عبر هذه الهالة الاجتماعية تخليق المفعول التأثيري في الوسط الاجتماعي على غرار ما تم من «إظهار لشخصية كافكا، الذي لم يكن يملك بالأساس عناصر الشهرة من حيث نتاجه الأدبي، لولا السعي الدؤوب لخلق هذه الشهرة».

إن عملية تخليق الضرورات حسب المعطيات الآنية والآلية في المجتمع، تعتبر صناعة مدمجة لعدة عوامل مشتركة تحوي حوامل المطالبية الاجتماعية، لسكبها في قالب العواطف والأحاسيس والهموم لدرجة يستهوي فيها كل فرد في المجتمع مسوغات هذه الحاجات الإنسانية لقبول تغيير الواقع، وتزيينه كحالة خلاص من السائد الجاثم على صدور العامة، بحيث تتأتى حركية الاندماج الجماهيري في مخططات تفعيل متساوية مع الهدف من حيث الزمان والمكان المناسبين لاصطياد لحظات الضرورة المطبقة، والمسوقة لصالح الغرض الأكبر المنطوي في نوايا القائمين على هذا التخطيط المسبق لاقتناص أنظمة الحكم والقيادات الجماعية، ووضعها في سياق مضطرب تفقد فيه تلك القيادات مركزيتها وتماسكها، أمام هول هذا الحدث المفاجئ، أو المتفاقم الذي تصعب فيه عملية محاسبة القائمين عليه، كونه اتخذ المنحى العام الصارم، مما يتطلب عدة عوامل لمعرفة كنه وسبب هذه الضرورة المحدثة، وتحديد المسؤولية في قيام حالة الاضطراب هذه، بسبب تشعباتها المتعددة التي أخفت بخيوطها المحرك الأساسي لها، المصطبغ بالألوان المختلفة التي تخفي لونه الذاتي، ريثما يحين الوقت لإظهاره في جني النتاج العام لهذا الهياج والاضطراب العام.

لشد ما برعت اليهودية - الصهيونية - الماسونية في خلق هذه الضرورات، والأزمات، والاضطرابات، وإقامة القاعدة الفكرية لها، وتحريكها، وتهيجها لدرجة الغلواء، ينفعل فيها القاصي والداني، وتأخذ مسارها المضطرم، حتى تغدو جميع الفعاليات في المجتمع، وخاصة منها الثقافية، مأخوذة في تفسيرها وشرحها، تشذيبها وتبويبها، حسب سعة مجالاتها، ونقدها لتتخذ بعدها شكل النظرية الفكرية، أو قاعدة أيديولوجية على الأقل تحرك قاع المجتمع ضد هرميته الهرمة

المعيقة لهذا الجموح الفكري المتسم بطابع الاجتماعية الجماهيرية وبالإيمانية، وتضعها في مصاف العدائية القسرية لمجمل هذا العام الهائج الذي لن تفلت منه تلك الهرمية مهما أوتيت من بنائية مضادة تخرجها من المأزق المحكم الذي وضعت فيه، ريثما تتآكل أمام الضربات المبرحة لهذا العام الجماهيري المنفعل بصدمة اللحظة، والمنبهر في صدقية الفكرة المعتملة في نفسه كحالة إيقاظ ملتبس يحمل الكثير من الإرباك والفوضوية والعبثية، إلا أن هذا الالتباس والغموض لا يعمي العقول المحركة عما تريده من هذا التفعيل المقصود والمصمم من الأساس لأن تؤتي أكله في اللحظة المناسبة، طالما أن غائية المطلب الأساسي غير غائبة، بل متمثلة في طوية ونوايا القائمين على هذه المفاعيل التحريكية للمجتمعات كافة.

يجدر التنويه إلى أن اقتضاء الحاجة عند الصهاينة، يتطلب الوقوف مع هذا التفعيل وضده في آن واحد، كي تحتدم شكلية التضاد المتناقض، وتلتهب مخيلة مثيريه، والمنفعلين به لدرجة تبدو، وكأنها حالة تطورية حتمية أملتها عناصر الواقع. وهكذا بينما ينسى المنفعلون تاريخية مجتمعهم وهواجسه القيمية في بلورة مفاهيم قد تبدو عملياتية أو استراتيجية في أدنى حد، تبقى تلك الجماعات ذات الشأن، المنتفعة من توريم المجتمعات متلبسة تحت لبوس تاريخيتها الأصولية الممتدة إلى مئات السنين، وتبقى حاملة في مجمل ذاكرتها أهواءها ومثالبها كحالات لا تتفق حتى مع الخيال، ولا تقارب صدقية تحقيقها المطلق في هذا الزمن على أقل تقدير.

لذا عند استعراضنا لتاريخية الماسونية الصهيونية، وتأثيرها في الواقع الروسي، لا بد من أن ننوه إلى هذا التغلغل الانقلابي البارز في الاعتناق والانتماء إلى كل الأحزاب في مرحلة ما قبل الثورة وما بعدها، من قبل اليهود الذين لم تستطع كل التنظيرات إلغاء يهوديتهم، سواء في حماسهم لطبقة معينة، أو لحزب معين، ولا إن كان في إصرارهم، ومبدئيتهم في الانتماء إلى الحزب اليهودي العمالي في نهاية القرن التاسع عشر، الذي غدا إما متقلباً، أو منحلاً، أو ممالئاً، أو مواكباً، أو مبدئياً في انخراطه في تلك المرحلة المخاض التي انشقوا فيها مع من انشق، وساجلوا مع من ساجل، وناضلوا مع من ناضل، وبقوا مع من بقي، وقيدوا سلوكهم وفق منطق الصراع بين الخير والشر. رغم أن ثقافاتهم الخصوصية والاختصاصية

لا تصب في منحى المفهوم الأول العام المراد به الخير لكل أبناء المجتمع الذي عاشوا بين أحضانه وترعرعوا فيه، ولم يميلوا قط إلى ربط موقفهم التاريخي مع عجلة التاريخ العام للمجتمع الذي عاشوا فيه، وكثيراً ما كانوا يميلون إلى التقليل من أهمية العامل القومي، وجنحوا إلى الطابع الأممي المتعدد القوميات بغية ضمان الاستمرارية والديمومة أثناء عملية التداخل الديمقراطي - الاشتراكي والديمقراطي الرأسمالي، بحيث تغدو مسألة الخصوصية الأصولية اليهودية بارزة إلى حد ما في المجتمعات الديمقراطية، مع عدم التنازل عن خاصيتهم التاريخية.

إن هذه المرواحة والبقاء في كنف التاريخ أكسبتهم سبيلاً خاصاً يكون إلى الأمام في آن، وإلى الوراء في آن آخر، إن لم تكن هاتان الحالتان قائمتين في اللحظة نفسها، أي السير إلى الأمام دون نسيان خط العودة إلى الوراء إلى التاريخ، وكأنهم خارج محفة التطور الزمني، حتى وإن ارتقوها لفترة تحقق لهم العودة من جديد إلى ذواتهم وأنانيتهم، ليظهروا في شكل آخر يلتبس على حليفهم وصديقهم ومناصرهم، حتى لتغدو عملية التضحية بصديق الساعة عملية مقبولة في سياق تحقيق الإظهار الأولي، أو الإشهار العام لمصلحتهم الذاتية. وهذه الحالة الطحلبية عززت لديهم قدرة التموت الصوري الكاذب الذي يبديه بعض من انغرس في صفوف الحركات الأممية العالمية، وتفعّل فيها لزمن محدد، ريثما تحين اللحظة المناسبة للتبدل الطارئ المحسوب والمخطط.

يتسم طابع القرار السياسي العملي لديهم، بطبيعة القرار التكتيكي الذي ما ينفك يتمثل بالألوية العامة للهدف الهاجس، حتى وإن كان هذا التكتيك زخرفاً تزويقياً يُظهر تحتية مطلقة، لكن لا يؤثر على فوقية النظري الأساسي، ولا ينزاح عن خطة المرسوم، ولا يزيح عن المنحى العام لذاك التمثل الأولي - النظري الرئيسي، المشوب ببعض التحول، ليخفي التباساً جديداً، تتبدى فيه تحريفيّةً ليس إلا.

يعمل جنباً إلى جنب مع التنظيم الصهيوني الذي يبدو حديث الظهور من حيث تاريخيته، التنظيم الماسوني الأكثر عراقة وقدماً وتقليداً، وتلتمّ فيه كل رؤوس الفعاليات الاجتماعية الاقتصادية، السياسية، والنخب القيادية في إدارة المجتمع، حيث يتم اصطيادها والتأثير فيها بموجب خطة يعتورها التقرب والإيقاع والإغراء

تحت سمة الانتماء إلى النخبة الهادفة إلى تحسين الوضع الإنساني العام بسبل متصفة بأخلاقية إنسانية عارمة، وشعارات فضفاضة تتحايل أو تقدم على الأقل الحلول الآنية البعيدة للشخصية المطلوبة، وتؤمن لها الوضع الاجتماعي، والارتقاء في السلم الوظيفي، والحصول على مكاسب شخصية سواء كانت مادية، أو شهرة يتوخاها كل من في تطوير واقعه، وتصعيد تأثيره الاجتماعي ضمن عملية تكافل عام بين أعضاء المنظمة الماسونية، وتحابُ صوري متضامن الطموح للارتقاء المراتبي للصفوة الاجتماعية - السياسية الاقتصادية المؤثرة في بنيوية المجتمع، مع تأمين الصعود، وحماية الأعضاء، وتقديم العون لهم طالما أنهم منسجمون في تحقيق ما يطلب منهم من مهمات يوجهون صوبها، وينفذون ما يؤمرون به، أو ما يرشدون إليه، مع التزام مطلقة بما يطلب إليهم تنفيذه، كل حسب المجال المؤثر فيه، بحيث يأتي مجموع تقولات الأعضاء ذوي التأثير الوظيفي، متسقاً، ومتناغماً مع الهدف المطلق، والحركة الفعلية للسير نحو تحقيقه دونما انحراف، أو ارتجال ذاتي مؤثر في الصيغة السرية المخططة، حتى إذا ما اتضح أن أحداً قد حاد عن الجادة، يعاقب بشتى السبل، حتى ولو بلغ الأمر درجة التصفية الجسدية، وتلفيق كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بهذه الشخصية، التي حاولت الرجوع، عما بدأته في طريق يسهل الولوج فيه، ويصعب الرجوع والتواني والتردد عنه، لا سيما إذا كانت تراتبية هذه الشخصية عالية في الماسونية، وحاملة للمعرفة والاطلاع على الأسرار الخطرة التي قد تلحق الأذى بكامل التنظيم عند إنشائها. ولا ريب أن خطورة هذا التنظيم كامنة في أنه يحوي كل البنى الاجتماعية العضوية المهمة، والأديان كافة، والمعتقدات القيادية التي تملك الجانب التأثيري المهم في سير المجتمع وتحريكه حسب آلية التوجه المطلوب للمنظمة.

إن الرهان المنعقد على هذه التنظيمات والإخائيات والجمعيات المتبدية في صور مختلفة، تجعل منها أدوات تنفيذ طوعية وتلقائية، تتحرك بوحي القائمين على رئاسة التنظيم المتخفين والمجهولين لدى كثير من الأتباع الذين لم يرتقوا بعد، ولم يثبتوا النجاح في عملية الارتقاء التي يحددها حسن الأداء وقدرة الاجتهاد فيما هو مسند إليهم من مهمات إرشادية أوامرية، يؤدي تحقيقها الأمثل إلى تبوؤ الدرجة

المحددة في البنية العامة للتنظيم، وقد لا تؤهله حتى، لأن يطّلع أترابه في الدرجة ذاتها أو في الدرجات الأخرى، طالما الضرورة لا تتطلب ذلك.

لقد برع قيّمو المنظمة في خلق الاستراتيجيات المضادة، بحيث نراهم فاعلين في تحريك الحالتين معاً، ومنتسبين إلى صفوف هذه وأنصار تلك، حتى وإن تتطلب الأمر التخاصم، والتضاد، وإلحاق الضرر والأذى ببعض الشخصيات التي تصنف تحت إطار التضحية المحمودة على كل حال، والمقدرة من قبل صانعي الاستراتيجيتين معاً، مما يجعلهم حاصدي نتاج الحركتين.

تعد روسيا البؤرة الأكثر إيلاماً لفاعلية هذه الحركات الماسونية الصهيونية، وربما شاء لها قدرها أن يلجأ إليها الكثير من اليهود في أعقاب الطرد عام ١٤٩٢، أو بسبب وجود الكثير منهم في قوام المجتمع الروسي على أثر القضاء على مملكة الخزر اليهودية، وانحلال الجزء الكبير منهم في تلك الأصقاع المتفرقة من الجزء الغربي لدى خروجهم من القوقاز والمناطق المحاذية لبحر قزوين، بعد أن عرفت تلك المنطقة حوادث تاريخية وصدامات دموية بين مختلف المقاطعات والإمارات، الأمر الذي جعل روسيا محتلة المركز الأول في احتوائها لهذا المعتقد بدءاً من القيصرية الأولى. ولعب اليهود دوراً كبيراً مؤثراً في الحياة السياسية والاجتماعية الروسية، تبدّى في الحصول على الحظوة لدى بعض القياصرة، والنبذ والطرد والزجر من بعض القياصرة الآخرين، وقد كانت أكثر المراحل خطراً عليهم، تلك التي تعرضوا فيها للزجر في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٨٧٠-١٨٨٠ عندما واجهوا القيصرية في تلك الآونة، التي اتخذت قراراً بمطاردتهم وردعهم بسبب ما أبدوه من تعاون مفرط مع البرجوازية البولونية والإمبراطوريات الأخرى، واستيلائهم على مقدرات البلاد البضائعية، وممارستهم الاحتكار التجاري وإفقار الشعب الروسي، وإلحاق المجاعة به، مما جعل عملية وجودهم خاضعة لحالات متواترة، متناسبة مع شروط الوضع السياسي العام في تلك المراحل التاريخية التي حاولوا فيها إيلاء التأثير والمقاومة للحفاظ على وجودهم عبر تنظيمات متعددة أخذت تزداد وتيرة عملها قبيل ثورة أكتوبر، وعلى أثر ظهور الأفكار السياسية الجديدة التي بدأت تنحو نحو الطبقية، ونبذ القومية السائدة في ذلك الوقت في روسيا، وفي أوروبا بشكل عام،

مما جعلهم ينخرطون في عملية التنظيمات الحزبية المحلية. محاولين إخفاء صفة الخصوصية على وضعهم من حيث تميز طبقتهم العاملة عن باقي الطبقات العمالية الأخرى، ونزوعهم لوسم أنفسهم بهذه السمة المتميزة التي يجب على الآخرين إدراكها والقبول بها.

بيد أن السجال الحزبي السياسي لم يمكنهم في النهاية من تحقيق مآربهم في الحفاظ على هذه السمة، رغم المحاولات العديدة في دعم الحكومة المؤقتة (شباط ١٩١٧) التي جاءت بعد القضاء على القيصرية، وشاركوا فيها بنسبة كبيرة من ظهرائهم الذين بدؤوا في ترويج المبدأ الفكري القائل بتزاوج الاشتراكية مع الديمقراطية كمرحلة أولية تؤدي فيما بعد إلى تحقيق الديكتاتورية البروليتارية. وقد انشق حزبهم (حزب العمال اليهودي - البوند) والتنظيمات المنشقية الأخرى عن حزب البلاشفة على فترات متتالية، واتخذ البعض الآخر الوقوف إلى جانب اليساريين الثوريين الذين اندمجوا في الحياة السياسية، وعمل العديد منهم في قوام ثورة أكتوبر، وانضموا إلى صفوف الحركة العمالية الروسية - الديمقراطي الاشتراكي[1]، وانتحى البعض الآخر إلى جانب التعاون مع القوات الأجنبية المتدخلة لإسقاط النظام السوفياتي، وشاركوا في استخدام جميع الوسائل والأساليب الممكنة في تنظيم المؤامرات، والعصابات، والتخريب، والإرهاب، التي أشرفت على استخدامه الدول الغربية في مجرى صراعها مع الجيش الأحمر إبان الحرب الأهلية،

١- إن أولئك الذين يلقون اللوم على الثورة، ويحملونها المسؤولية عن جميع المصائب التي وقعت في روسيا. إنما يقومون بتحريف التاريخ عن سابق إصرار ووعي، فالقيصر لم يطح به البلاشفة، بل خدمة العرش المخلصين من الكاديين (الكاديت حزب دستوري ديمقراطي في روسيا القيصرية)، وصولاً إلى أعضاء من الأسرة الإمبراطورية المباركة، ومن كبار أساقفة الكنيسة السلافية المسيحية، ومن المجلس الموحد للنبلاء، كما إن الدوائر الليبرالية المثقفة الماسونية التي شكلت الحكومة المؤقتة لم تعد تدرك ما يريد الشعب، حيث كانوا يظنون أنه بعد الإطاحة بالقيصر سوف يتسلمون الحكم في روسيا، بينما في الحقيقة لم يقدموا إلا على تحريك كرة الثلج من مكانها، والتي لم يستطع أحد إيقافها، وذهبوا بعد أن جرفتهم معها، وكأن هؤلاء الليبراليين الثرثارين، ينوون إعادة بناء روسيا على النمط الغربي، وتحويل روسيا الى مستعمرة للغرب إلى الأبد بكل ما لهذه الكلمة من معنى - شيرونين - خبايا الانهيار - تعريب يوسف جهماني والدكتور جمال الأسعد - ص٧٤.

وشكلت العديد من التنظيمات المعادية للثورة «كعصبة لوكارت»[1] و «المركز الوطني» و «متروفيكرس»، و «عصبة الجنرال كورنيلوف»، و «عصبة كيرنسكي كراف»، والجيش الأبيض في جميع المقاطعات التي كانت مناطق نفوذ للدول الأجنبية.

إن نشوب الحرب الأهلية في الاتحاد السوفياتي لا يعود إلى العوامل الداخلية، بل إن أكثر أسبابها على الإطلاق يعود إلى تلك النشاطات المعادية التي قامت بها الدول الأجنبية، وأجهزة مخابراتها، التي عملت طوال تلك السنوات وما قبل على تعميق العداء ضد قيام دولة سوفياتية، وحشدت القوى في مراحل متقدمة لمنع هذه الثورة بقوة السلاح، وقامت بتدمير طاقات البنى التحتية في المقاطعات الروسية المتعددة، وأدت إلى مقتل ثمانية ملايين إنسان، وألحقت المجاعة بالشعب الروسي والفقر، والأهوال.

على أثر انتصار الثورة، وبعد أن تم منع التنظيمات الصهيونية وأحزابها العمالية، عملت قيادة الثورة على تشكيل الأقسام اليهودية في المناطق والأقاليم «الزيمسفتات» بغية إعادة احتواء اليهود، وبصورة خاصة الطبقة الدنيا منهم، وتوجيهها، وتعبئتها من جديد في اتجاه تدميجها مع الطبقة العالمية الفلاحية الروسية بحيث تتخلى عن خصوصيتها التي كان قد زرعها قادة (الأحزاب العمالية اليهودية) (وحزب العمال - بوالي صهيوني) و (حزب العمال اليهودي) فيما بعد، وتنظيمات أخرى دخلت في قوام الحركة المنشفية، إلا أن هذه الأقسام كان لها التأثير السلبي في الوسط الاجتماعي اليهودي والروسي على حد سواء، لا سيما بعد أن أخذت الثورة في تطبيق

١- كان قد تم إلقاء القبض على عصابة لوكارت الخاضعة لإشراف دائرة التجسس البريطانية في الاتحاد السوفياتي، وحكم عليه بالإعدام عمل في هذه العصبة ريغموندروز نتيلوم (ريلي) وهو يهودي عاش لفترات منقطعة في روسيا، وشارك في تنظيم الحركات المعادية للثورة، وخطط لاغتيال لينين، وتهريب كيرنسكي اليهودي رئيس وزراء الحكومة المؤقتة إلى الخارج عن طريق فلندا، وتعرض مع أعضاء جماعة الميتروفيكرس المعادية للمحاكمة، وكان يقدم نفسه كيساري في العهد السوفياتي

سياسة «النيب» الزراعية، إذ اتخذت منحى التحفيز المضاد للثورة، مما استدعى حلها والاستغناء عنها في عام ١٩٣٠، إلا أن العديد من أعضائها كانوا قد دخلوا في قوام الحزب الشيوعي الروسي (حزب العمال الروسي - الديمقراطي الاشتراكي).

بعد وفاة لينين، على أثر محاولة اغتياله التي نفذها كل من رود، وكابلان اللذين رميا لينين بطلقات مسمومة (كان قد خطط لعملية الاغتيال هذه «ريلي» المذكور آنفاً، الذي حوصر في مبنى السفارة الإنكليزية، ورمى بنفسه في مياه نهر النيفا)، جرى تطعيم الحزب بعناصر جديدة، واستمرت عملية انتساب الشباب المتحمس منذ منتصف العشرينيات، وحتى أوائل الثلاثينيات[1]. وكان من بين هؤلاء العديد من اليساريين الثوريين، ومن المناشفة، والتروتسكيين، بعد ما تم منع كل الأحزاب الأخرى من العمل في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٢٩، وبعد طرد تروتسكي خارج البلاد عام ١٩٢٧، وقد احتل العديد منهم المناصب العليا فيما بعد في الأربعينيات والستينيات.

«ما إن دخل الحزب الهتلري النازي في نظام الحكم في ألمانيا، استشرت في روسيا موجه تنسيب أعضاء الأحزاب العمالية اليهودية التي كانت قد تشكلت في نهاية القرن التاسع عشر وفي بدايات القرن العشرين، ومنها «البوند» والأحزاب الأخرى، ودخل أعضاؤها في صفوف الحزب البلشفي. وقد استغل ستالين الصراعات القائمة بين تروتسكي، وكامنييف، وزينافييف، وبوخارين، وريكوف، وتومسكي استغلالاً غير محدود ما بين الأعوام ١٩٢٤-١٩٢٩، واتجه فيما بعد إلى تكوين تركيبة سياسية في المكتب السياسي عام ١٩٢٩ من رجالات

١- كان من هؤلاء (اليكسي كوسيغين ١٩٠٤-١٩٨٠) رئيس الوزراء من ١٥ تشرين الأول عام ١٩٦٤-٢٣ تشرين الأول عام ١٩٨٠)، وميخائيل سوسلوف (١٩٠٦-١٩٨٢) في المكتب السياسي عام ١٩٤٦، وليونيد بريجنيف (١٩٠٦-١٩٨٢) الأمين العام للحزب ١٤ تشرين الأول ١٩٦٤-١٩٨٢، وأندريه غروميكو (١٩٠٨-١٩٨٩) في وزارة الخارجية، ومندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة في الأربعينيات، حتى شغل وزارة الخارجية (١٩٥٧-١٩٨٥)، شيبلوف رئيس تحرير البرافد تولى وزارة الخارجية ١٩٥٥-١٩٥٧- انهيار الماركسية السوفياتية - محمد سيد رصاص ص ١١٢.

الصف الثالث، (والرابع في القيادة الحزبية عام ١٩١٧)[1]، ومما يلفت النظر ذلك التوجه الستاليني للاستعانة في أواخر العشرينيات بقيادات حزب العمال الاشتراكي - الديمقراطي اليهودي (البوند) التي ساهمت ونظمت محاكمات الحزبيين الأوائل[2] في أعوام ١٩٣٦-١٩٣٧-١٩٣٨، والتي طالت كامنييف، وزينافييف، وريكوف، ورادك (تم نفيه إلى سيبيريا وتوفي هناك عام ١٩٣٩) وبريوبراجينسكي (١٨٧٦-١٩٣٧)، وتومسكي (أُعدم مع ريكوف عام ١٩٣٨،

١- مثل (مولوتوف - ١٨٩٠-١٩٩٠- الذي تولى رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٢٩ خلفاً لريكوف، واستمر حتى أيار ١٩٤١، ومن ثم استلم وزارة الخارجية عام ١٩٣٩-١٩٥٥) - ميكويان - ١٨٩٥-١٩٧٨ - رئيس مجلس السوفييت الأعلى عام ١٩٦٤-١٩٦٥)، (فياشيلاف كالنين - ١٨٨٠-١٩٦٥ رئيس مجلس السوفييت الأعلى ١٩٣٨-١٩٤٦، واعتمد ستالين على ابناء جورجيا (اورجو - نيكدزه - الذي كان اقترح على لينين ترشيح ستالين لعضوية اللجنة المركزية عام ١٩١١، وانتحر عام ١٩٣٧)، (ليبريا - ١٨٩١-١٩٥٣ - رئيس المخابرات السوفياتية (الغيبو) من ١٩٣٨ حتى زمن إعدامه عام ١٩٥٣ - يهودي)، كما واعتمد على (مكسيم لينفينوف - ١٨٧٦-١٩٥١- وزير الخارجية عام ١٩٢٩-١٩٣٩، ومن ثم سفيراً في واشنطن أثناء الحرب العالمية الثانية)، (غنيريخ ياغودا - جاء خلفاً لديرجينسكي في رئاسة الاستخبارات عام ١٩٢٦، وحتى إعدامه في محاكمات ١٩٣٧، وكان قد نظم محاكمات عام ١٩٣٦)، (ويبجوف - خلف ياغودا حتى إعدامه عام ١٩٣٨ - نظم المحاكمات، وبيريا عام ١٩٣٧ - انهيار الماركسية السوفياتية محمد سيد رصاص - إصدار دار حوران ص ١١٦.

٢- تأسس البوند عام ١٩٩٧، واندمج في الحزب الروسي عام ١٨٩٨، وانسحب منه عام ١٩٠٣، ومن ثم اندمج مع حزب البلاشفة في المؤتمر العاشر آذار عام ١٩٢١ كان من بين أعضائه: (لازار غاغانوفيتش - ١٨٩٣-٢٢ تموز ١٩٩١، تولى إعادة بناء موسكو في العشرينيات - عضو المكتب السياسي عام ١٩٢٩، ترأس القسم الزراعي في اللجنة المركزية عام ١٩٣٢ - قاد حملة تصفية المعارضة التروتسكية، والبوخارينية داخل الحزب في الثلاثينيات - وزير الداخلية، ابعد عن عضوية المكتب السياسي مع مولوتوف، والماريشا جوكوف (١٨٩٥-١٩٧٤) ومالينكوف نائب رئيس مجلس الوزراء عام ١٩٥٧، وكان قد شغل رئاسة مجلس الوزراء ما بين عامي ١٩٥٣- شباط ١٩٥٥، وخلفه بولغانين حتى آذار ١٩٥٨ ليتولاه فيما بعد خرتشوف (١٨٩٤-١٩٧١) امين عام الحزب من آذار عام ١٩٥٣، جاكوب اينشتاين ياكوبليف - مفوض الشؤون الزراعية أثناء عملية التجمع الزراعي ما بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٣، ليف مخيخيلص - رئيس الإدارة السياسة في الجيش بين عامي ١٩٣٧-١٩٤٤، واعتمد ستالين على بعض اصدقائه الشخصيين مثل: العامل (أكيلوف) الذي رعى شؤونه عندما كان في السجن قبل الثورة، وتزوج من ابنته (ناديا اليلوما) - انتحرت عام ١٩٣٢)، واندريه فيشينسكي - المدعي العام في محاكمات عامي ١٩٣٦-١٩٣٨، تولى وزارة الخارجية لفترة قصيرة في الأربعينيات، تمت محاكمته فيما بعد - المصدر السابق ص ١١٣.

رغم ما كانوا يحتلون من مناصب مرموقة في صفوف سياسيي ومفكري الحزب الشيوعي السوفياتي).

لقد واجه هؤلاء خشونة الجيل الجديد الحاكم، وأذهلهم ذلك الصمت المطبق الذي لف عملية سقوطهم، وأكثر ما آلمهم أولئك الزملاء الذين كانوا معهم في الحزب عام ١٩١٧، وكيف استطاعوا أن يملكوا هذه الروح القاسية.

لا شك أن حالة انعدام الوزن استشرت ما بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٢ بسبب المد الفلاحي المتعاظم الذي كان يمكن أن يؤدي إلى عملية تحول كبير في الحالة السياسية في تلك الآونة. وقد طالت غالبية القوى السياسية الفلاحية (بادكولاك) التي عارضت سياسة مصادرة الأراضي والمواسم، واستخدمت أداة سياسية بيد بعض العناصر التجارية المساهمة والمستفيدة من سياسة التوزيع والتسويق الزراعي، وباعدت هذه العملية بين أعضاء التحالف الذي كان قائماً بين العمال والفلاحين، وأضعفت الطبقة العاملة، إلا أن فعالية هذا التحرك الفلاحي قد شابت الكثير من الملابسات، لما أبدته الحركة الفلاحية من فعاليات نشطة شاركت فيها التنظيمات العاملة في الوسط الاجتماعي بسبب ما كان سائداً من وجود طبقة اجتماعية دينية مؤطرة داخل التجمعات الكنسية واليهودية في تلك الآونة، التي كانت تتصرف بالكثير من الاقتطاعات الزراعية والتسويقية. وقد لعب دوراً كبيراً في ذلك الوقت لازاغانوفيتش (يهودي) الذي فاقم من المسألة الزراعية ومن معاداته للطبقة الكهنوتية، وهدم هيكل المسيح في موسكو، صادر أموال الكنائس والأديرة ونفائسها، وتدخل في تنصيب الكهنة والبطاركة.

قامت في أوائل الخمسينيات في نهاية المرحلة الستالينية حملة تصفية ضد الكوزموبوليتية[1]، وتجددت أيضاً بعد قيام أزمة الصواريخ على الأراضي الكوبية، وطالت الأدباء والشعراء والفنانين التجريديين، وباعدت هذه من جديد بين فئة

١- تركزت هذه الحملة ضد النفوذ اليهودي داخل الاتحاد السوفياتي، وشمل الاعتقال بعض الأطباء اليهود المشرفين على طبابة أعضاء اللجنة المركزية في آواخر عام ١٩٥٢ وأوائل عام ١٩٥٣، وسميت هذه العملية الاعتقالية «بمؤامرة الأطباء» التي قيل انها كانت تستهدف حياة بعض أعضاء القيادة من اللجنة المركزية والمكتب السياسي - المصدر السابق ص ١٧٣.

الانتليجستيا والأكاديميين[1] من المؤسسة الحزبية، واستمرت حتى أعوام السبعينيات، وكان من أبرز من طالتهم هذه الأزمة سولجنيتسين[2] وساخاروف.

بيد أن هذه المعارضة لم تخرج عن إطار الإدانة لكل ما هو قائم، وبالسبل كافة سواءً بتهميش الواقع وتباعده عن البنية الأخلاقية، أو بفضح دور المركز البيروقراطي خاصة في عهد ستالين، وما أعقبته من مراحل اعتمدت بها الطريقة ذاتها، إنما بصورة أكثر جماعية من قبل الكوادر الحزبية المستلمة زمام القيادة السوفياتية، وخاصة بعد استفحال الصراع مع الغرب أثناء الحرب الباردة، التي تمظهرت على شكل اندفاعات سياسية من كلا الطرفين تجاه الآخر، وربما لعب المنشقّون دوراً إعلامياً مضاداً لدولتهم، ولاقوا التسويق الفكري المناسب من قبل الغرب لإظهار هذه الشخصيات تحت مفهوم حقوق الإنسان، وإطلاق الحريات العامة كسبيل دعائي مضاد.

كانت مرحلة الخمسينيات بعد وفاة ستالين أكثر المراحل تراجيدية في حياة المجتمع السوفياتي، لا سيما العديد من الشخصيات الوارثة للستالينية، كانت قد شابهت السلوك الفردي المميز، وانطبعت بالتسليمية التلقائية للأعلى طالما كانت قد تعودت ذلك المنحى في زمن سابق، وكانت مجرد أداة للطاعة العمياء لجميع الأوامر والقرارات الصادرة من القيادة من دون مراجعة عميقة من المنفذين، الذين امتازوا بتلك الآونة بتخليق النزعات التصفوية المتتالية للكوادر القيادية الحزبية، بدءاً من القياديين الشيوعيين المؤسسيين وانتهاءً بأبناء الجيل القيادي السالف، حتى غدت المطاولة دأباً يتم تحت ذرائعية ضرورات الواقع المطلق، وسيادة مبدأ المركزة القيادية التي أخضعت عملياً مفاهيم نسبية الأخلاق والتعميم لصالح الضرورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية،

١- كان قد تم إبعاد أستاذ الفيزياء (ايغورتام) الحائز على جائز نوبل عام ١٩٥٧ عن التدريس في جامعة موسكو، وتمت فيما بعد علمية مشابهة ضد الأدباء، والفنانين (الكسندر سولجنيتسين) والشاعر (يفتوشينكو) و «الياهر نبورغ - يهودي عاش ما بين ١٨٨١-١٩٦٧) والراوي الشاعر (يوريس باسترناك - ١٨٩٠-١٩٦٠، والشاعر فلاديمير دياكوفسكي ١٨٩٣-١٩٣٠ انتحر على اثر ذلك).

٢- نشرت الرواية الأولى (ايفان دنييسوفيتش) في تشرين الثاني عام ١٩٦٢- الكسندر سولجنيتسين بين فيها تجربة معسكرات الاعتقال في عهد ستالين صنف سولجنيتسين وساخاروف من عداد الماسونيين حسب فلاديمير شومسكي.

رغم أنها بدت فوق ذلك كله ناشزة عن الإطار التطوري المخطط، أو السببي البيني لمجموع تلك التصفيات القيادية والشعبية. وقد لا نجانب الحقيقة لو قلنا إن عدداً كبيراً من الشخصيات اليهودية قد لعبت دوراً كبيراً في مراكز التأثير الأمني - القضائي والاستشاري في عهد ستالين، والذي يعود بسببيته إلى معطيات تلك المرحلة المتسمة بقيام الحرب العالمية الثانية، وما سبقها من إعداد عدائي مبيت بين الدول الأوروبية وطغيان طابع الشوفينية المقومنة التي طرحها هتلر مبدأً لضرورات التفوق العرقي الآري، وسبيلاً للتوسعات في المجالات الحيوية الاستراتيجية المطلوبة للاحتواء والسيطرة النخبوية، مما مكن اليهود من الإمساك بتلابيب الأحداث، لاستخدامها على الوجه الأمثل عن طريق تقديم الخدمات هنا وهناك، والارتماء في أحضان الأحداث وصانعيها بطرائق مختلفة، الأمر الذي أدى إلى وجود فاعل لليهود في المجتمع السوفييتي في المرحلة الستالينية، لا سيما الكثير منهم كان قد اندمج في كينونة النظام بعد الانشقاقات والانحلالات المتكررة في تنظيماتهم، مما حدا بستالين لأن يجعل من البعض منهم أدوات تنفيذ غير مالكة لعنصر التهديد والخطر على قيادته. وكان من أبرز هذه الشخصيات لازارغانوفيتش المستشار الأول لستالين، والصديق فيشينسكي وبيريا وشخصيات العديد من التروتسكيين والبوند والكاديت والآيسير والفوضويين المنحلين في قوام النظام الجديد. وقد لعب هؤلاء دور الظالم والمظلوم وأعدموا الكثير من البشر تحت تسميات متعددة، وتعرّضوا هم أنفسهم للإعدام وخاصة منهم بيريا، الذي ما كان ليعدم لولا تدخل الجيش الفعال، والذي لم ينس بعد دور الاستخبارات في تصفية ضباط الجيش الأحمر في الثلاثينيات. ولقد ساهم الجيش في ذلك الوقت بإبعاد العديد من شخصيات المرحلة الستالينية: (مالينكوف عام ١٩٥٥ عن رئاسة مجلس الوزراء، ومولوتوف عن الخارجية، وغاغانوفيتش وبوكوف)، وقام أعضاء المكتب السياسي، الذين تم إبعادهم عام ١٩٥٧ على أثر اجتماع اللجنة المركزية بعد إقالة خروتشوف من المكتب السياسي في تموز عام ١٩٥٧ بمعارضة المكتب السياسي، وأعادت خروتشوف للسلطة الذي قام فيما بعد بإطلاق سراح آلاف المعتقلين من معسكرات الاعتقال، وخلق جواً من الحريات الثقافية والأدبية، والتوجه نحو تعزيز الصناعات الخفيفة والاستهلاكية، والتركيز على القطاع الزراعي، واستصلاح الأراضي، وإيلاء الأهمية للتجارة الخارجية.

لكن هذا الانفراج ترافق مع تململ في الأوساط الاجتماعية في البلدان الاشتراكية، أدى إلى خروج المجر ويوغسلافيا، وألبانيا من منظومة الدول الاشتراكية، وظهر التوتر الداخلي في كل من تشيكوسلوفاكيا وبولونيا، ورومانيا، وبلغاريا وألمانيا الشرقية، وبدأت تظهر علامات الضعف السوفياتية خارج الحدود الغربية والشرقية على أثر انهيار الحلف الصيني - السوفياتي، واضطرار الحكومة برئاسة خروتشوف إلى سحب الصواريخ من كوبا على أثر حادثة خليج تونكين، مما آدى في النهاية، وأمام هذا الاضطراب في المكانة الدولية وظهور التوتر الداخلي، إلى قيام المكتب السياسي بتنحية خروتشوف من منصب الأمين العام (١٤ تشرين أول ١٩٦٤)، وتنصيب بريجنيف بدلاً عنه، ولم تفلح شعبيته في الأوساط الاجتماعية من إيقاف إبعاده. حيث ساهم التناقض بين الإداريين والحزبيين من جهة وبين الجيش والقوى الستالينية والاستخبارات من جهة ثانية في إسقاطه، بسبب عدم استكمال حلقة التكامل بين المؤسسات الدولية مع المؤسسات الاجتماعية، الأمر الذي سبب التوتر الداخلي وعدم الاستقرار في كينونة المجتمع، واستمر حتى إلى مرحلة بريجنيف لما كان سائداً من تواتر متساوقٍ بين أعضاء الترويكا في عهد «بريجنيف، بودغورني - رئيس مجلس السوفييت الأعلى والمقرب من الستالينيين المتشددين، وكوسيغين). على الرغم من ما وصل إليه النمو الاقتصادي، وانتقاله إلى عصر الأتمتة والتطور المعلوماتي، بسبب الفعالية التي أبداها كوسيغين في مجال العمل الاقتصادي وتحسين العلاقات الدولية، مما اكسب المرحلة طابع المرونة، وتخفيف التوتر الخارجي. إلا أن هذا التحرك الفعال لم تؤتِ أُكله بسبب ما اصطدم به من عوائق تمثلت في تحقيق التوازن الاستراتيجي النووي مع الولايات المتحدة، وبروز النزعات الاستقلالية، والاضطرابات في الدول الاشتراكية (تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وما أعقبها) من تضادٍ في المواقف بين أعضاء المكتب السياسي الواحد. الأمر الذي أدى إلى إبعاد كوسيغين عن السلطة الفعلية، واستلام مقادير السلطة من قبل بريجنيف، الذي عمد إلى تعزيز موقعه في الأوساط العسكرية والاستخباراتية والشعبية، وخلق توازنات جديدة في التركيبة البنوية للمجتمع السوفياتي» ومازج في اهتمامه بين الاقتصاد والسياسة والأيديولوجية، وعزز معادلة التوازن مع الغرب وعلى

رأسه الولايات المتحدة بعد توقيع اتفاقية سالت (٢- عام ١٩٧٩)، وساهم في تفادي أشكال الصراع المتعددة للهجومية المباشرة العنيفة مع المعسكر الآخر رغم أن هذا لم يوقف استشراء عملية العداء الغربي السافر واستمراره في تأجيج الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفياتي، والتي ساهم فيها بشكل مباشر التنظيم الصهيوني بعد أن كان قد عزز علاقاته مع الغرب بانتقاله المباشر بعيد الحرب العالمية الثانية إلى العمل ضد دول المعسكر الاشتراكي، خاصة بعد أن قام خروتشوف بتصفية مواقعهم على أثر المحاكمات التي طالت العديد منهم في الأوساط الثقافية خلال عامي (١٩٥٣، ١٩٧٥) مما حدا بهم إلى اتخاذ موقف مضاد للسوفياتية ولمنظومة الدول الاشتراكية مستثمرين تحريك الأوساط السياسية والاجتماعية داخل الاتحاد وخارجه في الدول الاشتراكية وفي الدول الغربية مما مكنهم من التأثير على الأوساط الإدارية السياسية ووضعها في تضاد مع المؤسسة العسكرية والاستخباراتية، وهذا أدى في النهاية إلى الرخاوة في الموقف السوفييتي حيال عملية التوازن الرادع مع الغرب في نهاية مرحلة بريجنيف، وخاصة بعد الانزلاق في عملية التدخل في أفغانستان على أثر قيام الثورة الإسلامية، وبروز التخوف من المد الإسلامي المؤثر على الحدود الجنوبية للاتحاد، الأمر الذي أثار الخلل في مسألة التفوق الاستراتيجي الجيوبولتيكي، بعد أن كان قد أفلح في إظهارهما إلى آن على المستوى الدولي. إلا أن فشل التأثير في الوضع الداخلي في أفغانستان، وقيام أوروبا (الحلف الأطلسي) بنشر الصواريخ المتوسطة المدى (كانون الأول ١٩٧٩)، الذي أكسب الغرب عناصر أكثر استراتيجية على الحدود الغربية للدول الاشتراكية والاتحاد السوفياتي.

إن الاستقرار المرحلي في عهد بريجنيف، وتواترها في الصعود النسبي للمعادل الاستراتيجي مع الغرب، لم يكن نابعاً من عوامل تفاعل داخلي حي، إنما كان معتمداً على توازنية مؤسساتية بين الحزب والإدارة السياسية والجيش والاستخبارات، التي كانت تسعى بشكل دائم إلى استثمار لحظة الانتصار والنجاح السياسي في الخارج، دون أن ينم هذا عن تفاعل حقيقي في عمق المجتمع التحتي، الذي أظهر اللا مبالاة مع الواقع القائم دون انفعال بالإنجازات الفوقية لهذه البنى المؤسساتية، لا سيما بعد أن حرم هذا المجتمع عبر السنين التقليدية التمازج، والاندماج مع

ضرورات الواقع الراهن والقائم كحالة لا تثير الحماس والانبهار كما في السابق، مما جعله سائراً في السياق المرحلي بشكل اعتيادي، دون احتمال تخوف ذاتي مما يخبئه المستقبل وما يحمله من المفاجآت، وفقد على أثر هذا عامل الحذر النبيه، وجعله عرضة لأن يستمع من كل الاتجاهات، دون تمييز بين ما هو غث وما هو سمين. مما فعّل من ظهور عملية انفعال داخلي في طوية السويات الاجتماعية، للتخلص من هذا الوضع العبثي الممل اللا مقترن بالمتعة والسعادة الحياتية، لا سيما بعد استشراء النشاط الإعلامي الغربي والنشاط الاجتماعي الداخلي من قبل الفعاليات الصهيونية - اليهودية، التي بدت في تلك الآونة أنها أكثر تنظيماً وتماسكاً من قوام المجتمع السوفياتي، سواء من حيث هدفيتها أو من حيث تعزيزها المادي الذي صار يتبدى في ترويج البضائع الغربية، والتقانات الإلكترونية، والإثراء السريع من خلال الاتجار في السوق السوداء، وحيازة العملات الصعبة والقيام بأعمال غير مشروعة، حتى غدت عملية التبادل السلعي شرعة اجتماعية لا تتحرّج من مزاولتها أيّ شخصية كبرت أو صغرت، حتى لاذت تلك النفوس التي كانت مفعمة بالروح الدفاعية القوية بالاستسلام إلى اللا مبالاة والقصور، والاندفاع إلى الطموح للعيش الحياتي الغربي، خاصة وإن الخواء الروحي الذي عاشت به الجماهير في الفترة السابقة، جعلها تصغي من جديد إلى التقولات الروحانية - الدينية التي بدأت تتلقفها عبر النشاطات المتعددة للجمعيات والمذهبيات المحفزة تحت التأثير الغربي، والناشطة بعد وصول ريغان والكاهن كارتر إلى رئاسة الولايات المتحدة. وغدت تلك الجماهير مشدودة إلى أوتار النشوة المشوبة بالتمني والتوق لنيل الحريات الشخصية، وحقوق الإنسان، والحياة الديمقراطية العبثية.

هذه الصورة الباهتة التي شابت مرحلة بريجنيف أوائل الثمانينيات، وسمت المرحلة بالرخاوة والترهل، وجعلتها ترتبك أمام المفاجآت والأحداث غير المنتظرة، خاصة منها الجانب الإداري - السياسي لعمل الوزارة، التي ترأسها في تلك الآونة تيخونوف (اعتباراً من تشرين الأول ١٩٨٠- أيلول ١٩٨٥)، والذي أبدى الكثير من الإحباط المعنوي أمام الأزمة الاقتصادية، واكتفى بالتصرف في حدود ما يفرضه الأمر الواقع، دون القفز فوق الحالة الجمودية التي أصابت الجهاز الحكومي العاجز

عن تخطي ذاك الترهل واللا مبالاة، والافتقار الديناميكي لمعالجة الأمور العالقة، والمبادرة إلى تطويع الحدث، لا اللحاق به، على العكس من تلك الفاعلية، التي أبداها الجهاز الاستخباراتي في تلك المرحلة (والمتوافقة بفعاليتها مع القوات المسلحة)، الذي تخطى الوقائع والمتغيرات باقتحامية غير متراجعة أمام المآزق الناتجة عن اللجوء إلى حالة الركون الدفاعي المشلول، في الوقت الذي كانت فيه السياسة الخارجية واقعة تحت سطوة النمطية والشكلية الاعتيادية التي عرفتها الأزمات الماضية.

استطاع اندربوف بعد أن استلم منصب الأمين العام للحزب (تشرين الثاني عام ١٩٨٢ خلفاً لبريجنيف المريض) أن يأخذ بزمام المبادرة إلى الهجومية الحادة المندفعة إلى مكتب الأحداث، ومواجهتها بالسبل الأكثر جرأة، وتقديم أفضلية النجاح والثبات للدولة في وجه تلك الصعوبات، وتخطيها بوتيرة متسارعة على أسس ديناميكية أهلتها للإمساك بطرف الخيط مرة ثانية، وأعادت الفعالية السياسية بعد جمود طويل. بيد أن هذا الجموح لم يستمر بسبب ما أصاب أندربوف من حالة مرضية في آب ١٩٨٣[١]، مما أوقع القيادة السوفياتية من جديد في حمى التردد، وفقدان زمام المبادرة، مع هذه الأرضية التي أبرزت غورباتشوف (الذي أصبح عضواً في المكتب السياسي في عام ١٩٨٠) وتدرج خلال فترة وجيزة لا تتعدى السنوات الخمسة[٢] ليصبح أميناً عاماً للحزب، وليبدأ مرحلة جديدة من التراجع عن كل المثل التقليدية والاعتيادية التي درجت السير عليها القيادات السابقة. وأضحت القيادة الجديدة خائفة ومتوجسة أمام مجريات الأحداث الدولية - والداخلية، وفقدت الجوانب الأيديولوجية، التي كانت مرتبطة عملياً بصياغة السياسة الخارجية والداخلية، لكن هذا الفقدان لم يتأتَ نتيجة سياق تدريجي في عملية تغيير الأفكار والمفاهيم في إطار التحول الزمني، أو

١- لقد دارت الكثير من الشكوك حول تعرض اندربوف إلى محاولة اغتيال قامت بها عناصر صهيونية - يهودية، لما شكله في ذلك الوقت، وخاصة في لبنان بعيد غزو القوات الإسرائيلية عام ١٩٨٢، ومحاولته إزالة التأثير الأمريكي - الإسرائيلي على الأحداث بالمنطقة، بالقوة، وبمباشرة جريئة لم يعرف تاريخ المنطقة مثيلاً لها، وخاصة في عهد بريجنيف الذي اعتمد على الموازنة السياسية كحالة جعلته متفرجاً على الأحداث العالمية.

٢- دخل غورباتشوف إلى هيئة الأمانة العامة في عهد اندربوف، ووصل في آذار عام ١٩٨٥ إلى منصب الأمين العام للحزب (مواليد عام ١٩٣١).

ضمن المتغير الطبيعي الذي تعززه الوقائع والضرورات، إلا أن ما حصل كان انقلاباً عسكرياً، واختلالاً استراتيجياً في ذهنية أولئك الذين سوقوا البيروسترويكا، وعملوا عليها، وكان لا بد من وجود مهندسين أشرفوا على دبلجة هذه المهزلة المضحكة لعملية إعادة البناء المهزلة، وقد مثل هذا الدور الكبير ألكسندر ياكوبليف على أساس سيناريو قبول الأمر الواقع، والإقرار بالخلل القائم في متراجحة التوازن الاستراتيجي لصالح الغرب، وقام ببناء كل السياسات الخارجية والداخلية والاقتصادية على هذا الأساس الذي لم يكن حالة عارضة، أو خطوة تكتيكية، أو ركوناً آنياً، تتبلور على أساسه بنائية جديدة، تدعم الموقع الاستراتيجي الأول، بل كان ذلك بمثابة تخريب للبنى التي قام عليها المجتمع السوفياتي، وإسقاط ورفض لكل الإيمانيات السابقة بالمبادئ العامة للأفكار الاشتراكية المستندة إلى أرضية فكرية عاش المجتمع عليها قرابة السبعين عاماً.

لا ريب في أن القائمين على البيروسترويكا كانوا يملكون عقدة النقص والإحساس بالوهن، والتبعية تجاه شخصيات خفية روجت لهم الانبهار مما هو حضاري غربي، وسلبتهم ما لم يكن مسلوباً من أركانهم الشخصية، ليصبحوا تلاميذ نجباء لأولئك الذين قاموا على تلفيقهم بهذا الدور الذي ينم عن عمى وجهل مطلق بأبسط قواعد اللعبة السياسية المنبثقة عن برمجة تخطيطية سابقة، لتأتي في السياق العالمي وكأنها حالة مقبولة. على العكس مما رأيناه في سابقة البيروسترويكا التي لم تكن إلا ذوباناً في الآخر المعادي (كما وكأنه لغز شيطاني لعين). وإن ما قام به غورباتشوف، وشيفارنادزة، وستانيسلاف، شاتالين، وألكسندر ياكوبليف، وتماهيهم بتبعية مطلقة دون استناد على حجج سياسية وبراهين تبريرية، تلزمنا أن نتساءل عن مرجعيتهم في أعمالهم هذه[1].

١- شابه هذا الذوبان رغم اختلاف أوجهه، ذوبان عدد من التنظيمات السابقة في الأعوام التي سبقت واعقبت ثورة اكتوبر، كحزب الكاديت، المناشفة، والديسمبريين، وهرنزت، وتورجنيف في الحزب البلشفي، رغم ما شاب هذا الانحلال من إضمار سياسي مختلف ومع كل ذلك حصل هذا الذوبان من أعضاء هذه التنظيمات فاشلين وفاقدين لكل فاعلية في المجتمع ولو الى آن. على العكس من ذوبان هذه الشخصيات تحت ارتهان مطلق لقساوسة الفكر الديني - الدنيوي المبيّت - انهيار الماركسية السوفياتية - محمد سيد رصال ص ٢١٤.

كانت قد توصلت المخابرات السوفياتية في بداية عام ١٩٨٤، إلى معلومات تفيد بأن (C.I.A) أسندت مهمات عمل جديدة «لمجموعات التغطية»[1]، ومن ضمنها جمع المعلومات الاستطلاعية (الاستخباراتية) السياسية عن أنواع وقدرات ذاك البلد (الاتحاد السوفياتي)، ونقاط ضعفه، مع ضرورة اختراق مختلف المؤسسات والشركات والهيئات الحكومية، والتأثير على صناع القرار فيها، وزرع العملاء، وتهيئة الكوادر لاستلام السلطة والسيطرة على اتخاذ القرار في مختلف الهيئات والوزارات مع التأثير على رئيس الدولة بثلاث طرق:

- من خلال اللقاء على أرفع المستويات.
- من خلال فريق عمله الذي يجب أن يكون مزروعاً فيه عملاء ضغط.
- إنتاج شركة إعلام دعائية تقوم بالتركيز الواسع على أعمال وتصريحات الرئيس المتعارضة مع مصالح الولايات المتحدة.

لا يدور الحديث هنا عن توقعات، إنما عن برنامج عمل مخطط، وعن أنشطة لتحقيق مصالح الولايات المتحدة، وتقزيم وضرب مصالح الدول الأخرى. فإذا ما عدنا إلى استعراض تلك الأحداث في الثمانينيات وبداية التسعينيات، وخاصة منها تلك اللقاءات، التي كانت تتم بين بوش وبين غورباتشوف، لرأينا أنها كانت في مجموعها لقاءات مغلقة، إما في مكتب قائد سفينة بحرية «أمريكة - حربية»، أو في الصالونات الخاصة الرسمية منها والعادية (في المنازل)، مما يؤكد أن إطار التأثير لم يأتِ نتيجة تفاوض رسمي بين شخصيات سياسية، بل كان في إطار التخطيط لعملية الذوبان والانحلال والتفكيك، حتى يصبح العدو الألد في الأمس حليفاً وصديقاً يقف معهم في تحقيق إجراءات (البيروسترويكا) المؤدية لإنهاء الحرب

١- هي نواة من كوادر الاستخبارات الأمريكية تعمل في الخارج تحت غطاء تجاري، وتم تأهيل هذه الكوادر في مدارس المخابرات المركزية، ومنها الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات، ومجالس ولجان استشارية، وقانونية، وإعلامية، يحتل فيها (من ٣-٥ شخصيات) رجال المخابرات مناصب المدير، أو نائب المدير، أو الوكيل التجاري، أو المستشار التجاري، والمندوب الإعلامي- وكانت هذه المؤسسات تغطي قانونياً من حيث تسجيلها حسب الأنظمة المرعية في البلدان العاملة فيها - خبايا الانهيار - شيرونين - دار حوران ص ٦-٦١.

الباردة، وتبييض غيوم العلاقات بين الدولتين، لتصبح علاقات شراكة انساق في تيارها العديد من الشخصيات الحكومية الروسية، وسقطت في الفخ الدعائي (شخصيات رفيعة المستوى) المبني على حتمية اللقاء التاريخي بين القوتين العظيمتين.

لقد قام «باكاتين»[1] بتسليم الأمريكيين المخططات والمنظومات الفائقة السرية المستخدمة من قبل الاستخبارات السوفياتية على السفارة الأمريكية في موسكو، دون أيّ غضاضة أو تحرج، طالما غدت أمريكا بنظر روسيا شريكاً متساوياً في الحقوق والواجبات.

كان من شخصيات البريسترويكا «غايدار» الذي كان خير مخرب للاقتصاد الروسي، حيث عمل بنصائح الأمريكيين والصهاينة في تطبيق ميكانزم التغطية الذهبية للعملة الروسية، مما يتطلب بيع الكميات من الذهب[2] الروسي، وأدى إلى نقصان حجم الاحتياطي منه. إلا أن نقاطاً أخرى كانت تسير، وهي المبادرة إلى العزل الثقافي، بحيث يشكلان معاً فراغين (اقتصادي، ثقافي)، وكان لا بد من أن يعرض الشعب الروسي القارئ إلى غزو ثقافي مميز بالتسلية، والفانتازية الخبيثة، مع نشر ثقافات العنف، وإغراء العقول الفنية والإبداعية وكل الخبرات الثقافية العالية للنزوح إلى الغرب تحت سطوة الحاجة المادية التي طغت على المجتمع الروسي بعد الفشل الذريع في تطبيق السياسات الاقتصادية بعد البيروسترويكا، وأدخلت المجتمع في النفق الضيق لتسهل عملية اصطياده وتدميره.

ورد في صحيفة «كريش سانس فانتيور في ١٥ آب -١٩٨٩)، تنويهاً إلى أنه: يجري توسع باهر في الهجوم الدولاري ضد الاتحاد السوفياتي، إذ تبين أن تهديد

١- فتحت كل الأبواب أمام رجال الأعمال المتعاونين مع المخابرات المركزية الأمريكية، واستطاعوا اختراق كافة المؤسسات والإدارات الحكومية كافة، وتمكنوا من الوصول إلى اكثر المعلومات سرية، خاصة المتعلقة منها بالاقتصاد.

٢- جاء في أحد التقارير المكتشفة من الاستخبارات الروسية «يقوم السوفييت منذ عام ١٩٨١ برفع سوية مبيعاتهم من الذهب، وبلغ حجم الذهب المباع عام ١٩٨٠ (٩٠ تسعين طناً)، إلا ان حجم المباع منه بلغ في عام ١٩٨١ قرابة ٢٤٠ طن، وتم تحويلها إلى سيولة نقدية، وما زالت ترتفع وتيرة البيع»- كما تضمن التقرير المرسل إلى الـ (C.I.A) «يعاني السوفييت من صعوبات مالية كبيرة، لذا يجب علينا متابعة النهج السياسي الذي نسير عليه».

ألف رأس نووي. لم تستطع اختراق الاتحاد السوفياتي، بينما استطاع الدولار وحده الدخول إليه، وبدأ في تدمير نصف الصناعة الروسية، وإسقاط الأيديولوجية الشيوعية، وتشتيت المجتمع السوفياتي. ويتوقع المراقبون انهياره خلال مدة زمنية تتراوح بين سنة إلى ثلاث سنوات»[1].

لا ريب أن مجمل التحركات الغربية جاءت في السياق ذاته، وأدت إلى تخريب الاتحاد، سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو بعدها بسبب ذلك التعاون بين أجهزة استخبارات الدول الغربية والإسرائيلية الذي برز من خلال الاتفاقات السرية بينها، وقد كشف النقاب عن قيام المخابرات الإسرائيلية، والأمريكية بالتخطيط لعملية مشتركة، أطلق عليها تسمية «كي - كي ماونتن» تضمنت تحريض اليهود السوفييت للهجرة خارج الاتحاد، وأقيمت لهذا الغرض بؤر متقدمة داخل المدن والمراكز التي يتواجد فيها اليهود لتحفيزهم للهجرة، وخاصة الشخصيات العاملة في وظائف تتصف بدرجتها السرية، كي يكونوا أكثر إفادة للخدمات الخاصة الأمريكية والإسرائيلية، ويكشفوا أسرار الدولة وقواتها المسلحة. وقد تشكلت في إسرائيل هيئة مخابراتية سميت «ناتيف سليار» ترتبط مباشرة مع وزارة الخارجية، وعمل فيها عدد من الدبلوماسيين لتنشيط هجرة اليهود إلى إسرائيل تحت الضغط السياسي للإدارة الأمريكية، تشرف عليها كبار الشخصيات في الكونغرس ومجلس الشيوخ، إلا أن الأمريكيين يخفون الكثير من الأهداف، وما عملية التثوير هذه، إلا جزء من حملة سافرة لتمزيق الاتحاد. وقد كشف فاوستروفسكي (أحد المشاركين في هذه العملية)، مدى التعاون القائم بين الموساد و (C.I.A)، وطرد من الخدمة بسبب عدم موافقته على الأساليب اللا أخلاقية التي كانت تستخدم من قبل الموساد، الذي أصبح يملك حتى عام ١٩٩١ جيشاً كاملاً من الأنصار اليهود المحليين، المتعاونين مع المخابرات الصهيونية. وقد ورد على لسان الشخصية الأمريكية من الحزب الديمقراطي «فاليري توفونورسكي» في مقالة نشرت في ملحق صحيفة «موسكوفسكايا برافدا» في تموز عام ١٩٩٤: «وخزتني دعوات حقوق الإنسان حتى الشبع. لا نحن ولا وكالة

١- المصدر السابق ص ٧٧.

المخابرات المركزية الأمريكية ذاتها استخدمنا هذه الأفكار ككبش لتدمير النظام الشيوعي وانهيار الاتحاد السوفييتي. كانت هذه الفكرة تخدم ذاتها، وكفى اختلاق الأكاذيب حول حقوق الإنسان، وعن المدافعين عنها. يجب أن نفكر بالطريقة التي لا يقطع فيها الغصن الذي نجلس عليه معاً»[1].

استطاع أحد المهاجرين إلى إسرائيل (وأصبح فيما بعد عضواً في الكنيس الإسرائيلي) أن يجمع معلومات عن النشاطات الإنتاجية لـ (٣٦٠ مؤسسة عسكرية سوفييتية)، وألقى القبض عليه مع زميله الدبلوماسي الغربي، وخضع للمحاكمة، وتمت إدانته، وأثيرت حوله ضجة كبيرة بحجة أنه سجين رأي.

لقد نشطت المخابرات الغربية (الإنكليزية والفرنسية والألمانية) في الاتحاد السوفياتي منذ أعوام طويلة، وازداد هذا النشاط في الثمانينيات لدرجة محمومة فاقت حدود التصور من حيث التمويل، ومن حيث تعاون بعض المواطنين في الاتحاد معها بدوافع مختلفة منها الطائفية والمعتقدية، ولم يقتصر هذا التعاون عليهم، بل استطاعوا في النهاية جرف المجتمع السوفييتي بمواطنيه ومسؤوليه للمشاركة في هذه الحملة الهوجاء المخطط لها، وأثارت القلاقل والهزات، التي أدت إلى ما أدت إليه من سقوط وانهيار تلك الدولة.

لقد ظهرت على شاشات التلفزيون وفي وسائط الإعلام الجماهيري، وفي الاجتماعات، مجموعة تتابعية من السياسيين الجدد أصحاب النوايا التدميرية، وكان منهم: آلن بونير، ويوري أفاناسيف، وأناتولي سابتشاك، وغينادي بوربوليس، وغالبنارسنار، وفاليري نوفادفورسكي، وأعضاء مجمع التنوير المساهمين في الانتقال إلى مرحلة الفساد، الذي أدى إلى التفكيك الحضاري.

لكن لا بد من أن نذكر في هذا السياق شيفارنادزة، الذي شغل منصب وزير الخارجية في تلك الآونة (خلفاً لكوزيرف)، وبذل المساعي الكثيرة في تحويل النهج السياسي للخارجية إلى الشكل الذي يفقد روسيا استقلاليتها، وأن يكون تابعاً للولايات المتحدة الأمريكية وقد كتب «فابريك هونيكر» قبل وفاته بوقت قصير، عما سماه خيانة شيفارندزة: «استناداً إلى وثائق محددة، اتهم هونيكر كلاً من

١- مجموع ما سبق نقله عن شيرونين - خفايا الانهيار ص ١٢٢-١٢٣.

غورباتشوف، ووزير الخارجية، بأنهما حاكا منذ البداية مؤامرة مع الأمريكيين وألمانيا الغربية (لتفكيك النظام الاشتراكي)، وما عملية دمج ألمانيا إلا جزء من هذه المؤامرة، إضافة إلى الأهداف اللاحقة في الاتحاد السوفييتي التي جاءت ضمن خطة معدة مسبقاً في واشنطن، على أثر المحادثات التي دارت خلف الستار بين غورباتشوف ووزير خارجيته من جهة، وبين الإدارة الأمريكية «قبيل فجر البيروسترويكا»، إلا أن المفتاح لبلوغ هدف تفكيك النظام القائم في الاتحاد، وإضعاف القيادة الحزبية فيه، قد تمت صناعته قبل ذلك أي في عام ١٩٨٥»[1].

«تسنى لشيفارنادزة أن يبقى في الظل لسبب ما، إلا أن الأسرار قد انكشفت بالصدفة، ففي آب عام ١٩٩٣، قتل في ضواحي تبسليسي (عاصمة جورجيا) فريد غودراف، وهو أمريكي يبلغ من العمر ٤٥ عاماً، وكان يشغل آنذاك منصب مستشار الرئيس الجورجي، واتضح فيما بعد أنه ما هو إلا ضابط من ضباط الـ (C.I.A). وقد كتبت الصحيفة الكندية «تورنتوستار» في ١٦ آب عام ١٩٩٣ تحت عنوان «موت عميل يكشف عن روابط غريبة للمخابرات»: إن المقتول كان في الواقع يعمل لصالح المخابرات، وكان يقوم بتنفيذ مهمات الـ (C.I.A) أثناء مكوثه في بلد غريب، وجاء في الخبر الذي تناقلته الصحافة، أن الرئيس الأمريكي كلنتون قام بتكليف المخابرات المركزية، والقوات المسلحة الخاصة بمهمة سرية - نفذوا البرنامج الخاص القاضي بالعمل على تثبيت إدوارد شيفارنادزة في السلطة»[2].

«تولي الولايات المتحدة اهتماماً خاصاً لتعزيز التأثير على دوائر جورجيا وأرمينيا الحكومية، وتوجه إلى هذين البلدين مختلف أنواع الخبراء والمستشارين ممن لهم علاقات قربى كما جرت العادة، بعد إخضاعهم لدورات تدريبية في معاهد المخابرات المركزية، وتوجهت أنشطة هؤلاء إلى تقويض استقرار جورجيا وأرمينيا، وإشعال الصراعات والنزاعات على حدوديهما، إلى الدرجة التي تصبح فيها الأخطار تستدعي التدخل العسكري تحت غطاء قبعات الزرق»، بهدف إضفاء الشرعية على

١- المصدر السابق ص ١٧١.

٢- الفقرة الثانية: مقتطفات من معلومة سرية تعود لمصدر اجنبي في حوزة المخابرات الروسية - المصدر السابق.

علميات التدخل، لتقوم بعدها بالقضاء والسيطرة على الأسلحة النووية المتواجدة على أراضيهما، والانتقال للسيطرة على القدرات النووية التكتيكية المنتشرة على أراضي القوقاز وجاء كل ذلك على أساس الفكرة السائدة في أوساط الإدارة الأمريكية القائلة بوجوب متابعة الخط الاستراتيجي الذي يسير عليه رؤساء الإدارة بدءاً من بوش وكلينتون.. وحتى آخر الحلقة، لأن ذلك يصب في مصالح رجال المال الكبار، وكل من يقف خلفهم من رجالات الدولة الأمريكية».

كان قد ذاع صيت كراس صدر تحت عنوان «ما العمل»، وربما كان مؤلف هذا الكراس «غافريل بوبوف»، أو قد يكون تشيرنشيفسكي، يعرض فيه خطة البيروسترويكا في الاتحاد السوفياتي، ويقترح المؤلف استبدال هذا الاتحاد بتشكيل عدد من الدول يتراوح بين ٣٠-٤٠ دولة، ويتم توزيع الأراضي والاقتصاديات وتدمير كل شيء وأي شيء بأي شكل من الأشكال، بحيث تغدو عملية إعادة ولادة الدولة العظمى من جديد ضرباً من المستحيل. وفيما بعد صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية الأعمال الكاملة لبوبوف في ثمانية مجلدات». كان بوبوف على علاقة مع سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، وتكررت زياراته إليها، وأجرى العديد من اللقاءات مع الشخصيات السياسية، وأطلعهم على مواقف القيادة السوفياتية، وعرض تنبؤاته المستقبلية لمجرى الأحداث السياسية الداخلية. وقد جاء في صحيفة الواشنطن بوست شباط عام ١٩٩٣: قام رئيس بلدية موسكو في عام ١٩٩١ - حزيران، بزيارة غير مخططة للسفارة الأمريكية في موسكو، وبعد عدة دقائق من اللقاء الحواري حول أجهزة تنصت المخابرات السوفياتية على السفارة، تناول بوبوف ورقة بيضاء وكتب عليها: من الضروري أن أتمكن بأسرع ما يمكن من إرسال رسالة إلى يلتسين.... الانقلاب ممكن الحدوث، ويتوجب عليه الحضور فوراً إلى موسكو (كان الرئيس يلتسين المنتخب مؤخراً في زيارة إلى واشنطن)، وفي عرض اللقاء، أمسك السفير الأمريكي جوك ميتلوك القلم، وكتب كلمة واحدة: من؟ (أي من سيقوم بالانقلاب) أجاب بوبوف بكتابة ثلاثة أسماء: «رئيس الوزراء فالانتين بافلوف، ورئيس مجلس الدولة فلاديمير كورتشوف، ووزير الدفاع ديمتري يازوف». سوف أنقل هذا الخبر مباشرة إلى واشنطن - كتب ميتلوك مجيباً.

إلا أن أكثر الحلقات أهمية، هي حلقة التنسيق بين رئيس الولايات المتحدة ريغان (في الثمانينيات) وبين مباركة البابا في روما، لشن حملة صليبية ضد الاتحاد السوفياتي. وكان ريغان قد التقى غورباتشوف في تشرين الأول عام ١٩٨٦ في ريكافيك، وقد اعترف غورباتشوف بفعالية هذا اللقاء، حيث صرح لمراسل صحيفة الفيغارو «جرى هذا اللقاء على مستوى القمة، وإننا ذهبنا بعيداً إلى الحد الذي لا يمكن النكوص عنه». وبالحقيقة ذهبنا بعيداً بعد ما قام ريغان بدور الوسيط بين غورباتشوف والبارايوان بافل الثاني (البابا) الذي كان قد انتهج سياسة حادة أطلق عليها «السياسة الشرقية»، أي جعل الكنيسة الكاثوليكية تأخذ دوراً أكثر بعداً في اختراق البنى الحكومية والاجتماعية في الاتحاد السوفياتي حيث قال البابا: «يجدر بنا أن نبرهن أن العلم الماركسي قد يستبدل بالدين، وعندها لا يصبح هناك ضرورة للاشتراكية».

تم اللقاء بين غورباتشوف والبابا في الفاتيكان ١٩٨٩-١٩٩٠، وانتشرت على أثر ذلك الدعوة الكاثوليكية في روسيا ودول البلطيق، وأوكرانيا وروسيا البيضاء، وكازخستان.

توافق لقاء غورباتشوف مع الرئيس ريغان في عام ١٩٨٦ مع ذلك النشاط المحموم الذي قام به بجيزنسكي مدير المعهد الروسي في جامعة كولومبيا الذي كان قد تأسس بتمويل من روكفلر، وتحوّل مع الوقت إلى مركز رئيسي لإنتاج النظريات الجديدة لمواجهة الدول الاشتراكية، وغدا هذا المعهد بعد مجيء بجيزنسكي بؤرة لتربية الكوادر، وإنتاج النظريات المستخدمة ضد المعسكر الاشتراكي، وقد تتلمذ في هذا المعهد باكوفلييف مهندس البيروسترويكا، وآخرون من الشخصيات التي أصبحت فيما بعد مشاركة في أحداث البيروسترويكا[1].

تزامنت أحداث البيروسترويكا مع انتشار الجبهات الشعبية «الديمقراطية القومية» الداعية إلى التوحد القومي في جمهوريات الاتحاد السوفياتي، ومطالبتها

١- المصدر السابق ص ١٩٤-١٩٥ بجيزنسكي - يهودي من اصل بولوني، لعب اكثر الأدوار عدائية ضد الاتحاد السوفياتي وخاصة في افغانستان.

بالانفصال والاستقلال، وخاصة في دول البلطيق وفي وسط آسيا، وأذربيجان وأرمينيا (ناكورني كارباخ - وإقليم ناخاتشيفان)، بعد أن دفعت الخدمات الغربية الخاصة برجالها إلى مناطق الحدود لتحريك الدوافع القومية الانفصالية الذين تخفوا تحت ذريعة لم شمل الأقارب، وتسميات مختلفة بهدف زرع بذور الشك، وتشجيع النزاعات والخلافات بين جميع السكان، بالإضافة إلى قنوات عديدة كانت تقوم بتمويل هؤلاء النشطاء الذين أطلق عليهم «الديمقراطيين النشطاء»، وكانوا في غالبيتهم من عداد كبار الشخصيات السوفييتية الحكومية الخاضعة لتأثير نوادي الروتاري «الماسونية».

تحول النشاط الصهيوني في عام ١٩٨٥ من الخفاء إلى العلنية، وسمح لهم بتأسيس المراكز الثقافية والجمعيات والاتحادات في معظم المدن، وبدأت في إصدار الصحف والمنشورات، وتدريس اللغة العبرية والديانة اليهودية، والتاريخ اليهودي الصهيوني. وكان أبرز هذه المراكز مركز «سولومون ميخايلس» الثقافي التنويري اليهودي (افتتح في موسكو ١٢ شباط ١٩٨٩ بالاشتراك مع «المنظمة الصهيونية العالمية» و «المؤتمر اليهودي العالمي»، «الوكالة اليهودية الإسرائيلية»)، الذي اعتبره الصهاينة مؤشراً على إعادة انبعاث الثقافة اليهودية في الاتحاد السوفياتي، وعبر شامير عن ذلك بقوله: «إنه علامة من علامات التقدم والتطور في الاتحاد السوفييتي»، أما بروغمان الصهيوني رئيس المؤتمر اليهودي العالمي رأى فيه «لحظة تاريخية» وإنجازاً يثبت أن البيروسترويكا مؤهلة لأن تجلب الخير للطائفة اليهودية السوفياتية، ولشعوب الاتحاد السوفياتي، ووصف «سيمحادينتيس» رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية هذا المركز بمثابة «جسر صداقة بين شعبي إسرائيل والاتحاد السوفياتي»[1].

اتخذ النشاط العلني الصهيوني طابعاً علنياً أكثر وضوحاً، وتم تأسيس منظمة «اتحاد الصهاينة» عام ١٩٨٩، وأعلنت أهدافها في ترويج الثقافة اليهودية الإسرائيلية، ونشر الأيديولوجية الدينية الصهيونية، وإقامة علاقات وثيقة بين اليهود

١- الصهيونية في الاتحاد السوفياتي - يفغيني يفسييف - دراسة هاني مندس - ص ٣٢.

السوفييت وإسرائيل. وصرح أبرز مؤسسي المنظمة غورودينسكي، بأنه ينبغي أن تضم هذه المنظمة «مجموعات عسكرية، وأن تكون «داعية» للصهيونية ولإسرائيل بين السكان اليهود في الاتحاد السوفياتي[1]. وتواصل تصاعد النشاط الصهيوني عام ١٩٨٩ بافتتاح أول مركز لعصبة «أبناء العهد» الصهيونية - الأمريكية (عصبة مكافحة التشهير ضد «معاداة السامية»). ومن ثم عقد أول مؤتمر صهيوني في موسكو في العام نفسه، وشاركت فيه كل الجمعيات والاتحادات، والمنظمات، والشخصيات اليهودية، الصهيونية (شارك فيه ٤١٤ مندوباً يمثلون ١٩٨ منظمة من ٧٣ مدينة، وحضر المؤتمر ٦٠ ممثلاً عن المنظمات الصهيونية في الغرب)، وتم انتخاب ثلاثة رؤساء لما سمي بـ «الاتحاد اليهودي في روسيا» (فادا - أي الوعد) تحت قيادة «تشلانف المشهور بإخلاصه لإسرائيل». وأعلن: «إن هدفنا الأساسي هو إخراج كل اليهود، وانتقالهم إلى حضنهم الشرعي إسرائيل». وأصدر المؤتمر مقررات تدافع عن الصهيونية، واعتبر السياسية الصهيونية العصرية جزءاً مكملاً لا يتجزأ عن حركة التحرر العالمي»[2].

نشط الصهاينة في مجال إعادة الاعتبار للشخصيات العسكرية والثقافية والسياسية في عهد ستالين (وهي بمجموعها شخصيات صهيونية - ماسونية) منها ألكسندر سولجنيتسين، واليهودي أورلوف (الذي نظر الغرب إليه كقائد مناضل في سبيل حقوق الإنسان في الاتحاد السوفياتي)، والذي اعتبر الاشتراكية آفة العصر، واليهودي الصهيوني غينزبورغ (احتضن من الأجهزة الإعلامية الغربية بعد هروبه من الاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٢، واعتبرته داعية لحقوق الإنسان»، وشارانسكي وساخاروف، والكتاب اليهود الصهاينة أمثال: يفغيني زامياتن، نيقولا ماغارام، ليونيد ليوتوف، والأكاديميين الصهاينة: ماتقي برونشتاين، صموئيل مارشاك، وطالبوا كذلك برد الاعتبار للمجلات والصحف ذات الميول الصهيونية التي أوقفت في عهد ستالين، وأعيد السماح بنشرها الآن: بودوشنوست (المستقبل)، وراسفيت (الفجر) وكينجي فوسخود (دفاتر الشرف)، وإيديشيس

١- المصدر السابق ص ٣٢.

٢- المصدر السابق ص ٣٧.

فولكسبلات، ودير فريند (الصديق)، وديرتوغ (اليوم). كما تم تأسيس وكالة أنباء يهودية عام ١٩٩٠ تغطي من خلالها نشاطات الأمانة العامة «للفادا» ونشاط المنظمات الصهيونية، كما سيطروا على وسائط الإعلام الرسمية (بعد أن كانوا تغلغلوا إليها في زمن الاتحاد السوفياتي) منها: الأزفيستيا، كومسمولسكايا برافدا، لينغراد سكالا برافدا، توفي مير، نوفي فريميا، ليتراتورنيا - غازيتا، برافد سيبيريا، نيديليا، سمينا، أبناء موسكو، كولتورنا ياجيزن، سبوتنيك، بالإضافة إلى السيطرة على التلفزيون وبعض البرامج التلفزيونية ذات التأثير الصهيوني) «الدولاب الخامس» في تلفزيون موسكو لليهودية بيلاكورنكا[1].

ساهم الصهاينة مساهمة فعالة داخل المنظمات المعادية، وخاصة داخل منظمة «الذاكرة»، وبدؤوا في ترويج الشعارات الهدامة ضد السلطة السوفياتية وكان أبرزهم يوري رفيروف اليهودي الصهيوني الذي كان يسعى للإساءة إلى سمعة المنظمة وإلى التحريض على حمل الأعلام الروسية أثناء المسيرات المعادية للصهيونية لإظهار المنظمة وكأنها معادية للسلطة السوفياتية والحزب الشيوعي، ووصمهم بالتعصب القومي، وبأنهم (أي أعضاء الذاكرة)[2] يطالبون بانفصال روسيا عن الاتحاد السوفياتي، وقام زفيروف وأنصاره برفع الأعلام الروسية القيصرية أثناء مسيرة سلميّة في ١٩٨٩/٣/١٢ نظمها معادو الصهيونية.

١- المصدر السابق ص ٣٩.

٢- تأسست «الذاكرة» عام ١٩٨٢ كمنظمة ثقافية روسية معنية بإحياء التراث القومي الروسي ومعظم أعضائها شيوعيون من أبناء القومية الروسية، بالإضافة إلى تأسيس عدد من المنظمات المعادية للصهيونية مثل: منظمة الوطن (أيار ١٩٨٩ وتضم عشرين منظمة) يراسها الكاتب ابولون كوزمين، ومنظمة الوطنيين برئاسة الكسندر رومانينكو، واللجنة الاجتماعية السوفياتية (١٩٨٨-١٩٨٩) المناهضة للصهيونية، واتحاد المنظمات الوطنية، والمنظمة الاجتماعية الوطنية، ومنظمة المحارب الروسي، وجمعية العدالة (١٩٨٨)، واتحاد النضال المصدر السابق ص ٤٣.

نشطاء البيروسترويكا الصهاينة[1]

ثمة مسألة شائكة تعترض الباحثين عن العوامل والمسببات المؤدية إلى طرح عملية إعادة البناء (البيروسترويكا)، وعن تلك الشخصيات المؤثرة والفاعلة في إحداثها الدراماتيكية المتسارعة ومدى ارتباطاتها وانتماءاتها، لكثرة ما شابها من غموض والتباس، لكن وبالعودة إلى التفاصيل الواردة في مقالة فلاديمير شومسكي، تتكشف عائدية هذه الشخصيات ومرجعيتها إلى تلك الدوائر الصهيونية - الماسونية اليهودية، وسنعمد إلى ذكرها ودورها الوظيفي في إدارة دفة الحكم في روسيا الفيدرالية.

يورد شومسكي تحت عنوان الأبالسة يحكمون روسيا، بأن كل الشخصيات المؤثرة في مختلف المجالات والأصعدة فيها بدءاً من الرئيس يلتسين، هي بمعظمها من الرجال (نسبة ٧٠٪) الذين يؤلفون وحدة متجانسة، وعلى رأسهم الاقتصادي الروسي غايدار وشخصيات أخرى نذكرها بشكل متتال.

إيراموف بيرزوفسكي - يعتبر من القمم العالية في نظام الحكم، ويملك قوة مالية تمويلية كبيرة مكنته من السيطرة على وسائط الأعلام الجماهيري وتشكيل إمبراطورية إعلامية في زمن قياسي درت عليه الملايين، ورسخت لديه القدرة لإنشاء منظومة حكومية لسرقة الشعب، وعمل بيرزوفسكي في الظل لفترة طويلة، ليخرج بعدها ويصبح مثار اهتمام في الحياة السياسية، وليتفوق على ليبيد في احتلاله منصب السكرتير الثاني لمجلس الأمن القومي الذي يترأسه ريبكين الذي كان واقعاً تحت سيطرة نائبه.

١- عن فلاديمير شومسكي - مواطنو إسرائيل يحكمون روسيا - مقالة ٨٨ روس ١٩٩٧.

تولى بيرزوفسكي قضية الشيشان بعد خروج ليبيد منها، واستبشر به الشيشانيون ونسوا أمر ليبيد بعد ما تباكوا عليه لفترة محددة، واعتقدوا أن المسؤول الجديد سيقوم بتمويلهم بشكل آمن (على حساب إفلاس الشعب الروسي)، ويمنحهم الراحة ريثما تتم من جديد عملية التحضير للإقدام على خطوات أكثر استفزازية ضد روسيا بما يتطابق مع إرادة بيرزوفسكي وملهمية الأمريكيين الصهاينة الذين أرادوا استمرار الحرب واستنزاف تريلونات الروبلات من الشعب الروسي بعد أن فقد الكثير من أبنائه هناك (مئات الألوف)، في الوقت الذي لم يكن فيه يهودي واحد في الشيشان عدا كوشمان الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء في حكومة زافاكييف دون اعتراض من باندرابيف ومسخادوف، وقد قام بيرزوفسكي باستغلال هذا المنصب ليختلس هو والزعماء الشيشانيون الأموال التي تصب في الفجوة السوداء، والتي تفوق ميزانية روسيا المخصصة للصحة العامة والقضاء والتأمينات الاجتماعية خاصة بعد مطالبة الشيشان بأن يخصص لكل مواطن منهم ٢٠٠ ألف دولار، دعم بيرزوفسكي هذا المطلب لا سيما أنه يحقق في النهاية إفلاس روسيا وموتها بما يتطابق مع سعي الأعداء العملاء لصالح الغرب، ولواشنطن وإسرائيل والحلف الأطلسي والمراكز العالمية، والاتحاد الأوروبي حتى بما فيهم يلتسين وتشيرنوميردن، وتشابايس وريبكين وكل أعضاء المعسكر الصهيوني الأمريكي العاملين على انهيار روسيا.

كان من أتباع بيرزوفسكي (اليهودي - الصهيوني حامل الجنسية الإسرائيلية) كوسينسكي، وتشابايس الذي عينه يلتسين رئيساً لإدارته، وليفيتش، ويافلينسكي، ويلتسين، وغورياتشوف، الذين يعتبرون من عداد مأموري الأخوية الماسونية مالتيفسكي، وروتسكوي (من أم يهودية، ويحمل الجنسية الإسرائيلية، ونستطيع القول جازمين إنه لا يوجد في الدوائر الحكومية الروسية شخصية إلا ودخلت في منظومة الماسونية - الصهيونية).

وقد ورد في الصحيفة «فرانكفورت الكيماين تسايتونغ» معلومات عن بيرزوفسكي، ونشرت فيما بعد في صحيفة «الكومسمولسكايا برافدا» ١٦ كانون الثاني عام ١٩٩٦ تقول «إن بيرزوفسكي اغتنى لدرجة كبيرة من جراء

مغامرته ودسائسه في تجارة السيارات، وبالطبع بمساعدة ودعم من الحكومة» التي لم تكتفِ بهذا بل ساعدته في الاستيلاء على القطاعات الأكثر أهمية، وهما الذهب والنفط، وتضيف الصحيفة: «بعد أن أصبح بيرزوفسكي وحفنة من جوقته متمكنين، قاموا بتمويل إعادة انتخاب يلتسين، وغدوا ممثلين لتلك القوى التي احتلت أبرز المناصب بشكل مفضوح وبمساعدة من تشابايس في قوام المنظومة الحكومية الحاكمة»، وتضيف الصحيفة: «لا يوجد في العالم كله دولة تثق بأناس يحملون الجنسية الأجنبية، ليحتلوا أعلى المناصب في مجالات الأمن الخاص لتلك الدولة». وقد قال بيرزوفسكي طبقاً لما جاء في الصحيفة الألمانية: اليهود يستطيعون أيضاً، أن يصبحوا روساً وطنيين. إلا أنني أضيف (كاتب المقال)[1]: «إنه يستطيع أن يصبح روسياً (طالما شملت هذه الكلمة حتى الآن الصهاينة منهم، لكن لن يكون روسياً أبداً - لأن روسيا منذ فجر التاريخ لم تعرف يهودياً واحداً - حتى واحداً - من اليهود أقسم لها بذلك».

ما إن انتهت الحرب في أفغانستان، حتى تحرك اللصوص السياسيون إلى هناك، وكان منهم يوسف كوبزوف الذي لم يقم هناك بأي عمل، إلا أنه غدا فيما بعد وعبر عدة مسرحيات من رؤوس الجنرالات المشاركين في الحرب الأفغانية، وصار فيما بعد الشخص الوحيد الذي يوقع باسم كل العاملين في أفغانستان على غرار ما كان في تشيشانيا، حيث لم يشترك في هاتين الحربين يهودي واحد، وبدت أرض المعارك خاوية منهم، ريثما توقف القتال وتقاطروا إلى هناك مثل صقور الجيف، ليسلبوا ما طاب لهم.

ننتقل بعد ذلك للحديث عن شخص آخر متميز في المنظمة الحكومية، ويحمل في الوقت ذاته الجنسية الإسرائيلية تحت كنية «كيرشبلات» بريماكوف المخادع والأكثر خطورة من كل حاملي الجنسية الإسرائيلية.

تسلق المناصب منذ كان مديراً لمعهد الدراسات الشرقية (الاستشراق)، وصار فيما بعد أكاديمياً ومستشاراً في اللجنة المركزية للحزب (بالاتفاق مع

١- هذا قول كاتب المقال شومسكي

آرباتوف)، بصفته مسؤولاً عن الإعدادالأيديولوجي لكل التحركات السياسية في أفغانستان التي صورها وكأنها جاءت نتيجة لتنفيذ الواجب الأممي السوفييتي هناك وليست نتيجة إرادته أو بناء على طلب القادة الأفغان. لا سيما أنه قام بإعداد المذكرة التحليلية لأعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي حول كل الآراء المتعلقة بالتراجيديا الأفغانية المتفاقمة والمخططة مباشرة من قبله، وبإملاء من قبل واشنطن والمخابرات الأمريكية والإسرائيلية.

سلك بريماكوف طريق التحفيز بينما كان يرشد القادة الأفغان إلى ضرورة إخضاع وتطويع الإسلاميين (كما يتم الآن حيال الآرثوذكسيين في روسيا)، كان يقوم في المرة الثالثة بإدانة الأفغان المغامرين (كما حدث في مؤتمر الحزب الحادي والعشرين)، حتى يتسنى له تقطيع الحقيقة، ويزيد في الاستفزاز المخادع (الذي كان يكافأ في كل المرات عليه من زعماء الصهيونية - الأمريكية على غرار ما كان يكافأ به الصهيوني كمانكوفسكي)، ويثير حملة من التشهير ضد القادة العسكريين، والقوات المسلحة، ونزع الثقة منها بدءاً من أفغانستان، على الرغم من أنه كان موضع ثقة عند القادة العسكريين، وكثيراً ما توجهوا إليه يطلبون منه تأمين المقابلات الشخصية مع أعضاء اللجنة المركزية، وأحياناً مع المحيطين بالأمين العام للحزب بريجنيف، (وهذا ما يقوم به اليوم باتورين سكرتير مجلس الدفاع، هو في الوقت نفسه صنيع للصهيونية، وأكثر قرباً من تشيرنومردين من وزير الدفاع رادينوف).

انتخب بريماكوف بعد ترأسه معهد الاستشراق ممثلاً لمجلس السوفييت في المجلس الأعلى في عهد لوكيانوف (الذي أمّن له الدعم الذاتي من غورباتشوف) وبهذا غدا بريماكوف محتلاً منصب الرجل الرابع في الدولة، في الوقت الذي كان فيه متزعماً العمل التجسسي الخارجي، وكأنه تابع للإدارة الروسية في المخابرات المركزية الأمريكية، وكثيراً ما كانت لقاءاته مع الرئيس المصري أنور السادات حميمية (مع العلم أن السادات ذاته كان ألعوبة صهيونية) وترافقت بالنجاح الدائم لمساعيه.

كان بريماكوف يعمل دائماً بشكل سري، لكن وبعد وصول بيرزوفسكي صار يميل إلى العلنية، ويدافع عن مصالح الولايات المتحدة والإسرائيلية، وما إن بلغ

دورة النجاح حتى بدأ يولي الاهتمام الكبير للإباحي جيرنوفسكي (اليهودي الذي تقدم في الفترة الأخيرة للحصول على الجنسية الإسرائيلية، وطالب بتدمير غزة بالقنابل النووية علماً بأنه تلقى في تلك الآونة مبلغ ٤٠ ألف دولار شهرياً من إحدى الدول العربية) لاعتقادٍ منها، بأنه قد يحتل منصب الرئيس مستقبلاً).

لم يكن معهد إرباتوف وبريماكوف (معهداً دراسياً علمياً في المفهوم الحقيقي للكلمة) كما كان معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية الذي ترأسه «الأب العراب» للبيروسترويكا ألكسندر ياكوفليف (يهودي يحمل الجنسية الإسرائيلية) بعد عودته من كندا حيث كان سفيراً لروسيا، وأصبح فيما بعد عضواً في المكتب السياسي في عهد غورباتشوف، في الوقت الذي كان فيه عميلاً للمخابرات المركزية الأمريكية ودرس في معاهدها. لم تكن هذه المعاهد معنية بتطوير ودراسة الظواهر الإشكالية بقدر ما كانت تقوم بدراسة مذكرات ولوائح التصنيف العملياتية لمواطنيه، وحسب ونسب كل من يعمل في اللجنة المركزية، والبحث عن المناسبين والمداهنين والمشايعين بشكل ظاهري للصهيونية - الأمريكية، والذين يملكون التماس مع الخارج، والذين قد يدخلون في عملية التخطيط كزعماء حزبيين في المستقبل. وهكذا بدا تصرف إرباتوف وبريماكوف كما وكأنهما يلعبان دور المخبرين من الدرجة الممتازة، أو كما يسمونهما «عملاء تأثير» أو «وسطاء ضغط».

أصبحت الخيانة العلنية تُجزى بالمكافآت على شرف «الانحراف»، على العكس مما كان في الزمن السابق عندما كانت العمالة والخيانة جرماً يعاقب عليه القانون. وإلا لكان تعرض لهذه المحاسبة رجل مثل باكاتين «العميل الأكثر قيمة» عندما قام بإفشاء أسرار جهاز المخابرات السوفييتي (ك. ج. ب) للولايات المتحدة الأمريكية، وها هو اليوم يعيش في بحبوحة من الفضة اليهودية، لا بل إنه صار يعلمنا «طريقة العيش الصحيحة»، وصار أكثر تقديراً من الآخرين.

لكن كيف يتحركون بشكل عميق وعملي لتدمير روسيا، ونسف جذور شعبها التاريخي؟؟

في الحقيقة يعتبر بريماكوف «الأحبولة» هو السوار المتحرك لذلك الميكانيزم الذي، وبمساعدة الرئاسة الأمريكية، والمخابرات المركزية الـ (C.I.A) والصهاينة في المراكز الحكومية الأمريكية، يبحث عن «خنجر» يغرسه في قلب روسيا، وقد يكون هذا عبر الرئيس، أو عبر قادة الدولة، وعبر عملائهم أمثال: غايدار بوربوليس، يافلينسكي، ب. فيدروف، وس. فيدروف، وبابوف، وكوزيروف وسابتشكا، وستاروفيتوف وآخرين من عملاء التأثير والضغط الصهيوني، حتى بلغ الأمر أن قال يلتسين برعونة أثناء وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها، عن وزير خارجيته بأنه «عميل للصهيونية - الأمريكية».

لم يخضع بريماكوف لسيطرة تشيرنومردين، بل على العكس من ذلك تعامل مع القيادات العليا نداً لند، حتى بما فيهم الرئيس (العين بالعين) بسبب ما يملك من قوة مستمدة من وراء المحيط. ونورد تأكيداً لهذا حادثة جرت في الفترة التي سبقت الحملة الانتخابية عام ١٩٩٥، إذ صرح شيرياكوف على أثر انتخابه في مجلس الدوما، كيف أن القوى الخارجية أفشلت محاولات «الاستكمال الاقتصادي» في الدول المستقلة عن روسيا، التي لم تتمكن من إيقاف الانهيار الكارثي التام لدول الاتحاد السوفياتي، حيث يقول شيرياكوف، بينما كانت مجتمعة عندي في بيتي الصيفي كل الشخصيات الحكومية الممثلة للدول المستقلة، تقدمت باقتراحات وافق الجميع عليها، عدا تشيرنومردين متعذراً بحجة العودة إلى الرئيس يلتسين والحصول على موافقته، وأجابه الجميع بأننا نأخذ على عاتقنا موافقة الرئيس، ووقع في النهاية. وفي اليوم التالي كان المحضر على مكتب يلتسين، الذي لم يهتم للأمر وسخر من عبارة وثيقة تاريخية، وقال شوخين معاون تشيرنومردين عن سبب عدم توقيع الرئيس عليها، فأجاب بأنه لن تصدر أيّ وثيقة «محضر» بسبب ورود برقية ما، ولدى سؤال شيرياكوف من الصحفيين (من الذي منع صدور الوثيقة)؟ أجاب «يجب أن نبحث عنه»... فلا جدوى لإطالة البحث. فلا بد من أن يكون بريماكوف، إذ لا يمكن أن يكون كلنتون قد أسرّ لشوخين بذلك، أو حتى قد لا يتنازل لمثل هذا الشوخين، طالما هناك قيادة للضغط والسيطرة

يمثلها بريماكوف، وكأنها فرع من فروع المخابرات الأمريكية، أو فرع من فروع الموساد المنوطة بهم مهمة إلحاق الضرر بروسيا، وبأكبر قدر ممكن. وجر روسيا إلى الانهيار السياسي الاقتصادي الكامل، وإلى الانكسار المعنوي الأخلاقي، وتحويلها إلى مستعمرة تابعة (ومقبرة لدفن النفايات النووية)، ومنبعٍ للوقود المجاني، ومصدرٍ لثروات الأخشاب والغاز، والنفط، والذهب، والماس، والعاديات الثمينة، والثقافات الغنية، والعقول الموهوبة المسخرة لخير أمريكا وخير الصناعيين الاحتكاريين المستغلين الأوائل من هجرة هذه العقول.

إلا أن أكثر الأدوار قذارة، تلك التي قام بها بريماكوف في تشيشانيا، وفي إثارة قضية جزر الكوريل وعودتها إلى اليابان، وقد أوصل القضية الشيشانية إلى درجة باتت تتعامل مع روسيا الند للند، لا بل إلى مرحلة يهددون فيها باستخدام السلاح النووي ضد موسكو، وصاروا يشيرون علناً بأنه تم شراء هذه المعدات النووية من روسيا، بينما كانت تعلن المعارضة في البرلمان باتهام غايدار ويوريبوليس بتسليح تشيشانيا وإقامة ارتباطات مع مختلف الجماعية الشيشانية بدءاً من دودايف، وباساييف ونظام أتشكيري، وتعزيز العلاقات بين المافيات الشيشانية من كل الفصائل مع المافيات الصهيونية في موسكو، وتنفيذهما معاً مختلف أشكال الممارسات من تهريب للمخدرات والمنوعات وتجارة السلاح، وسلب المساعدات المالية المخصصة لتمويل النظام الموالي لروسيا، وتنفيذ الاغتيالات، والنشاط الإعلامي الخارجي، والتعاون مع المافيات في جورجيا ونظامها.

إلا أن أكثر ما يلفت النظر هو سعي بريماكوف وأتباعه، إلى إحداث أكاديمية يهودية (حملت اسم «ماليموند»، وقد ساهم في هذا الأمر حاكم روسيا في تلك الآونة يوريبوليس على غرار ما هو عليه تشوبايس الآن)، وبدأت في تعليم اليهوديين - اليهود حكمة عظمائهم منذ ألف وخمسمئة عام، ودُفعت تكاليف البناء والإنشاء من ميزانية روسيا وليس من جيوب الملياديرية اليهود أمثال بيرزوفسكي، وكوسينيسكي، وغدت مقراً لأتباع بريماكوف وللجاسوسية الخارجية، حتى إذا ما تحدثنا عن عملاء الجاسوسية (الحقيقيين والمحتلين) لا بد أن نذكر منهم: غورياتشوف، أ. ياكوفليف، ويلتسين (إيل تسين) وسولجيستوف (ألكسندر

عيسوفيتش)[1]، وشفاريفتش، وف. استافيف، وليمونوف، وماكاروف، وافيريتسيف، وأرباتوف الكبير (اينربيرغ)، وأرباتوف الصغير، وأركانوف (شتيبس بوك)، وكورين (افشتين)، وأحمد ولينا (يهودية من الأم)، وبكلاتوف (فريدمان)، وبيتوف، واكوديكوفا، وكارياكين، وبريستافكي، وستريلياني، ويوروف، وفوزنينسكي، ويفيتشينوكو (كانكنوس)، وغايدار، وكراتين، وغريتشكو، ماكوسمونف، خفانيسكي، وخازانوف، ريبتروسيان، م. زاخاروف، ونيكولين، وايسكاندرا، وكاسيروف، وكوفاليف (من مجلس الدوما)، ويوشينكوف، وليخاتيف، ونيسيئزفستي، وبانفلييف، وبولتارين، وساراليف، وبوروفيك (فابزينيرغ)، والشاعر كورجافين (ميندل)، وكوروتيتش (كارزمان)، وسوبتشاك (فينكليشتين) ويو. أ. فاتسييف (شميزون)، ويوغا تشيفا (بيفزينر)، عدا عن مجموعة من الروس الجدد الذين يخضعون لدائرة التجسس الخارجية كانت قد وردت أسماؤهم في لائحة أكثر تفصيلاً في صحيفة «روسكايافيستينكا» رقم ٣٢-٣٦-١٩٩٥ «مجلس البشير الروسي».

مارس بريماكوف بعد تعيينه وزيراً للخارجية بعد إقالة كوزيروف دوراً أساسياً في المجال السياسي خاصة عند طرح عام ١٩٩٦ إلى التسوية مع اليابان حول جزر الكوريل، وأقر بحق اليابان في هذه الجزر، ووضع روسيا بالتعاون مع تشوبايس زوج ابنه الرئيس يلتسين (نصف الحي) في حالة ارتباط عضوي مع الغرب، واستكمل ذلك الذي لم يستطع كوزيروف القيام به من تدمير اقتصادي كبير، ساهم فيه ليفشيتس وزير المالية (يحمل الجنسية الإسرائيلية) خاصة بعدما أصبح يلتسين يوقع المراسيم وهو في حالة غيبوبة ونعاس دائمين (كما كان يوقعها بريجنيف في نهاية مرحلته)، حتى بلغ الأمر إلى الإقرار بدفع الديون المستحقة على الميزانية الروسية منذ مئات السنين (الديون القيصرية لفرنسا)، إذ قال تشيرنومردين: إذا ما دفعنا ديون فرنسا، فإننا بهذا نرفع شرف روسيا عالياً، وأضاف بأن الأجيال القادمة ستستغفر ليلتسين وتشيرنومردين، وتشوبايس، وبيرزوفسكي.

١- أن كنية سولجيستوف ليس عيسوفيتش - بل ايساكوفيتش، والذي أصبح بمثابة البابا في روسيا.

لا بد أن نضيف إلى تلك المجموعة كلاً من: باتورين (حامل الجنسية الإسرائيلية) سكرتير مجلس الأمن الروسي المشرف على متابعة الترقية في صفوف الجيش الروسي، وحل بديلاً للجنرال ليبيد، وكوكوشين النائب الأول لوزير الدفاع «حامل للجنسية الإسرائيلية - تلميذ الصهيوني حامل الجنسية الإسرائيلية الأكاديمي آرباتوف، الذي رعى كوكوشين في المعهد الأمريكي - الكندي التابع لـ (C.I.A)»، وساهم كلٌ من باتورين وكوكوشين بطرد الجنرالات الروس من الجيش، وكان من ضحاياهما وزير الدفاع غراتشيف، وعدد كبير من الضباط من كل صفوف القوات والمراكز القيادية، وقادا معاً حملة تشهير ضد القوات البرية عام ١٩٩٦، وعلى رأسها الفريق سيميونف «الذي وصف بأنه لطخ شرف القوات المسلحة»، واتسعت دائرة الحملة الإعلامية ليشارك فيها أحد اليهود عضو مجلس الدوما اللواء بلوخين، وآرباتوف (الصغير)، والصحفيان رادزيخوفسكي، وفبل غينغاور، بالإضافة إلى ليبكين رادينوف (وزير الدفاع بالخبرة) الذي طالب بتخفيض الخدمة في القوات المسلحة الروسية بتوجهات من يلتسين وكلينتون، وكان رادينوف (الغير بعيد عن الدم اليهودي، قد دفع إلى هذا المنصب بعون من الجنرال ليبيد، إلا أنه فيما بعد وصفه بالخيانة عندما أصدر قراراً بتخفيض قوات الإنزال الجوي. وأشيع عنه في ذلك الوقت أنه سيضم المواطنة الإسرائيلية (كانت قد شاركت الأكاديمي آرباتوف مع صهاينة آخرين في «التروست المدبر» في عهد غورباتشوف في إثارة حملة ضد العسكريين) إلى وزارة الدفاع بصفتها وجه مدني.

تمكنت العصبة الشيطانية المخططة لهذه البيروسترويكا الملعونة «المؤلفة من حاملي الجنسية الإسرائيلية، وعلى رأسها «الكاردينال المثقف» و «الأب العراب» للبيروسيرويكا «ياكوفليف» من احتلال الكرملين، وطرد كل الشخصيات الحكومية الروسية (حسبما أوردت صحيفة «دين» تاريخ ١١-١٧ تشرين الأول عام ١٩٩٢، بأن مخططي البيروسترويكا أصبحوا خارج إطار «تسمية الطابور الخامس، وغدوا يحكمون روسيا علانية»، وتحولت الكاتدرائيات الأرثوذكسية على أرض

الكرملين، والساحة الحمراء تحت تصرف الكنيس، حتى بلغ الأمر بهم إلى إقامة هيكل كاذب مكان ذلك الذي كان قد دمره لازارغانوفيتش (في المرحلة الستالينية - هيكل المسيح المخلص)، ولا ينقصهم إلا أن يضعوا نجمة داوود السداسية[1]، بدلاً من الصليب الأرثوذكسي تحت نظر وصمت الرئيس الداعي إلى التوحد والتوافق، وصمت البطريرك الصوري ألكسي الثاني (الذي أشارت إليه المعلومات الصحفية والإعلامية، بأنه أيضاً من اليهود ومن مواطني إسرائيل) وخنوع رجال الدين الأرثوذكسيين الذين بدأت تتنامى حولهم الأعداد والرعايا اليهودية[2] أمثال كوتلياروف (الكنية الأصلية كوتليار) ميتروبوليب بطرسبورغ، حتى غدت روسيا قيصرية (إمبراطورية) وحشية شيطانية يهودية مخيفة تعمل على الإفساد والانحلال العام.

يمارس اليهود عبر الإعلام لعبة إفساد المجتمع عن طريق انتشار الخلاعة وترويج الفسق الجنسي، والعنف في وسائط الإعلام المرئية، ويقوم بهذا الدور مقدم البرامج الخلاعية بارنز، ويشاركه بعض الممثلين الأمريكيين الذين يستقبلهم في برنامجه لإغناء المواضيع الجنسية الشاذة، والعلاقات الجنسية المخالفة للطبيعة، حتى بلغ الأمر بأحد المروجين الإعلاميين (ليستيف) إلى أن يقول حول موضوع اللواطة إنه وارد بشكل كامل في إرشادات المسيح، علماً بأنه يهودي مثله مثل جميع مقدمي البرامج التلفزيونية عدا كروتوف المشرف على برنامج «البيت الروسي»، على الرغم من ما أشيع بأن جميع العاملين في برنامجه هم من اليهود.

الشخصية الداعية إلى الإغواء والزنا والفساد، هو إدوارد ليمونوف الذي لم يكن في يوم من الأيام كاتباً، ووصل إلى روسيا من الولايات المتحدة الأمريكية

١- بعد ظهور النجمة السداسية، قد يتوقف العمل بالنجوم الخماسية (على الرغم من أنها - نجوم سليمان، التي نقلت إلى روسيا، واستخدمت في الرتب العسكرية من قبل الماسوني تروتسكي المصدر السابق.

٢- استخدم اليهود حق الدخول في الأرثوذكسية قبيل عام ١٩١٧، وغدوا من المسيحيين، وتساووا مع الروس في كل شيء، دون التخلي عن يهوديتهم، إذ أن اليهودي لا يمكن أن يصبح مؤمناً اكثر مما هو مؤمن بيهوديته ذاتها - المصدر السابق.

(عاش قبل زمن في روسيا)، وقدم نفسه وكأنه وطني روسي بعدما تلقى الدعم الكافي من أحد مشرفي الصحيفة «اليوم»، «الآن» و «غداً»، المدعو بونداريكو الذي علق على كتاب ليمونوف «المراهق سافينكا» المنشور في المجلة القديمة «كوبان»، وأطلق على ليمونوف أنه «من جماعتنا» وأنه «الأرثوذكسي»، رغم أن الكتاب يجمل صورة الأم البريئة، مثله مثل الكتاب الآخر تحت عنوان «هذا أنا - ايديشكا»، وايديشكا هذا ما هو إلا مدمن لواطة. ونشر ليمونوف فيما بعد صحيفة تحت عنوان «ليمونكا» وشن حملة على مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا، واتهمه بأنه أعطى صورة معاكسة للشخصية السياسية لليمونوف.

فليمونوف هو ابن لأب يهودي (ويقدم في كتابه «اليافع سافينكا» تفاصيل عن حياته الشخصية، وقد أطلق والده عليه هذا اسم «إدوارد» بسبب إعجابه بالشاعر اليهودي إدوارد باغرتيسكي).

لم يقتصر التأثير الصهيوني - اليهودي على روسيا فحسب، بل طال روسيا البيضاء وحالوا عبر الشخصيات السياسية أمثال: شاريتسكي، وغونتشار، ويوزدنياك، وناموتشيك استثمار الاضطرابات التي حدثت على أثر قيام البيروسترويكا، وأعاقوا عملية الاتحاد والدمج مع روسيا الفيدرالية لما تربط البلدين علاقات تاريخية قديمة بحكم العرقية الواحدة (السلافية) والقرب الدائم بين الشعوب الروسية.

رغم كل المحاولات التي أبداها الصهاينة بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، جاءت النتائج لصالح الرئيس لوكاشينكو، وسلمت روسيا البيضاء من التلاعب الصهيوني - اليهودي بفضل دعم الشعب لرئيسه المتميز عن رؤساء الدول المستقلة كافة من حيث إصراره على التماسك وعدم انحلال الجمهوريات السوفياتية بطريقة فوضوية تؤدي إلى الانهيار الاقتصادي الكامل والتردي المعيشي القاتل في أوساط الطبقات الاجتماعية المختلفة في جميع الجمهوريات.

جاءت عملية إحكام قبضة الصهيونية على روسيا متساوقة مع المفهوم الديني اليهودي القائل بظهور المسيح الدجال من روسيا، حيث ورد في إرشادات ووصايا

الرب اليهودي «يهوه»، وحسب خطة الملك اليهودي سليمان، سيتم في عام ألفين إقامة السيادة اليهودية العالمية، والتي يجب أن تقوم بدلالة حلول المسيح الدجال اليهودي صاحب الملاذ، والذي يحكم العالم بشكل مطلق مع المؤسسات اليهودية للحكومة العالمية، التي ستكون على شاكلة ما يعرف اليوم بنادي «بيلدربيرغ» مع الهيئة الثلاثية، اللذين يقومان بذات المهمة المبدئية في السيطرة على كل الشخصيات الحكومية الرفيعة في الولايات المتحدة الأمريكية، دول أوروبا الغربية، واليابان، وكل الدول الأخرى في مختلف أصقاع العالم، بحيث تحقق المتطلبات الرئيسية لتشكيل الحكومة العالمية تحت رعاية الصهيونية - وطبقاً لوصايا «يهوه»، بحيث تبدأ مسيرة المسيح الدجال من موسكو (روسيا)، مما جعلهم يسارعون إلى بناء هيكل المسيح المخلص بدلاً من ذاك الذي كان قد دمره لازاغانوفيتش في زمن سابق، ويقال أنهم وضعوا تحت الهيكل المشيد آليات تفجير تساوي في قوتها قوة انفجار قنبلة نووية، بحيث تكفي لتحريض اهتزاز أرضي ضخم يؤدي إلى تأثير صدمي على قاعدة موسكو الأرضية القائمة على تجاويف وكهوف أرضية كبيرة تمتد لعدة كيلومترات (لقد أثبت العلماء أن موسكو واقعة فوق تجويف مائي كبير، سيتحول مع الزمن إلى فراغ بعد نضح المياه منه) مما سيؤدي إلى اختفاء موسكو عن وجه الأرض كلياً.

أبرز القضايا والمحاكمات
في الاتحاد السوفياتي حتى الحرب العالمية الثانية[1]

١- إن اهم الحوادث والقضايا المذكورة لاحقاً مأخوذة عن كتاب ارخبيل الغولاغ لمؤلفه الكسندر سولجنستين (احد ابرز الشخصيات الأدبية المنشقة) بعد ان زوقها بلبوس سردي مشوق يبعث على الإثارة والتعاطف مع مجمل تلك الشخصيات المعرضة للمحاكمة، معتمداً في مراجع على مؤلفات (قصص كاليم لكاتبها فارلام شالموف، ومذكرات فيكتوفسكي، وغينزبورغ واداموف سليبزبيرغ إضافة إلى مؤلفات أخرى بلغ عددها ستةً وثلاثين مرجعاً لمؤلفين سوفييت بما فيهم مكسيم غوركي - «من الواضح إن المؤلفين كانوا في غالبيتهم من اليهود) محاولاً خلق المسوغات والمبررات لتلك الأفعال التي قام بها المتهمون، وإلقاء تبعية تأمرها على عاتق الأجهزة الأمنية والقضائية المؤتمرة حسب قوله من لينين وستالين بشكل مباشر، مع إغفال واضح لذلك الدور المنوط بتلك الأجهزة، من حيث تصرفاتها القانونية، وصوابية سلوكها الذي لا يعدمها الحق في الدفاع عن مصلحة النظام، على العكس مما أراد إظهاره بصورة استشرانية لتلك الوقائع وكأنها ضرب من التسلط الفاضح ليس إلا، دون النظر إلى جسامة تلك الأخطار التي كانت تشكلها تلك التنظيمات المعادية للثورة، بما فيها تلك المشاركة الفعلية مع قوات التدخل الأبيض، وتحركاتها المتزامنة مع عملية الاستنهاض الداخلي ضد النظام وتخريبه من الداخل.

لقد حاز الكاتب على جائزة نوبل تقديراً لجهوده من قبل الدول الغربية في نشر الدعاية المضادة للاتحاد السوفياتي، ونشر الكتب والمؤلفات عن انعدام الحقوق وغياب الديمقراطية في ذلك المجتمع الذي حاول أن يجرده من هدفية سعيه وسمو محاولته في بناء النظام الاشتراكي، دون التعرض إلى أهداف وأغراض تلك المنظمات والشخصيات المناهضة له، دون أن يذكر هوية وانتماء تلك الشخصيات المؤثرة سواء في موقع السلطة أو في موقع المعارضة، لما يشوب هذا الانتماء من إشارات استفهام عدة، لا سيما إذا علمنا أن أبرز القيمين على إرادة الأجهزة الأمنية كانوا من عداد اليهود المؤثرين والضالعين في إثارة البلبلة والتخريب الداخلي والخارجي في قوام النظام السوفياتي أمثال: بيريا، ولازار غاغانوفيتش، ومخايلس وفيشينسكي وآخرين، إضافة إلى أولئك العاملين في مجال مناهضة النظام الذين كانوا في غالبيتهم من الشخصيات اليهودية الماسونية وخاصة في السنوات الأولى لقيام ثورة أكتوبر، والذي حاول أن يحيطهم بهالة من المواطنة الصادقة والانتماء الحر للطبقات السياسية والعسكرية والمثقفة، بينما كانوا في حقيقة الأمر من بقايا تلك التنظيمات السياسية التي حاولت الوقوف في وجه قيام النظام الاشتراكي بعيد ثورة شباط عام ١٩١٧.

بلغ عدد التنظيمات المعادية لثورة أكتوبر خلال عامي (١٩١٨-١٩١٩)، ٤١٢ تنظيماً، وبلغ عدد المعتقلين من أعضائها قرابة ٨٧ ألف إنسان، وتوالت عمليات الاعتقال بدءاً من عام ١٩١٨، إذ تم إلقاء القبض على جماعة من مهربي السبائك الذهبية إلى الخارج، وعرفت هذه القضية «بقضية بيرديز»، وطالت العديد من المشتركين، ومن المحققين الذين تم إغراؤهم بالرشوة (بادكانييسكي، وكوكل، وليست) - تمت في نيسان عام ١٩١٨ - وسنعمد إلى ذكر القضايا حسب تسلسلها الزمني وتسميتها دون الخوض في تفاصيلها:

- قضية كوسيروف (١٥ شباط ١٩١٨) ومجموعة ليبرت، وروتنبورغ، وسلافيوف - بتهمة السرقة، وممارسة الدعارة أثناء خدمتهم في وكالة إمداد القوات السوفياتية العاملة على الحدود الشرقية للاتحاد، وقد ملكوا آلاف الروبلات، وفتحوا أرصدة لهم في البنوك.

- قضية ب. أ. ميشرسكي: رفضه الاشتراك في المباحثات الاقتصادية الحكومية مع (يوري لارين) - كان مصنعياً كبيراً - أطلق سراحه وهرب مع زوجته إلى فنلندا.

- قضية الكنسيين (١١-١٦ كانون الثاني) المتهمون: أ. دسمارين، والبروفيسور كوزنيتسوف، واسبينكي، وتسفيتكوف - معاداة الثورة ومحاولة توحيد الأبرشيات الكنسية، وتطويع الشبان للدفاع عنها.

- محاكمة العميل رومان مالينوفسكي: التعامل مع الخارج.

- محاكمة كابلان: محاولة اغتيال لينين.

- قضية المركز التكتيكي (٦ آب عام ١٩٢٠): بلغ عدد المتهمين ثمانية أشخاص، وجميعهم من المثقفين. أطلقوا على أنفسهم اتحاد الشخصيات الاجتماعية. سعوا لمواصلة الحرب حتى النصر النهائي، وعدم الاعتراف بصلح بريست مع ألمانيا، وضرورة تقديم المساعدة للحلفاء في الحرب، ودعوا إلى الوقوف في وجه التيارات الاشتراكية.

- انشق في صيف عام ١٩١٨ عن اتحاد الشخصيات الاجتماعية عدد من الأعضاء، وأطلقوا على أنفسهم، المركز القومي، وتعود في تكوينها إلى الكاديت.

- ظهر إلى جانب المركز القومي تنظيم أكثر يسارية، هو اتحاد البعث (تكون بالأساس من الآيسيرين). استمروا في تحريض الصراع ضد الألمان، وضد البلاشفة، وتعانوا مع جيش الجنوب من المتطوعة ضد النظام السوفييتي.

- التأمت التنظيمات الثلاثة الآنفة الذكر عام ١٩١٩ بغية المحافظة على التنسيق المنظم بينها، وشكلوا مجلساً قيادياً (عضوين من كل اتحاد)، وتم اعتقالهم عام ١٩٢٠ (عرف هذا الائتلاف بالمركز التكتيكي)، كان من عداد المتهمين: المؤرخ الروسي س. ب. ميلكوف (واحد من الستة).

- قضية الآيسيرين: الاتهامات: المبادرة إلى الحرب الأهلية، والضلوع فيها بعد ما قاموا بالتظاهر في كانون الأول عام ١٩١٩، وأعلنوا التمرد ضد سلطة العمال والفلاحين وتعاونوا مع سافينكوف، ومع غيلينكو والكاديت، ومع اتحاد البعث منهم: المتهم ديلمان عضو اللجنة المركزية، وزعيمهم إبرام غوتس، وعضو اللجنة المركزية دونسكي[1]، وبلغ عدد المتهمين سبعةً وأربعين أيسيرياً (بينهم المتهم غيندلمان).

- قضية سافينكوف آب عام ١٩٢٤: عبر الحدود وتمَّ اعتقاله، ووجهت إليه تهمة تلقي المال من الدول الأجنبية، والاتصال مع بولونيا، ومحاولته نشر الصهيونية في صفوف الجيش الأحمر.

- إبعاد المثقفين خارج الحدود وهم: ن. و. لوسكي، وس. ب. بولاكوف، ون. أ. بيردياييف، وف. أ. ستبنون، وب. ب. فينشيلاف، وأ. ب. كارسافين، و.، أ. إيلين، وبعدهم: المؤرخ س. ب. ميلكونوف، وف. أ. مياكوتين، وأ. أ. كيريفييتر، وي. ي. لابشين، ومن الكتاب والأدباء الاجتماعيين: إيخن فيلد، وإيزكوييف، وم. أ. أسوركين، وأ. ن. بتشيخونوف، وكان منهم: ليون تولستوي، وف. ف. يوغاكوف، والرياضي د. ب. سيلسيفانوف.

١- كان من جملة الأعمال التي قاموا بها الأيسيرين محاولة تفجير القطارات المتوجهة إلى المانيا بعد «اتفاق بريست»، وقيام كابلان الأيسيرية باغتيال لينين.

- قضية المنجميين (٨ أيار - ١٥ حزيران عام ١٩٢٨) بلغ عدد المتهمين مئة وخمسين متهماً على رأسهم كيموأكيموفيتش بالتشينسكي (صار بعد شباط وزيراً للتجارة والصناعة، وكان قبلها رئيساً للجنة الصناعات العسكرية قبل أكتوبر)، ون. فون ميك، وأ. ب. ميليتشكو، وخرنيكوف، وفيدتوف، ورامزين، الذين اتهموا فيما بعد عام ١٩٢٩-١٩٣٠ بقيادة عملية الحزب الصناعي، التهمة: التخطيط لتخفيض معدلات الإنتاج، وكان منهم أيضاً: أوتشكين، والبرفيسور تشانوفسكي، والبروفيسور كالينكوف، ولارتشيف، كوزما أنطونوفيتش.

- قضية المكتب السياسي المنشفي (١-٩ آذار عام ١٩٣١): المتهمون ميخائيل بيتروفيتش باكوبوفيتش، إبرام عينزيورع، كوزما أنطونوفيتش غفورديف، وفلاديمير كوشافوفيتش، ورامزين، وبيوتين وموسى عيسوفيتش تتلباوم، وروبين - التهمة الاتصال مع المبعوثية الخارجية للمناشفة، وتلقي الأموال منها.

- قضية زينافييف وكامنيف[1]، وبوخارين، ريكوف، ي. ن. سميرنوف، ريدك، وشليابنكوف، ورود زوتك، وباستيشيف، واينو كيدزه، وتشويا، وكوسيو، وكريلنكو (تمت محاكمة هؤلاء ضمن قضيتين عرفتا بمحاكمات عامي ١٩٣٦-١٩٣٨)، وطالت أيضاً بياتكوف وتومسكي.

- قضية ستافروف ١٩٣٧: اتهم بالتروتسكية، وبأنه تحالف معهم. طالت هذه القضية فاسيلي غريغورفيتش فلاسوف، وسميرنوف، واونيفر - واتهموا بتشكيل مجموعة بوخارنية - يمينية سرية.

- الحكم على آكرون بيزا بالإعدام - بسبب خطأ في تحليل الحبوب.

- الحكم على ميلنيكوف وفلدمان بتهمة التلاعب والاختلاس.

- الحكم على التاجرة اليهودية بسبب الغش.

- سجن المارشال روكافسكي عام ١٩٣٩.

١- كان بوخارين يكره زينافييف وكافييف لدورهما في تدبير اغتيال كيروف، او لأنهما يهوديان. وقد ثبت أن جماعة زينافييف هي التي نفذت هذا الاغتيال.

- الحكم على مجموعة إغناتوفسكي (مهندس من لينغراد) أثناء حصار لينغراد في الحرب العالمية الثانية مع أربعين آخرين بتهمة التعامل مع الألمان.
- اتهام البروفيسور قسطنطين إيفانوفيتش ستراخوفيتش - بقيادة تنظيم.
- سجن مجموعة سافايفسكي (ويوري باوبيليسكي الذي حاول جمع الوثائق الطبية عن مقتل مجموعة من السجناء في سجن شبه جزيرة أوجينسكي) تعاونت هذه المجموعة مع مجموعة تروتسكي وموكسافسكي (من المجموعات الاشتراكية) المنتشرة في الجزر المختلفة (المنافي).

- حوادث متفرقة:

أ- اعتقال أعضاء الحركة الصهيونية التابعين لجمعية (كيخالوتس).

ب- اعتقال أنصار تروتسكي عام ١٩٢٤.

ج- اعتقال رئيس قسم الصليب الأحمر في مدينة بيتروغراد، شيفتسوف (من أنصار النارودنايا)[1] مع الأعرج كارتمان، وكانشيروفسكي الذين ساندوا البرجوازيين القدماء أمثال ألكسندر أوليانوف من مدينة نوفاروسكي، وقدموا المساعدة للاشتراكيين ولأعضاء حزب الكابير.

د- اعتقال جماعة عملاء باغودا عام ١٩٣٧.

هـ- اعتقال جماعة الكومونة في سوتشي - حوستى بسبب تطبيقهم المبدأ الشيوعي على طريقة الأتباع المتعلمين على القيم الباتيزمية (المسيحية التصوفية المكثلكة) واليوغا، والتولستية عام ١٩٢٩.

و- محاكمة أعضاء حركة إنقاذ أوكرانيا (البروفيسور يفريموف، تشيخوفسكي، ونيكوفسكي) عام ١٩٣٠.

١- النارودنايا فوليا (إرادة الشعب): منظمة سرية للمثقفين الروس تأسست عام ١٨٧٩، قامت باغتيال بعض رجالات القيصر، واغتالوا عام ١٨٨١ القيصر ألكسندر الثاني من أعضائها اليهود لاندميزين غيكيلمان، وس. م وايزمان، وس. ل شيندلمان، وأ. ن جاديفيتش، وأ. م نوسباوم، ول أ. غولدنبيرغ - وقد كان يتجسس على تحركات لينين - ل. م فبشكوف «البوليس والثورة» الجزء الثالث - موسكو ١٩٢٣ ص ٥٨-٥٩.

ز- تصفية التروتسكية عام ١٩٢٧-١٩٢٩ (المعارضة اليمينية والمعارضة العمالية الذين عرفوا بأعضاء الحزب اليميني).

ح- اعتقال ملك البطاطا بلوراخ مع جماعة من المهندسين (الكولاك).

ط- اعتقال مجموعة الاسبرانتين - من اليهود.

- جماعة الفلاسفة السرية.
- أعضاء الصليب الأحمر الطبي (المعروف بالسياسي).
- أُعيد سجن أتباع تروتسكي، وكامندراسكي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث كان قد اعتقل البعض منهم عام ١٩٣٧.

ي- بداية اعتقال الكوزموبولتيين عام ١٩٥٠ وحتى وفاة ستالين[1].

١- يقول سولجنيتسين (الكسندر - ارخبيل غولاغ): بدات في السنوات الأخيرة من حياة ستالين ترتسم بعض الملامح لسيل اعتقالي يهودي (إذ إنه اعتباراً من عام ١٩٥٠ بدات عملية اعتقال الكوزموبولتيين من الأطباء العاملين على طبابة اعضاء اللجنة المركزية، الأمر الذي يؤكد انه كان يحمل في داخله النية لتنفيذ مجزرة يهودية كبيرة، إلا أن هذه النية كانت أول نية في حياته لم تتحقق - وهداه الرب - وكأن يداً إنسانية ما منعته عن التنفيذ في آخر لحظة (أو قد تكون يد إنسانية اخرجته من شفير الهاوية).

موجز عن
بروتوكولات حكماء صهيون

وردت هذه البرتوكولات على شكل محاضر جلسات متتابعة بدءاً من عام ١٨٧٨ وحتى عام ١٨٩٧ ، وسنعمد إلى اختصارها بشكل موجز لكل جلسة على حدة.

الجلسة الأولى: «يجب علينا نحن اليهود أن نعرف أن ذوي المطامع والطباع الفاسدة أكثر عدداً من ذوي الطبائع النبيلة... يتنازل الأفراد عن حريتهم الشخصية لسادتهم الذين نستعبدهم بالذهب والجاه المزيف الذي نضفيه عليهم في الوقت الذي ندفع فيه الطبقات المحكومة إلى الثورات الداخلية، لنمسك بطرف الأمة حكومة وشعباً... كما فعلنا في الثورة الفرنسية».

ج٢- «يجب علينا نحن اليهود أن نوجه ضرباتنا لكل أُمة حسب مزاجها ولونها، ولا ننسى أن جميع الأمم تغتر بالذهب ورغد العيش، وبالتالي سيكون مرابونا على استعداد دائم لغزو القصور والبورصات، وانتشال التجارة من أيدي غير اليهود...».

ج٣- «..... رمزنا «الأفعى» كادت تصل إلى جحرها بعد أن نفثت سمومها في أكثر الأمم المتمدنة، ولم تتخلف عن هذه السموم ما يسمونه أحزاباً كل منها يهدم الآخر، ولن يعودوا أقوياء لمقاومتنا، ولن يُرد لهم بصرهم لأنهم قد فقدوا بصيرتهم وأصبحوا كالأعمى الذي فقد عكازه».

ج٤- «كل تبديل في الحكم سيصحبه تخريب... ولا ينزل الملوك عن عروشهم إلا بضربات الشعوب القاصمة، وسيكون وكلاؤنا دائماً مستترين وراء الجمعيات الماسونية المنتشرة في العالم»...

ج٥- «ما هو نظام الحكم الذي نريده في هذا العالم: نريد حكومة مركزية قوية تستطيع تقييد الوطنيين من أي نوع، واضطهاد المتمسكين بعقائدهم الدينية والمتعلقين بزعمائهم... أما نحن فسنظل في صمتنا وسريتنا، ولن تعقد أيّ أمة مع الأخرى اتفاقية، إلا إذا أسدينا النصح لكلتيهما سراً لأننا شعب الله المختار... فطالما كان رأس المال بأيدينا، حكمنا القوة الإنتاجية في العالم وسخرنا جميع القوى الصناعية لتحقيق أرباحنا التجارية».

ج٦- «لقد تخلصنا من أرستقراطية الشعوب... ولكننا لم نتخلص من الملكيات الكبيرة، والإقطاعيات... ولا زالوا يقاسموننا الثراء».

ج٧- «إلى جانب خططنا السابقة سنحتاج إلى جيوش جرارة... فبعد أن أصبح لنا في حكومات العالم ديون ومصالح وأصدقاء وعملاء... فإذا ما تجرأت أمة على الإساءة إلينا استعنا بالأمم الأخرى.. وإذا انضم إليها حليف لها أعلنا حرباً عالمية... ولسوف نقود الأجناس بعضها ضد بعض، وإذا ما لزم الأمر سنستعين بأمريكا ضد أوروبا، واليابان ضد أمريكا، والجنس الأصفر ضد الجنس الأبيض».

ج٨- «يجب أن نكون على استعداد دائم لمواجهة أعدائنا في كل الميادين، وليكن تعاوننا مع أهل السوء وأصحاب السوابق والماضي البغيض... أو نقوم بشراء دم الأحرار والكتّاب والشعراء...».

ج٩- «... لمعرفة جميع الوسائل الهدامة، وتحطيم أخلاق الشعوب غير اليهودية بجميع الوسائل والمغريات...».

ج١٠- «ذكرت في هذه الجلسة مهارة الساسة والحكام في الكذب والنفاق والكلام المعسول، وقلب الحقائق ودراسة الوسائل المؤدية إلى تنفيذها».

ج١١- «يجب أن نخضع لسلطاتنا كل أداة حكومية في مجالس النواب والمجالس التشريعية والشورى فسياستنا ستكون نحوهم كسياسة الذئب مع الحمل، والراعي مع الغنم يقودها إلى ذبحها وهو يلوح لها من بعيد بأعواد البرسيم».

ج١٢- «... كما إننا نحن اليهود سنعزز خيوط المراقبة على الصحافة، وتوجيهها، واحتكار دور النشر والتوزيع...».

ج١٣- «تحدث اليهود في هذه الجلسة عن كيفية الاستعانة بمأجوريهم من الصحفيين والكتاب، والمواضيع التي يخوضون فيها وإلهاء الشعب بمواضيع غير مجدية وغير حقيقية... شرط ألا تتعرض الصحف اليهودية نفسها إلى لب الموضوع...».

ج١٤- «عندما نصبح سادة العالم وساسته لن نسمح لدين من الأديان بالظهور...».

ج١٥- «سنطبق بيد من حديد على من تحدثه نفسه بالمؤامرات ضدنا قبل أن نصل إلى هدفنا الذي سنعد له العدة بالانقلابات السياسية في أنحاء المعمورة وفي زمن واحد».

ج١٦- «سنحدد البرامج الدراسية في الجامعات، ونعين لها أساتذتنا (أي أساتذة منا) لنخرّج منها هدّامين للمجتمع الغير يهودي، وبذلك نستطيع السيطرة على أطفال الشعب، ونجعل منهم آلات تحركها أصابعنا، ويكونون طوعاً لنا ويرهبون حاكمهم ويحبونه، ويكون ذلك بتعليمهم العلوم النظرية لا العملية أو الفكرية حتى يكونوا دائماً كالبهائم».

ج١٧- «يجب أن نعوّد الشعوب على احترام كلمة قانون، فبهذا ينقادون بالطاعة العمياء، بدون تفكير... ولا ننسى أنه لا يمكننا تحقيق أغراضنا إلا بواسطة البوليس السري المنتشر في جميع الطبقات والأوساط والمهن والحرف».

ج١٨- «ستكون الاغتيالات السياسية من وسائلنا، وفي استطاعتنا أن نحرض عليها خطباءنا...». أما ملكنا «المسيح المخلص» الذي سنرفعه على عرش إسرائيل لا يخاف من رعيته... ولذلك فهو يخرج بدون حراسة، وهذا ما يزيد في محبته بالطبع...».

ج١٩- «سنحرم الاشتغال بالسياسية على غير اليهود، ولكن سيسمح لهم بالكلام عن المسائل الاجتماعية والاقتصادية. وإذا ما رغبنا في تحقيق شيء، فسنصيّر صيامهم نباحاً مكشرين عن أنيابنا، ولن يكون للسياسي من غير اليهود أي فارق عن المجرمين العاديين، وسيحكم عليهم بالسجن دون أي امتياز».

ج٢٠- «سنضع ثروة جميع الأفراد تحت تصرف وأمر الدولة...أما عند اليهود فسيكون نقدنا من الورق، وسنعمل على إفلاس الأمم غير اليهودية بالقروض الخارجية، لأننا نستنزف ميزانيات الحكومات بدون أن تشعر بما يحتسب

عليها من فائدة (٥٪)، وهكذا ستظل بنوكنا دائنة للحكومات حتى نمتص دماء الشعوب، ونتحكم في سياساتها الاقتصادية والاجتماعية...».

ج٢١- «ستكون نتيجة ديون الحكومات، إرباكها في سداد هذه الديون وزيادة الضرائب التي يئن الشعب منها. كما ستصبح مهمتنا التلاعب بأسعار الأسهم والسندات في البورصة، وهكذا ستضطر الحكومات إلى القروض من جديد حتى تشعر بعجزها المالي والاقتصادي وتقع في الاضطرابات السياسية داخلياً وخارجياً».

ج٢٢- «طالما أننا نملك الذهب، فإننا نستطيع توجيه السياسة الدولية حسب رغباتنا وقوانيننا وخططنا كي يعترف العالم بأننا شعب الله المختار...».

ج٢٣- «سنترك للجمعيات السرية والهيئات المختلفة الحزبية نشاطها لهدم الحكومات القائمة حالياً... حتى يحين وقت اعتلاء ملك اليهود عرش العالم، حيث يمكن عندها القضاء على هذه الفوضى... ويغدو لليهود الحق في حكمهم العالم واستغلاله وتوجيهه باسم شعب الله المختار...».

ج٢٤- «سيكون ملك العالم من نسل «داود»، وسيقوم بتربية أحبار اليهود الذين قادوا العالم إلى هذه النهاية...».

داء الصهيونية المقيت

بعد استعراضنا لتلك البروتوكولات نجد أن الصهيونية تعتمد في لغتها منطق التهويش والاستعداء ضد الإنسانية، بغض النظر عن السبل اللا أخلاقية المحكمة للوصول إلى الهدف المجسم حسب منطقيتها التحريفية المتسمة بالوضوحية القاسية البذيئة المتلازمة مع تلك الفكرة المعقدة لتحقيق الأمر المنشود عبر اختيار الطرق العملية للبيئة السياسية أو الحلفية لمجمل التحركات الفاعلة التي تصب في حيثية الهدف، مع عدم تقديم الحجج والبراهين والإثباتات لكل متسائل عن منطقية هذا السعي التخريبي، وبيان حقائقه المتمثلة في تزوير التاريخ كواقعة مؤدلجة لصالح الأنانية المفرطة المكونة لهاجس أولئك القلائل المكونين لعنصرها الأساسي، والمحركين للفعل السياسي المطبق والمشوب بكثير من الغدر والخيانة لكافة المشاعر الإنسانية ووجودها الحيوي، مع الاستهتار بمفاهيم الطموح الإنساني ونزوعه الأخلاقي الديني وتجريده من مفاهيمه السامية التي حاول فيها الإنسان تبرير وجوده الخلقي على أساس سمو فكرة الخلق الآدمي ورفعة سعيه لتقديس كل ما من شأنه أن يتلازم مع عقله ومداركه ومنطقه.

إن فكرة الصهيونية في فرض الضريبة على البشرية بمتّقيها وملحديها، لهي افتراض تغليبي يقارب الفكرة السخيفة المتخفية تحت أطر متعددة من الاعتبارات الظاهرية لنزعة تخطي التطورات والمتغيرات، وجعلها تتسكب في إناء الامتزاج التاريخي، وتصييرها حالة نظرية تؤدي عند تطبيقها إلى الوصول إلى الاحتباس المشوب بالعظمة والقوة لتلك الجماعة النخبة التي اصطفاها البار العلي، والمخولة لفعل وارتكاب كل المخالفات الأخلاقية والقيمية التي أراد لها الخالق نفسه أن تكون متغلبة في فحواها على كل ما هو شر كامن في النفس البشرية التي يجب كما أرادوا لها، أن تبقى حيادية، أو منفعلة بما يطمحون إليه من سيادة على البشر

كافة، وضرورة امتثالهم لما جاء في أقانيمهم التحريفية المؤسطرة، والتسليم بها كحالة مقبولة دون الإتيان بأي فعل قد يسمى إما إلحادياً بتعاليم الرب (ربهم)، أو رفضاً لقوليه العهد القديم المعتبر الأس الديني للأديان كافة. وبالتالي تغدو عمليتا التقوى والإلحاد حالتين تستحقان منهم المنازلة والمقارعة بشتى السبل، وإثارة الاستعداء ضدهما حتى يميلا إلى القبول بصفوية الأقلية النخبوية المروجة لوجودها الحيوي في كل المجتمعات البشرية ولامتلاكها عناصر متفوقة في تراتبية الخلق الإنساني، وفي قدرتها وعبقريتها وتميزها بمفاعيل قلما امتلكها أبناء البشر الآخرون السوئم حسبما يعتقدون.

لعله من المفيد أن نذكر أن الصهاينة كانوا دائماً بحاجة إلى نظريات متجددة سواءً أكانت متأتية من فعل التطور التاريخي، أو ناتجة عن نزوع إنساني لخلق أسسيّة فكرية تؤدي إلى تحسين الشرط الحيوي الإنساني، وتطويره إلى ما هو أبعد وأكثر خيراً للإنسانية وللطبيعة، دون أن تمنع الأجناس البشرية من الاستفادة من نتاج هذا التطور كل حسب قدرته الاستيعابية وإمكانيته لهضم هذا الفكر المسوغ بخيره أو شره، إذ تغدو عملية الملاءمة مع واقعها مقياساً تحتذيه المجتمعات البشرية حسب رغباتها ومتطلباتها، لكن متلازمة القبول والرفض تلك غير مقبولة من الصهاينة ولا هي مستساغة لهم بسبب نزوعهم الدائم إلى منطق التحريفية في طبيعة النظرية نفسها والدخول فيها والخروج منها حسبما تمليه مصلحتهم الذاتية ورغبتهم في تحقيق عسكرة كل فكرة وتجييشها وإخضاعها، مع إتباعها لمنطق التضاد والصدامية تحت رغبة حصد النتائج الإيجابية والخيرة، والاستحواذ على كل ما هو نافع لهم بغض النظر عما يلحقون من الشر والخسارة بالآخرين، إذ إن معيار انفعالهم في كل حركة نابع من مقاييس النفع والمصلحة لهم دون النظر عما يحمل للإنسانية من مآسٍ وآلام وشرور. لذا نراهم منفعلين بشكل دائم بإشعال نار الحروب والصراعات المحلية أو القارية، ريثما يتمكنون من إنهائها سياسياً بشكل يتوافق مع مبدأ سياساتهم العامة والخاصة، على أن يكون هذا المنقلب السياسي متغيراً ومتحولاً وقابلاً بغموضه لأن يبقى بذرة لتأجيج الصراع من جديد، ولا فرق عندها من أن يدفع الأبرياء ضحية الحروب ومجازرها وعنفها، إذ

يعتبرون هذه الضحايا نتيجة لعبة سياسية يجهلون مراميها وأهدافها، حتى ولو كانت بعض هذه الحروب مكتسبة وجه الحقوقية لأحد الجانبين القائمين بها، ولهذا نرى أنهم كانوا المستفيدين الأوائل من الحروب الاستعمارية وخاصة منها البريطانية والفرنسية، إذ كان أتباعهم يستثمرون تداول الغنائم والاتجار بها واحتكارها ونقلها إلى الأماكن التي توفر لهم الربح منها بشكل أمثل، ومن المفارقة المستغربة، إن قوافلهم التي كانت تجوب أنحاء أوروبا كانت أكثر أماناً من بقية القوافل التجارية، حيث كانوا يعمدون إلى الحصول على الأمان لهذه القوافل من قبل الحكام الواقعين على طريق الصراع مع تأمين الحراسة القوية لها، وكثيراً ما كانت هذه الحراسات تقوم بالهجوم على شراذم قوات أحد الطرفين بتكليف من قبل أحد الطرفين المتنازعين، متخفية تحت عدة ادعاءات وذرائع، بحيث تحقق الحظوة لدى الأطراف المتنازعة وتمسك بمصالحها المالية والمادية التمويلية. لتصبح قوة المال لديهم كافية لأن يتقرّب إليهم أي ملك أو أمير طامح يريد الوصول إلى سدة الحكم وتحقيق الثراء.

إلا أنه من الملفت للنظر اقترابهم الحاد من المملكة البريطانية المتحدة من القرن السادس عشر، ومشاركتهم الفعلية في استنزاف المستعمرات الملحقة، وإثارة النزاعات القاريّة المسلحة داخل البر الأوروبي، التي كانت تصب دائماً في مصلحة بريطانيا، على الرغم من عدم انفصالهم عن التأثير داخل الأوساط الملكيّة في باقي الدول الأوروبية (الفرنسية - السويدية - البروسية - البولونية - الروسية)، حيث كانوا يشاركون في نشاطاتهم التجارية الممتدة حتى جنوب الإمبراطورية الروسية وحتى غرب شمال أوروبا، وممارسة التجارة الاحتكارية، والإشراف على الإقطاعيات الزراعية الكبرى والأعمال الربوية الصيرفية، الأمر الذي مكنهم من جمع الثروات الطائلة، وبروز العائلات اليهودية الثرية المؤثرة في الأوساط الاجتماعية السياسية وخاصة في حمأة الحروب الأوروبية بين الملوك والأباطرة إبان الحروب النابليونية وما أعقبها من حروب تنازع على الأرض والحدود والمجالات الحيوية للبعض منها، وطموحها في التوسع الجغرافي على حساب الدول المجاورة.

تجلت نزعة المواءمة الاستعمارية الصهيونية كدور أساسي في وقوفها مع المملكة المتحدة البريطانية وخاصة إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، وربطت مصالحها مع مصلحة هذا المستعمر الذي حقق لها بعض الأهداف السياسية في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، عدا عن كسر شوكة تلك الدول والممالك والإمبراطوريات التي لاقت فيها المقاومة وعدم الانفعال في مشاريعها الطموحة للسيطرة على المقدرات الاقتصادية - المالية، وخاصة منها الإمبراطورية الروسية المبادرة إلى ممانعة التصرف اليهودي الحر في قوت المجتمع الروسي، وممارسة الاحتكار الغذائي الخطير، الذي سبب المجاعات المتكررة داخل الوسط الريفي تحديداً، مما حدا بالصهاينة إلى زيادة فعالية تحركهم المشبوه داخل تلك الإمبراطورية، سواء في قوام مركزية الحاكم والنظام، أو في الأوساط الدينية الأرثوذكسية المتمسكة بالأصولية الروحية الشرقية المبتعدة عن الانخراط في قوام المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي اللذين انتشرا في غرب أوروبا بشكل مثير، وباتا عاملين أساسيين في إثارة الحروب الدينية في أوروبا وفي الصراع على السدة البابوية الموجهة، والقيمة على أمور المسيحيين، لا سيما عند محاولة بعض الملوك للخروج من تحت هذه السيطرة الروحانية المحركة لمشاعر مواطني بعض الدول الأوروبية. بيد أن عملية التغلغل اليهودي الديني أخذت تمسك بتلابيب الأديان والمذاهب المقرة بطبيعة العهد القديم، وتعتبرها الجانب الأصولي في المسيحية دون الالتفات أو الاهتمام لما مارسه اليهود الأوائل من اضطهاد ضد المسيح ذاته، حتى وصل الأمر لدرجة تبرُّئهم من دمه. على العكس من الأرثوذكسية - السلافية الشرقية المتميزة بتماسكية مزدوجة (دينية - عرقية)، والتي قاومت الانخراط في التشرذم المذهبي، وحاولت التمسك بالمبادئ المسيحية المعترفة بأقانيم المسيحية الثلاثة المعتمدة على كتاب العهد الجديد بصورة مطلقة، عدا عن تمسكها بنزعتها السلافية الممتدة إلى أوساط أوروبا ودول البلقان، الأمر الذي وضعها في موقع مستهدف من قبل الممالك والإمبراطوريات في أوروبا الشمالية والغربية ومن قبل الإمبراطورية العثمانية، وجعلها في قوام أغلب الحروب القائمة في دول أوروبا إما على شكل عدو مباشر، أو غير مباشر عند عقد التحالفات السياسية بين أنظمة

الحكم المختلفة، مما عزز وحدتها القومية العرقية وغدت في مصاف تلك الدول المقومنة في القرن التاسع عشر، ومزاحم وشريك في عملية الحفاظ على ذاتها عبر سلسلة طويلة من الحروب مع الجيران من الغرب والجنوب مكنتها من الصمود والاحتفاظ بمستعمراتها المنتشرة في ما وراء القوقاز وشرق بحر قزوين مع بعض التخلل الحدودي الجغرافي في المناطق المتاخمة للإمبراطوريات والممالك الغربية.

يجدر التنويه إلى كثافة الاختلاط التنوعي في قوام هذه القيصرية من حيث تعدد الأعراق والديانات والإثنيات، الذي فرض عليها واقعاً مجتمعياً غير متماسك ومتفاوتاً في ترابطه حسب درجة الضعف والقوة اللتين عاشتهما هذه القيصرية مما أدى إلى تساهل تلقائي في قبول الآخر والتآلف مع متطلباتها العرقية والقومية والقبول في وجوده والاعتراف فيه كحالة قائمة، الأمر الذي أكسب اليهود موقعاً خاصاً في قوام القيصرية، وسمح لهم بالتحرك في كل المناحي وبالتأثير والتأثر بالواقع الاجتماعي السياسي وزاد من عددهم في المجتمع وانخرطوا في عضويته وباتوا من مدبري أحواله ومتدبري سبلهم الخاصة في العيش المنفرد والتماس القدرات الاقتصادية المؤثرة والفاعلة في حياة المجتمع، لا سيما بعد أن تجمعوا على التخوم الغربية للقيصرية، وتجانسوا مع ساكني كلتا الدولتين الروسية والبولونية - والنمساوية - المجرية، وأبدوا الكثير من التأثير التآمري في تحالفهم السياسي مع هذه أو تلك من الدول المتاخمة، مما أكسبهم حضوراً سياسياً اجتماعياً اقتصادياً لافتاً مكنهم من التكون الذاتي المتماسك في وحدة عضوية (لا هي بالقومية ولا بالعرقية بقدر ما هي يهودية دينية متطرفة، أخذت في منتصف القرن التاسع عشر تتطبع بلبوس الفردانية النخبوية المتميزة)، مما حدا بالقيصرية إلى اتخاذ عدة قرارات قمعية ضدهم لم تدخل مرحلة التنفيذ الإجرائي الحاد إلا بشكل محدود، لم يكف للحد من وجودهم ونشاطهم الفاعل في قوام المجتمع الروسي، لا سيما بعد ما تبدى هذا النشاط في الانخراط في تكوين الحركات السياسية التنظيمية المتعددة في روسيا، حتى إذا ما جاء القرن العشرون، باتت تلك التنظيمات المحرك

السياسي والأساسي للدخول في قوام النظام القيصري والتأثير على بعض شخصياتها الرفيعة، وللإثارة الشعبية المتنامية ضد القيصرية والمتسقة مع الإحساس والشعور العارم للشعب الروسي للخلاص من الاضطهاد والاستبداد عبر تحركات سياسية عديدة، عرفت الانتفاضات والثورات والمظاهرات التي انضوت تحتها العديد من التكونات الاجتماعية المختلفة بدت فيها عملية التخفي الماسوني - الصهيوني ممكنة بقدر ما هي محكمة ومؤهلة لأن تتفنن في التلبس والتخفي تحت أقنعة مختلفة من المشارب السياسية الحزبية والاجتماعية، حتى إذا ما جاءت اللحظة المناسبة وفي خضم الحرب العالمية الأولى انقضت مع مجموع ما انقض من الأحزاب اليسارية العمالية على القيصرية، وشكلت حكومة مؤقتة (حكومة شباط) كانت في غالبيتها من قوام أولئك الأعضاء المتخفين تحت تكوناتها السياسية المتعددة، وبدأت تسحب البساط من تحت أقدام الوطنيين الحزبيين من الشعب الروسي برفع شعارات البناء الديمقراطي - الاشتراكي، وضرورة إعادة تأهيل المجتمع الروسي ريثما يستطيع تجاوز الصعوبات الآنية، وحدوث قاعدة متينة للانطلاق إلى البناء الشيوعي - المبني على دكتاتورية البروليتاريا، عدا عن أنها أخذت المبادرة في استمرار الحرب ضد ألمانيا، ودعم دول التحالف بريطانيا وفرنسا (رغم أن بريطانيا كانت حتى هذه الحرب ملتزمة الحياد لفترة امتدت ثلاثة قرون، إلا أنها دخلت الحرب مع فرنسا بعد احتياج الألمان لبلجيكا واللوكسمبورغ) رغم دعوة أعضاء الحزب العمالي الديمقراطي الاشتراكي الروسي إلى وقف هذه الحرب النازفة.

تجلت شراسة الصهاينة في روسيا بعد ثورة أكتوبر وسقوط الحكومة المؤقتة، وأثاروا سلسلة من الأعمال المضادة لوقف الحرب مع ألمانيا على أثر معاهدة الصلح (بريست) الموقعة معها، وطالبوا باستمرار الحرب بناءً على متطلبات المصلحة البريطانية في استمرارها، وبدؤوا بأعمال تخريبية دعائية في وسط الشعب الروسي، والهجوم على القوافل الغذائية وتفجير السكك الحديدية، مع الدعوة لقوى التدخل الغربي في الهجوم على الدولة السوفياتية

الحديثة، والمشاركة الفعلية مع تلك القوات في كل أصقاع وأقاليم الاتحاد بغرض إسقاط النظام السوفياتي والعودة إلى النظام الإقطاعي الاحتكاري. لكن فشل القوات الغربية في إسقاط النظام دفعهم ثانيةً للتعاون مع بولونيا لشن حرب جديدة ضد الاتحاد عام ١٩٢٠-١٩٢١ والمطالبة بانتزاع بعض المقاطعات الغربية في ليتوانيا، وتحريك المشاعر العرقية في مختلف الجمهوريات وتحريضها على الانفصال عن الاتحاد، والاستمرار في إثارة العدوان بين صفوف الطبقة العاملة على أساس الدعوة إلى فصل المصالح الذاتية لكل منها على أساس عرقي - قومي بما يتوافق مع نظرة الصهاينة إلى فكرة الصراع الطبقي.

لم يفلح الصهاينة في إيقاف حركة المد الثوري، وفشلت محاولاتهم كافة في إسقاط النظام السوفييتي، مما حدا بهم إلى تغيير طريقة تعاملهم مع النظام الاشتراكي؛ فمنهم من بقي على ولائه للدول الغربية ورحل إليها ليمارس عمله الدعائي المضاد، ومنهم استتبع طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية بناءً على توجيهات الحركة الصهيونية في عملية استقطاب يهودي - صهيوني في الولايات المتحدة بغية خلق القاعدة الاقتصادية - السياسية - الاجتماعية للتأثير على القرار الحكومي الأمريكي لا سيما بعد أن برزت قوتها في بداية القرن العشرين، مع الحفاظ على الوجود في الدول الغربية وتنسيق الجهود بين مختلف كل الفروع الصهيونية في العالم، لتحقيق السيطرة الكاملة على وسائط الإعلام والاقتصاد، وتوجيه الدعاية المضادة للاتحاد السوفياتي ودعم المنظمات الصهيونية فيه والتعاون معها لخلخلة النظام الاشتراكي وإيقاعه في المكائد السياسية، وتنشيط عمل الأعضاء الصهاينة الذين بقوا داخل الاتحاد السوفياتي، وتلبسوا مختلف الاتجاهات السياسية والدينية وبدلوا في طرق تحركهم، وتخفوا تحت عدة نشاطات وجمعيات سرية وأحزاب منحلة في تنظيمات سياسية استمرت تعمل في ظل النظام الجديد (التروتسكيين) بعد أن تماهت في أشكال متباينة من التغلغل داخل القطاعات الحكومية كافة، وخاصة منها الأمنية والأقسام اليهودية

الخاصة التي كانت تعمل تحت إشراف القوميسارية الوطنية لشؤون الداخلية - والإدارة الأمنية السياسية مما أدى إلى بروز دورهم المتعاظم في إثارة حالات متعددة من عدم الاستقرار وبروز الظواهر العميقة المتشددة ضد الفلاحين وضد الحركات الشعبية المطالبة ببعض الحقوق الجزئية التي كان يستجاب لها ويقبل بها في عهد لينين[1] القائل بوجهه نظر تؤيد حق كل شعوب جمهوريات الاتحاد السوفياتي بتقرير مصيرها واختيار إدارتها وضرورة التوحد معها على أساس مصالح الطبقة العاملة المتلاقية مع مصالح العمال كافة من مختلف مشاربهم، دون اللجوء إلى قوة المركز في فرض السيطرة على كل الولايات والأقاليم التي كانت خاضعة للقيصرية. لكن هذا التصور لحل مسالة الأقليات والشعوبية المتعددة في قوام الاتحاد، لم يكن يطابق ما تقول به دعاة الأممية الثانية الداعين إلى حل «المسألة القومية» بأطر الشعوب المتحضرة في أوروبا، وهذا يعني عدم الإدانة للاستعمار، بل الاكتفاء بإدانة تجاوزاته التي لا تعيق التمهيد لسير الشعوب على طريق التقدم والحضارة. ربما كان هذا السبب مضافاً إلى بعض الأسباب الأخرى، كانت هي المحرك الأساسي للقيام بمحاولات اغتيال لينين من قبل اليهود، إن لم يكن السبب كامناً في عملية كشف ألاعيب الصهاينة وادعاءاتهم حول إيمانهم

١- كتب لينين: «إن إعلان البوند حزباً سياسياً مستقلاً ليس سوى متابعة الخطأ الأساسي حول المسألة القومية، الذي سيؤدي حتماً إلى أحداث نقطة تحول في وعي البرولیتاريا اليهودية والديمقراطيين - الاشتراكيين بشكل عام إلى النحافة».

وقد برهن الواقع أن لينين كان على حق في تنبئه هذا (حسبما يقول يفغيني يفسييف)، فقد انتقل الأمميون الحقيقيون من البوند إلى صفوف البلاشفة، وشاركوا بشكل فعال في النضال من أجل الثورة الاشتراكية، ووقفوا في وجه أعدائها، وفي الوقت نفسه راح العديد من البونديين (حزب البوند اليهودي) ينتسبون إلى صفوف المناشفة وغيرهم من أعداء الحزب اللينيني، إذ يقول بونتش - بروفيتش «في البوند استطاعت بعض عناصر الصهاينة - الاشتراكيين أن تجد لها مكاناً، وراحت بعد فترة قصيرة لا تشترك فقط في أعمال هذه المنظمة اليهودية التي أصبحت حصة المناشفة في المستقبل، بل وتشرف على هذه الأعمال وتديرها» - عن المؤلفات الكاملة للينين المجلد السابع ص (١٢١-١٢٢) وعن ن. ديونتش - بروفيتش المؤلفات المختارة - المجلد الثاني في موسكو ١٩٦١ ص ٢٣٩.

بالاشتراكية - الديمقراطية، خاصة بعد ما تبينت محاولاتهم المتكررة في ممانعة الاندماج مع الحركة الشيوعية الروسية[1]، ولجوئهم إلى التأييد

١- ننوه إلى المنظمات الصهيونية قد تجزأت قبل الثورة إلى عدة فئات منها:

أ- الفئة الأولى تضم أنصار برنامج بازل وكانت مهمتها جمع الشامل وبيع أسهم البنك الاستيطاني ورفد الصندوق اليهودي بالمال ونشر الصهيونية.

ب- الفئة الثانية من حاملي الثقافة.

ج- الجماعة الاشتراكية الديمقراطية التي تطرح الشعارات الاشتراكية.

د- الصهاينة الاشتراكيون.

هـ- فئة المنشقين.

انحصر عمل الفئات كافة في استثمار المراحل السياسية حسب متطلباتها، إلا أنهم وزعوا الأدوار حسب طبيعتهم السياسية، لذا نرى أن الاشتراكيين منهم أفلحوا في الاندماج مع الأحزاب العمالية الروسية، إذ أتيحت الفرصة للأقسام الأكثر ثورية من البروليتاريا اليهودية بتأييد حزب البلاشفة، مثلهم مثل غيرهم من أبناء القوميات الأخرى (إذا صح التعبير بأنهم يشكلون قومية)، وأصبحوا ممثلين سواء في الهيئات الحزبية أو السوفياتية القيادية والمحلية، عدا عن أن السلطة السوفياتية وجدت نفسها - حيال قيامها - أمام مهمة جذب اليهود إلى النضال العام من أجل الإصلاحات الاشتراكية في البلاد أو تحريرهم من ربقة الصهاينة والمؤسسات الطائفية اليهودية الرجعية والمعابد الدينية، وكمنت الصعوبة الأساسية في تحويل فئات البرجوازية الصغيرة إلى مجال العمل الإنتاجي (بما في ذلك الأعمال الزراعية ورفع المستوى الثقافي للكادحين اليهود، واجتثاث الأفكار القومية الشوفينية التي تجد مرتعاً لها في أوساطهم)، وألقيت مسألة تأمين حقوق ومساواة السكان اليهود على «عاتق القوميسارية الخاصة بالقضايا اليهودية» التي تأسست في كانون الثاني عام ١٩١٨ وتابعه «لمجلس الشعبي لقضايا القوميات». وهكذا فإن السلطة السوفياتية اتخذت التدابير كافة بين السكان للمساواة بينهم (بما فيهم السكان اليهود وبقية القوميات الأخرى في الاتحاد السوفياتي)، حتى إن الكاتب س. اتيينغر المناصر للصهيونية لم يجد مندوحة من الاعتراف «في الاتحاد السوفياتي فتح الباب أمام اليهود إلى الجهاز الحكومي، والصناعة، والنشاط العلمي والثقافي»، بينما وقفت الصهيونية المضادة بشكل علني وأحياناً أخرى - باستخدام المخاتلة والمكر وإسدال النقاب على وجهها.

تجسدت المبادئ اللينينية حول المسألة القومية في نظرة السلطة السوفياتية إلى السكان اليهود، مع الأخذ بالحسبان - بالدرجة الأولى - بنيتهم الطبقية، وقد شارك العديد منهم في «السياسة الاقتصادية الجديدة - النيب» التي سمحت بوجود العناصر الرأسمالية لمدة معينة وفي نطاق محدود، مع إبقاء المواقع الأساسية في يد دولة البروليتارية - عن الصهيونية في روسيا القيصرية - يفغيني يفسييف - ل. فوستوكوف - ترجمة هاشم حمادي - منشورات وزارة الثقافة - ١٩٧٦.

المطلق للحكومة المؤقتة (حكومة شباط)، واعتقادهم في قدرتها على تخليص روسيا من محنتها، مع الدعوة إلى إلحاقها بالدول الأوروبية المتحضرة عن طريق تطبيق الديمقراطية دونما النظر إلى مصالح الطبقات العاملة، وتغليبها على مصالح المجتمع الديمقراطي الاشتراكي حتى ولو إلى آن؛ ريثما يتم بناء القاعدة الصلبة للانتقال إلى تحقيق المآرب والأهداف الأخرى.

لقد حاول الصهاينة استغلال المناخ الثوري المتعاظم في الاتحاد السوفييتي في تلك المرحلة، وانقلب البعض منهم وسارع في نشر الغلواء والتفلت من الضوابط الأخلاقية والوطنية والدينية، واعتمادها وسيلة لتشويه الإنجازات الإيجابية ورموزها ومضاعفة الأزمات والبلبلة وتمريرها تحت إطار الحماسة والانفعال لتسريع خطوات البناء الاشتراكي المنشودة، وإلحاق مسؤولية فشلها بقيادة الحزب الشيوعي الروسي والشخصيات الحكومية القيادية مع تسريب بعض التحركات، واتخاذ القرارات السياسية التي تصب في مصلحتهم ومصلحة المنظمة الصهيونية، سواء في مجال الهجرة اليهودية إلى الغرب، أو في الوقوف مع حق إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، الذي جاء نتيجة حصاد للصهاينة من الحرب العالمية الأولى، أو في تحفيز الشعور المعادي للدولة السوفياتية سواء في الداخل أو في الخارج عن طريق هروب وإبعاد الشخصيات اليهودية المعروفة وممارسة الضغط على الفئات الاجتماعية - العرقيّة في الجمهوريات، وإثارتها عن طريق ممارسة العنف والقسوة عليها، لتتخذ مواقف معادية تحت ضغط الفعل الممارس عليها.

وهكذا نرى من خلال نظرة سريعة على مجرى الأحداث، أن التلبس الصهيوني شكل القاسم المشترك لكافة الفئات اليهودية - الماسونية لدى أطراف النزاع أو الصراع السياسي، فمنهم من كان يتغذى بخطط محكمة، وتوجيهات وتعليمات القادة الصهاينة في الغرب، ومنهم من كان يعمد إلى التخريب كوسيلة تضعف الطرف الآخر المقاوم لخطط الصهيونية بحيث بدت عملية التحكم بمجرى الأحداث وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية وكأنها حالة تنسيقية، حصدت على أثرها الصهيونية قيام الكيان الصهيوني في فلسطين بدعم من الغرب وتأييد واعتراف من الأطراف كافة، دون النظر لما

حملته هذه الحرب من مآسٍ لشعوب الأرض كافة، وما ولدت من ويلات قل مثيلها في التاريخ الذي يحاول الصهاينة كتابته بصورة مغايرة للواقع، وبحيث يتطابق ووجهة نظرهم في تزييف الحقائق والوقائع ليأتي وكأنه سياق حتمي لخلاصهم الذاتي وإظهاره كسيرة ذاتية تخصهم دون غيرهم بحيث تغدو الويلات على الآخرين لا تساوي في مجموعها الجزء الذي طال بعض اليهود من خلال وجودهم في الدول المتحاربة، لدرجة غدت فيها مسألة ما يعرف بالهولوكست تطفو فوق مصائب وويلات الشعوب التي دفعت التضحيات العديدة التي بلغت عشرات الملايين، وأصبحت جلجلة يتطهر بها كل من أراد استعطاف القدرات الغربية والتقرب من عظمة قيمة الخاضعين لجبروت المال الصهيوني - اليهودي.

لقد سلك الصهاينة في أسلوب تعاملهم مع الشعوب والدول الوقاحة المطلقة دون النظر إلى رغبات الشعوب وتطلعاتها، واحترام الوجود الإنساني الذي لم ينظر إليه إلا من خلال توافقه مع مصلحتهم، وامتزاجه في لعبتهم المدروسة، وتجييره لتحقيق المآرب والأهداف التي تتعدى في خياراتها رؤية الأمم لمستقبلها، وتغدو كل تحركاتها متصفة بالحماقة وخارجة عن المنطق، طالما أنها لا تعطي التوافق المطلوب مع قناعات السياسيين الصهاينة.

لقد تعدت الاستراتيجية الصهيونية المبادئ الأخلاقية كافة، واعتمدت الإطار الذرائعي - البراغماتي - لإثبات آرائهما البعيدة عن الحقيقة، وغدت مسألة تجسيد الخطر على الشعوب حالة باطنية استشفافية للضمير الصهيوني، وأخضعت كل الاعتبارات الأخلاقية والمناقبية بحيث أصبحت دعوتهم خارجة عن كل تحريم جوهري لكل شيء من شأنه يكون متصفاً بقيمة أو عدل، إذ إن خضوع الأشياء لمشيئتهم وتصرفهم صارت هاجس تحركهم الفعلي لخلق التدمير وإشعال الحروب وارتكاب المجازر واستخدام الأسلحة المحرمة والوسائل الدنيئة في تحطيم إرادات البشر.

من خلال نظرة سريعة لتاريخية الأحداث المتتابعة في الاتحاد السوفياتي نرى بشكل دائم إغراءً ومبالغة في الربط ما بين الحدث وأثره، وكان هذا

الإغواء الصهيوني لاعتماد أسباب الحوادث وأثرها سبباً من المبالغة في تضخيم الأشياء، وإخراجها من حيزها المألوف في نشوء التنظيم، وتصويرها كأنها حالات شاذة في قيام المجتمعات، أو كأنها مؤامرة صنعت ضدهم رغم مشاركتهم فيها، وهذا ما ينطبق على أن خسارة مسمار واحد في حذوة الحصان سيؤدي في النتيجة إلى زوال النضوة نفسها، وبالتالي يأتي ربط الأحداث فيها نتيجة تحقق لهم المصلحة، وتغدو عملية تنظيم الأشياء حسب وجهة نظرهم مسألة تبنى عليها رغباتهم في تجريد الأحداث عن علتها ومعلولها. وتصير النتيجة هي الحالة الأهم في سياساتهم. وهكذا باتت كل الأحداث التي جرت في قوام الاتحاد السوفياتي، وكأنها مؤامرة خططت من الأساس ضدهم، متناسين دورهم الأساسي وتحرشهم الدائم في تلطيخ الأحداث وتشويه وقائعها، وإلصاق السمعة السيئة بالشخصيات السياسية المحسوبة على تلك المرحلة، واستثناء فاعليها ومفتعليها الذين كانوا من عدادهم ومن طينتهم، وبرّؤوهم من كل عمل قاموا به وارتكبوه، حتى تغدو شخصياتهم المشاركة في صنع الأخطاء والمفاسد بريئة لطيفة أمام مسؤولية ذاك الحاكم الذي تمت تلك الأحداث في زمنه. ويختزلون أنفسهم خارج المنطويات الاجتماعية والسياسية والثقافية وما يعتريها من تبدلات إنسانية وعقلانية وعلمانية وديمقراطية وقومية وقانونية، ويصبحون خارج إطار الصفة المجردة للقانون ومفهوم سيادة الشعب والوطن والوطنية، بحيث يأتي مفهوم التقدم التاريخي عندهم مسألة متجاوزة الأفكار والقيم والمبادئ والمناهج المشترطة لبناء المجتمع الحديث والقديم على حد سواء، ويتعاطون مع كل المواقف الأيديولوجية سواء كانت ليبرالية رأسمالية، أو برجوازية، أو شيوعية اشتراكية، ليصيروها منظومة نمو متوازن لمنظومتهم وكينونتهم الماسكة بأطراف التاريخ، تتجاذبه في آن وتشوهه في آن آخر بحيث يؤدي هذا التلاعب إلى تدمير البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للبلدان والشعوب، وتفرزهم هوية اجتماعية متميزة لها متطلباتها المتمايزة في سلفيتها وماضويتها وأوهامها الذاتية عن دور تاريخهم في خلق تلك الهوية، وفي نمطية تصرفهم وسلوكهم المغاير لمجموع السلوك الإنساني.

هذه النظرة المتعالية الاغترابية ما هي إلا بغاء سياسي مخالف لنظام القيم الإنسانية، ونموذج مفترض يستهوي السيطرة على آفاق المجتمعات والتنظيمات البشرية المتعاقبة، بحيث تغدو مسألة قولبة معتقداتهم متفوقة على كل ما هو إنساني آخر، ومهيمنة على كل مراحل التطور التاريخي بدءاً من الملكية وانتهاءً بالأيديولوجيات المتعددة التي أوصلت العالم إلى ما هو عليه، فتارة يمارون الأنظمة ويغوون قادتها حتى يصلوا إلى درجة من التناقضية مع مبادئهم ريثما تحين اللحظة المناسبة لينقلبوا عليها، ويأخذوا في إظهار مساوئها وإخفاقها وفشلها لدرجة تستشري فيها عناصر الضعف والتفكك، التي تعتبر بالنسبة لهم حالة مثالية يستثمرون معطياتها لإنتاج وجودهم الاجتماعي المبني على أنقاض وجود الغير الذي يكنون له الحقد والكراهية، وتصبح صيرورة التحول والتبدل والتلون عندهم هاجساً، ومبعث وعيهم وذاكرتهم المتحفزة للانقضاض على كل ما هو مغاير لهم، ومقاوم لتخرصاتهم السياسية - الثقافية والاجتماعية المستمدة من جوف التاريخ. فكل انفجار في العلاقات الاجتماعية والسياسية وفي العلاقات بين الدول عن طريق الحروب يعتبر مسوغ وجودهم القائم على المبدئية الأولية لخلق الضرورة التي تُلجئُ الآخرين إليهم إما بغرض التمويل المالي، أو بغرض الدعم المادي، أو بغرض تسويق وجود طاغ يتطلب منهم التعهد بصونه والحفاظ عليه مقابل التبعية لهم والانصياع لما يصبون إلى تحقيقه من مرام وأهداف، ولا عرو بعد ذلك أن نجد أن العديد من الشخصيات السياسية باتت متحمسة ومنفعلة بما يريدون وإلى ما يطمحون، بغض النظر عن التضحيات والآلام التي تدفعها المجتمعات لقاء تلك التبعية الخاطئة والارتهان المشبوه لهذه القلة القليلة من البشر.

إن طرح هذه المسألة على هذا النحو ينقلنا إلى التكلم عن وجود اليهود في المجتمعات، وعن الطرق والأساليب التي توصلوا فيها إلى درجة التحكم في مستقبل المجتمع الروسي وتفكيكه على هذا الشكل الدراماتيكي المحزن، بغض النظر عما يشوب هذه النظرة من التباس وغموض يلغي القيم الفكرية لذاك المجتمع العريق، التي لا يمكن أن تكون سهلة لهذه الدرجة التي يُقبل فيها مثل

هذا التقول المحيد لوجودهم وأثرهم. لا سيما أن هذا الانفلات والانعتاق من النظام السوفييتي جاء برغبة الشخصيات الروسية الحاملة للموروث التاريخي الروسي، والمنفعلة بمواطنية ذاك البلد الذي عايش الكثير من المحن، إلا أن نظرة سريعة لشكلية وإشكالية تلك الشخصيات تقودنا إلى أن ما كان قد جاء نتيجة سيطرة فكرية (هذا في أحسن حال) ونفعية تامة في سلوكها وتصرفها الذي أدى إلى ما أدى إليه.

كنا قد أسلفنا أن اليهود - الصهاينة حاولوا ألا يختلطوا حتى في طرح الشعارات مع أبناء وطنهم سواء من حيث قبولهم بفكرة الصراع الطبقي أو بفكرة الاندماج الكلي مع متطلبات التغيير في النظام الاشتراكي، بسبب رغبتهم في عزل أنفسهم عن مجموع ما يحرك الآخرين من أفكار وطموحات، لدرجة لم يقبلوا فيها أن يكون العامل اليهودي مساوياً في الحقوق لكل عمال روسيا في تطبيق مبدأ الديكتاتورية البروليتارية، الذي قد يحيلهم إلى الذوبان في ذاك المجتمع، مما يفوت على الصهاينة مشروع السيطرة والتوجيه على اليهود كافة، مما جعلهم يستميتون في تشكيل الأحزاب اليهودية تحت تسميات مطابقة لما كان سائداً دون التخلي عن إلحاق الصفة اليهودية عنها، بحجة التمايز العرقي - الجنسي - القومي الكاذب، لكن هذا لم يمنعهم من الاستمرار في مسايرة الواقع بعد ما استنفذوا كل السبل، لا سيما بعد فشل الحكومة المؤقتة (حكومة شباط) التي كانت في مجملها مكونة من عناصر يهودية - ماسونية، والتي جاءت على أثر سقوط القيصرية التي ساهموا في إسقاطها سواء من الداخل عبر تنظيم عدد من الأمراء والضباط النبلاء في الماسونية، أو في المشاركة الفعلية في قوام الحركة الثورية الروسية، الأمر الذي أوقعهم في الالتباس إلى حين ريثما طغت عليهم صفة التلون والتبدل لينصهروا في قوام الحركات الثورية المتعددة انصهاراً كاذباً عايشوا فيه المساجلة والتماحك كما وكأنهم مواطنون روس من الدرجة الأولى لكن دون نسيان تلك الذاكرة الملعونة المنغرسة في ذاكرتهم إن في عقول إقطاعييهم واحتكارييهم المنضوين مع قوات التدخل الغربية ووقوفهم إلى جانب الفغارديا

البيضاء[1]، أو في عقول ثورييهم المنفعلين في إقامة النظام السوفييتي، والذين تمظهروا بمختلف الأشكال وتبوؤوا المناصب، وأبدوا الحماس والغيرة لذاك البناء الاشتراكي لدرجة الغلواء فاقت حدود التصرف المنضبط بهدف خلق عملية التنابذ الاجتماعي وتوليد التناقض المطلوب، حتى إذا ما خبت فاعلية تأثير التروتسكية في نهاية العشرينيات (على أثر محاكمة التروتسكيين، وإبعاد تروتسكي عام ١٩٢٧ أو خروجهم من الحكم)، راحت تتبدى تصرفاتهم الشاذة، مما استدعى ستالين لأن يقلب ظهر المجن حيالهم، وبدأ يضيق على البعض منهم ويعرضهم للمحاكمة، وخاصة من كان منهم من المهندسين وأصحاب الخبرة الإدارية الإنتاجية والفنية والمضاربين والاحتكاريين والمتاجرين بالممنوعات ومهربي النفائس والتحف الفنية إلى خارج البلاد، والمرتشين والمتلاعبين بقوت الشعب بعد تطبيق سياسة التجميع الزراعي، رغم أن هذا التضييق لم يتسم بصفة القصديّة، حيث شملت هذه الفئات كل الشعوبيات والأقوام دون استثناء، وكل من ساهم أو وقع في شراكها، بسبب ما اعترى

١- وقف اعضاء المركز الصهيوني وجماعة (تسيري - صهيوني) كما جاء إلى جانب قوات الحرس الأبيض، وقدموا المساعدات المالية للجنرال الكسييف من أجل تأسيس جيش من المتطوعين، وورد في إحدى الرسائل الموجهة إلى الجنرال دراغا - ميروف، ان اليهود - الصهاينة أرسلوا ما يزيد عن ٣،٥ مليون روبل لسد حاجة جيش المتطوعة. وجاء في وثائق الجنرال الكسييف الدالة على تعاون الصهاينة مع جنرالات الحرس الأبيض انه في عام ١٩١٩-١٩٢٠ كانت تعمل في مدينة روستوف «الجماعة السياسية اليهودية» التي ضمت كبار ممثلي الطوائف اليهودية والأحزاب القومية - البرجوازية ومندوب المركز الصهيوني، وقدمت هذه الهيئة خدماتها لأتباع دينيكين -(جنرال قيصري كان قائداً أعلى للقوات المسلحة المعادية للسوفييت في جنوب روسيا). وقد رحبت الطوائف اليهودية والمنظمات الصهيونية بقدوم رجال الحرس الأبيض، وشكلوا الوحدات القتالية للاشتراك في المعارك ضد الجيش الأحمر، ولم يكتفوا بذلك، بل نشطوا في الجبهات الأخرى: ففي ربيع عام ١٩٢٠ اشتركوا مع الأحزاب البرجوازية البولونية بتأسيس مجلس يهودي تحت رئاسة أ. نوسيغ، وفي ١٦ أيلول عام ١٩٢١ اتفق جابوتبنسكي (أحد القادة الصهاينة) مع بيتلوروف وسلافينسكي على تنظيم فرقة يهودية في اوكرانيا في حال وصول دول الوفاق (بريطانيا - فرنسا - أمريكا) مدعياً بأنها ستقاوم المذابح اليهودية، ربما كانت الغاية الوقوف في وجه السلطة السوفياتية - الصهيونية في روسيا القيصرية - يفغيني يفسييف - ترجمة هاشم حمادي - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٧٦.

هذه المحاكمات من غلو فاحش، وإلقاء الكثير من التبعات على عاتق هؤلاء، ووصمهم بإعاقة مسيرة البناء الاشتراكي، وإلصاق ما كان من فشل أو عدم نجاح في بعض الخطوات، مما جعلها تتطلب بعض التضخيم والدعاية لإظهارها بهذه الصفة الشمولية بعدما عصفت رياح التأزم الاقتصادي العالمي (بعد الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩)، وطالت فيما طالت تلك المرحلة البنائية للنظام الاشتراكي، التي كانت تتطلب أضعافاً مضاعفة من الضبط والمحافظة على عملية هذا البناء.

مع قدوم السنوات الأولى من الثلاثينيات بدأت بعض التغيرات التنظيمية تطغى على تشكيلة القيادات الحزبية والسياسية بسبب ظهور الدعوات القومية المتشددة في الغرب (صعود هتلر إلى الحكم في ألمانيا)، وبروز ظاهرة المركزة السلطوية الفردية في قمة النظام الاشتراكي، مما أوصل إلى القيادات الحزبية والسياسية شخصيات قيادية من الجيل الثاني الذي لم يعايش مرحلة المخاض الثوري، ولم يتعرض للاضطهاد والعنف والتنكيل، الأمر الذي مكن من ظهور صفات الطوعية والتلقائية في شخصية القادة، حتى وصلت إلى مرحلة الانسيابية الكاملة والانفعالية بما يمليه المركز دون تمحص وترو واحتكام للعقل المسترشد بالمبادئ العامة الأساسية للحزب، مما جعل التلقائية بادية في قوام الأداء الوظيفي لكل الكوادر العاملة والمنتجة، مع إبداء الحزم المفتعل ضد القادة الحزبيين الأوائل (من الجيل الأول)، وتفسير تنظيراتهم وآرائهم على مجمل مشاركة السدة القيادية المتمثلة في شخص الأمين العام للحزب، وأخذت القيادات الجديدة تمارس عملية التشفي من هؤلاء القادة القدماء كمسألة تقرب وإرضاء لرغبات الأوحد المنغمس في عملية بناء الدولة لمواجهة الظروف الطارئة في أوروبا وما تحمل من أخطار على الدولة السوفياتية، مما جعل بعض الشخصيات المتلبسة بيهوديتها تتصرف ضمن هذا المنحى المتصاعد لمركزة السلطة، مع تحكيم سجيتها في خلق المواقف المتشاكلة، وترويج القوة العليا وتدبيج سلطانها، وتخليق ذاتها كقوة ضارية في وجه دعاة الأيديولوجيا وأصحاب الحلول التنموية، وتصويرها كقوى مثالية تتغنى بماضيها السعيد دون معرفة متطلبات الواقع والنظرة الواقعية السائدة للأمور، وكأنها تعيش

في برزخ علوي لا يمت إلى ما هو قائم وواقع بصلة، مما أضعف الحافز الثوري المشبع بيسارية فكرية مستقاة من نظريات الحزب واللينينية - الماركسية، وغلب طغيان هذه القيادات الجديدة على قيادة المجتمع والدولة، وجعلها تقوم بالتصفيات المكررة لهذه الفئات الحزبية وغير الحزبية تحت تسميات متعددة من التهم، التي لم تتعدَّ في غالبيتها التعاون مع الغرب، أو الإشراك بعمل مضاد للثورة أو للنظام السوفييتي، بيد أن الأمر لم يقتصر على تلك الفئات بل طال كذلك أولئك الذين اتهموا (وخاصة في المرحلة السابقة للحرب العالمية الثانية وأثنائها) بالعمل مع القوات المعادية، واتصفوا بسمة الشعوبية والتعددية العرقية، ومحاولتها تقويض الوضع الداخلي والوحدة التماسكية للمجتمع السوفياتي، مما أظهر هذه التصرفات وكأنها إجراءات مدروسة لمضاعفة الانقسام الداخلي على أساس العرقيات والطوائف والأثنيات، وتأليبها على النظام السوفياتي حتى بلغ الأمر أن تساق آلاف الناس تحت هذه التسميات القومية، وأمست صفة تفريق وتمزيق البناء الاجتماعي السوفياتي الذي عمل على إقامته وصيانته أولئك الثوريون الأوائل، محاولين إحلال صفة العمالية مكان الصفة الشعوبية، التعددية.

ثمة أمور مساعدة على تحقيق مثل هذا الهدف القائم على إثارة النوازع الشعوبية وهي صفة القومية التي سادت في الغرب وخاصة في ألمانيا، وطموحاتها التوسعية على حساب الدول المجاورة والقوميات الأخرى، مما أدى إلى ضرورة التماسك القومي وخاصة الروسي في وجه هذا الطغيان، الأمر الذي سوغ التقول بالمنطق القومي والتشديد على إحيائه وإثارته وبعثه ليقوي من تماسكية الدول ومجتمعاتها، وليثير النفوس ويبعث الحماس والحمية في نفوس المقاتلين، لا سيما في الدول المتميزة بغالبية قومية كاسحة، ولم يعد من العيب ذكر هذا العامل عند تحفيز المعنويات وشحذ الهمم، إلا أن هذا الجانب الذي فرضته المرحلة قوّى من عزيمة أصحاب السجايا الخبيثة وزاد من حقهم في تمييز أنفسهم، والدعوة إلى صدقية ما كانوا حملوه ودعوا إليه، وغدت مسألة المواءمة بين ما يقومون به وبين ما يطمحون إليه، حالة قابلة للتفعيل وبعث الأمل، مما فاقم تصرفاتهم النافرة ضد الآخرين، وباتوا يلقنون الآخرين دروساً في الانصياع، لاسيما بعد ما تبوأ البعض

منهم وزارة الداخلية والإدارة السياسية (أمثال بيريا، ميخايلس - لازارغانوفيتش)، وطغت مسألة تغلغلهم الصامت في تلك المرحلة في أجهزة ومؤسسات الدولة، وصاروا يعملون بحرية ويبثون الحماس في مرحلة الحرب العالمية بعد قيام ألمانيا باجتياح الحدود الروسية التي كانت قد وقفت على الحياد في بداية الحرب، لما كان يعتمل في نفوسهم من أساليب مكر وخداع وترويج فكرة الاضطهاد اليهودي وكأنها شوفينية ألمانية متأتية من الطبقة النازية، وليس من دوافع التخطيط الصهيوني المتفق إلى حد بعيد مع الفاشية في إظهار هذه النزعة وتضخيمها كحالة تطال اليهود ليس إلا، دون إخفاء رغبتهم في إشراك روسيا في الحرب، والتي أتت عوناً ودعماً للحليف البريطاني الفرنسي واعتبارها ضرورة عملوا عليها منذ زمن بعيد سواء كان أثناء التدخل في العشرينيات، أو في الحرب العالمية الأولى عندما نازعوا وقاوموا عملية توقف الحرب مع ألمانيا كما ذكرنا سابقاً.

لقد أدرك ستالين في سنواته الأخيرة خطر اليهود، وحاول إبعاد البعض منهم، إلا أن المنية وافته دون أن ينجز ما بدأه، إلا أن خروتشوف إلى الحكم أدى إلى تعريض البعض منهم ولا سيما الطبقة المثقفة (الكوزموبولتية) دون تصفيتهم الكاملة من المؤسسات الحزبية والدولية، مما جعلهم يلوذون ويعودون إلى التلوذ والعمل في الخفاء ريثما جاءت مرحلة بريجنيف التي أعطتهم الحياة ثانية بسبب طغيان التلقائية المؤسساتية المتوارثة، وترهل الكوادر ونزوع القيادات إلى حياة الرفاه والعيش الهنيء، الذي يعتبر بالنسبة للصهاينة - اليهود حالة مثالية تؤمن لهم الوصول والتغلغل أكثر من أي حالة أخرى، لا سيما أن دوافع الإثراء والغنى لدى بعض القادة صار هاجساً غير مراقب، أو لا يستتبع المحاسبة القاسية، الأمر الذي مكن اليهود من إبداء التأثير في سلطات القرار، وإيصال بعض الشخصيات اليهودية - الماسونية - الصهيونية إلى مركز القرار والمناصب العليا، مما أمن لهم استغلال فترة الترهل السياسي بجدارة، حتى إذا ما حلت مرحلة الثمانينيات، بدأت الشخصيات المزروعة تعطي أكلها، لا سيما بعد وصول غورباتشوف إلى الحكم في عام ١٩٨٥، وشخصيات أخرى روجت لنظريات التغير وإعادة البناء (ياكوبليف)، وتفاعلت في إجراء التبدلات الطارئة مع عملية استنهاض قلما عرفها التاريخ لكل

العرقيات والشعوب في جمهوريات الاتحاد السوفياتي، بعد ما كانت الصهيونية قد أفلحت في إثارة رغبات الوطنيين من كل الشعوب في الاتحاد السوفياتي، وخلقت فيهم المطامع وراحت تنشر سلسلة الاضطهادات وتلصقها بالمرحلة الستالينية، وبعثت ذاك الجرح النازف في جسد الاتحاد الذي أدى إلى تفكيك الاتحاد السوفياتي ومجموعة الدول الاشتراكية التي لم تكن بمنأى عما قاموا به في بولونيا وفي تشيكوسلوفاكية في مرحلة الستينيات، وفي رومانيا والمجر، ويوغسلافيا في مرحلة الخمسينيات.

لقد تكاتف الصهاينة مع قيمي الحرب الباردة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، وأبدت الصهيونية طوال فترة الحرب الباردة مختلف النشاطات المعادية داخل الاتحاد وخارجه، وقلما تجد وثيقة أو كتاب يتكلم عن تلك المرحلة، دون أن نجد فيه ذلك الدور المشبوه للصهيونية ومشاركتها الفعلية في تقويض هذا البلد الذي كان قد احتضن اليهود مئات السنين، وأبدى التعاطف معهم والتساهل والتهاون، لكن ما كان لليهودي أن يقر بوطن أو بهوية غير هويته، وما هذه الأوطان التي عاشوا في كنفها وسلبوا خيراتها، إلا لعبة لا ترقى إلى إيلائهم احترامها والعرفان بجميلها وفضلها.

لا نغفل أن نذكر الدور الصهيوني المقيت في أوكرانيا وفي بولونيا. على الرغم من ما قدمه هذان البلدان لهم من جزيل العطاء، وتحملا منهم كل أنواع الفساد، ومع كل هذا لم تقدر اليهودية - الصهيونية هذا الفضل وعاثت بهما، وما زالت تُمسك بتلابيب هذين البلدين وتستنزف مقدراتهما، وتصادر حرية مواطنيهما، وتتلاعب بكل المقادير الاقتصادية والسياسية لهذين البلدين، حتى بلغ الأمر أن يستغل اليهود الوضع الحالي في بولونيا ويطالبوه برفع التعويضات عن أرواح اليهود الهالكين في المعسكرات التي كانت موجودة على الأراضي البولونية المحتلة، وكأن الشعب البولوني كان بمعزل عن هذا الاضطهاد والتفكيك ليحملوه مسؤولية اضطهاد عدد من اليهود تم تضخيمه وهو يقل عن ضحايا البولونيين بمئات المرات، ولا يساوي نسبة ما قدمته تلك الدولة من ضحايا بمقدار الواحد إلى المئة، حتى ليبدو الأمر وكأن المواطن اليهودي على أرض بولونيا ليس

مواطناً بولونياً، ولا روسياً ولا تشيكياً. لماذا هذا التميز المفضوح بين لون دماء البشر، ولمَ هذه الوقاحة المطلقة بمثل هذه المطالبات؟. لماذا لا يطالب البولوني أو الروسي بتلك الأموال المدفوعة لصندوق الحركة الصهيونية والمستنزفة من ثروات كلا الشعبين؟، لماذا لا تطالب شعوب الدول في أوروبا الشرقية بالأموال المدفوعة على الإعالة والتعليم والتأمين الصحي على كل فرد يهودي هاجر من أراضيها إلى فلسطين؟. إننا لو قمنا بحساب تلك الأموال المنفقة على تنشئة اليهود المهاجرين إلى فلسطين لبلغت آلاف المليارات من الأموال، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار عدد تلك السنوات التي تستنزف فيها المجتمعات من جراء هذه الهجرة التي استمرت سبعين عاماً، عدا ما يحملون معهم من تحف ولوحات ثمينة وعاديات تفوق في قيمتها وثمنها آلاف آلاف المرات تلك المبالغ التي يقبضها اليهود من ألمانيا تعويضاً لهم عن ضحايا الحرب العالمية الثانية.

لعل العالم يستفيق يوماً، ويدرك أن هذه العناصر الصهيونية هي ذات النزف المادي العالق في خاصرة الشعوب، يمتص دماءها كالعلق، ويأتي على أجسادها ويرميها في نار جهنم، حيث يتقوّل اليهود في تلمودهم الذي يسخر الملحدين ليدخلوا النار حيث الصديد والراز والدموع والظلام بعد أن يدخل المؤمنون الجنة (أي اليهود) التي وعدهم بها أربابهم (أرباب الجيوب).

ماذا ينتظر روسيا

يخطر هذا السؤال في بال كل إنسان متتبع للوقائع والأحداث السياسية، خاصة في زمن باتت فيه القطبية الأحادية تسيطر على العالم وتدفعه نحو الخضوع لإرادتها، بعد انهيار المعسكر الآخر الذي كان ملاذاً لحركات التحرر القومي، وحاضناً لحقوق الشعوب في دول العالم الثالث التي حاولت التفلت من ربقة الاستعمار والسيطرة الرأسمالية.

أما وغدا الأمر الآن رهن الاستعماريين أنفسهم، فإن الكثير من الصعوبات ستواجه الشعوب والأمم المغلوبة على أمرها، لا سيما تلك التي لم تقطع حبلها السري مع النظام الليبرالي العالمي، واستخدمت إذ ذاك وسيلة دفع مقاومة للطغيان الشيوعي (حسب تقديرها)، وانساقت بمفاهيم القطبية الغربية ودعاتها الذين روجوا الخطر الشيوعي الأحمر بمثابة مهدد أساسي لمستقبل الشعوب المؤمنة بالإرثية التاريخية الدينية، والتي اعتبرت نفسها معنية بتلك المقاومة العنيدة لذاك الخطر تحت حجج متعددة، وذرائع لا تخضع من حيث مفهومها إلى أصولية فهم الوقائع التاريخية، ولا إلى معطيات المستقبل الحامل في طياته المفاجآت التي لم تكن قد راودت خاطر أولئك المندفعين بغير روية لمقاومة ذلك الامتداد والتوسع الأحمر المزعوم، وإلا لكانت أدركت واستوعبت اللعبة السياسية العالمية، وأتقنت فن استغلالها واستثمارها، لتصبح في موقع يؤدي إلى الهدف ويسمح لها فيما بعد أن تصل إلى هدفها السامي.

لا شك أن عملية التفكك السريع للاتحاد السوفياتي تركت العديد من الدول الصغيرة في حالة ذهول، أفقدتها الصدمة حسن التصرف والتعامل مع المعطيات الجديدة للوضع العالمي، مما أوقع الحيف الكبير عليها. لا سيما تلك التي كانت تراهن في موقفها على صداقتها وعلاقتها مع الاتحاد السوفياتي حيال

قضاياها الأساسية العادلة. إلا أن هذا الصدمة على المستوى العالمي لا تساوي ما كان على المستوى الداخلي، حيث انعكست نظرية إعادة التقييم والعلنية على بنية المجتمع السوفياتي، وجعلته يعيش حالة تفكك سريع غلبت عليه الفوضوية، وانعدمت فيه الضوابط لدرجة مكنت أصحاب الغلو الديمقراطي المزعوم ينبرون ويظهرون أنفسهم قادة لذلك المجتمع، بعدما كانوا قد أعدوا العدة لاستغلال هذا المجتمع المتأزم تغيير عاداته وتقاليده المؤسساتية، وتحويرها لملائمة الواقع الجديد مع الإمساك بالمقدرات الاقتصادية والإعلامية وتسخيرها للغرض نفسه، واستطاعوا خلال فترة قصيرة الوصول إلى فرض إرادتهم على القادة، وتسيير دفة الحكم حسب رغباتهم، لا بل الوصول إلى المفاصل الحكومية والتحكم بقدر ذاك المجتمع الذاهل والمأخوذ بشدة مفاعيل الانقلاب والتغيير، حتى غدت كل الحركات والتحركات الاجتماعية واقعة تحت تأثير الفوضوية والعبثية، وكأنها معلقة في الهواء تتأرجح تحت حالة من عدم التوازن، لا سيما عندما بدأت سلسلة التنازلات الاستراتيجية للخصم الغربي، الذي راحت تتعدد أوجه تداخلاته لدرجة وصلت إلى حد التعامل مع هذه الدولة المنهارة وكأنها دولة مهزومة بعد حرب طويلة.

لم تؤدِّ الحريات الممنوحة للمواطنين إلا إلى فقدان هوية الانتماء وضياع الدليل الإرشادي الموجه، مما جعل تلك التنظيمات الأكثر تماسكية وخاصة الصهيونية والماسونية - اليهودية تبرز وتظهر كقوة أساسية موجهة وداعمة لعملية التخريب السريع لكيان الدولة، وإسقاط كل أسسه الاستراتيجية بما يتلاءم مع متطلبات الهجومية الأمريكية الصهيونية لخلق أرضية ملائمة تسمح للدول الغربية الحرية التحرك، وتزيد من تعملق الكارثة، وتنتقم من تلك الشخصيات التاريخية وتعرضهم للسخرية والتصغير والإهانة على مرأى من الشعب الروسي دون أن يستطيع إيقاف هذا الانهيار المتسارع.

لقد أوصلت البيروسترويكا المجتمع السوفياتي إلى حالة تردٍّ واهن، أوقعته في ذهول واجم حيال تلك الطرق والأساليب التي صارت تحكم سلوكه وتقرر مصائره دون حول ولا طول، مما أبعده عن التأثير أو على الأقل المعاندة لأولئك الساخرين من أبنائه، والمتشفين بمصائرهم والمتلاعبين بتاريخهم وبعقلهم، وأضحت مسألة التفوه

بالعقائد الأيديولوجية مثار تهكم وسخرية، مما ضاعف عملية الذوبان والانهيار والانبهار بالمجتمعات الغربية وحياتها الديمقراطية دون أن يملكوا حتى أبسط قواعد التشبث بمواقعهم، ريثما تتم عملية الانتقال إلى نظام جديد بخطوات متتالية محكمة ومدروسة ومنضبطة، دون فقدان الإيمان الممزوج بعمق عقلي، وحنين وتوق عاطفي يجعله مقاوماً للحملات والمضاربات السياسية، والاتهامات الباطلة لكل ما كان من أنظمة وقوانين سابقة، ونسفها وتحطيمها بتسارع فاق كل توقع بحيث اختفت سرعة الاستجابة البسيطة لما كان من هوى وميل عنيف إلى تغليب العوامل الهدامة المساعدة على التشويه والتشويش المحتدم تحت حدة الصدمة الصاعقة الطاغية على اتباع مسلك دفاعي يحد من ضراوة هذا الهبوط القسري المتسارع.

نعود إلى التساؤل الذي يقض مضاجع العالم المغلوب، المتسائل عن إمكانية عودة روسيا إلى ما كانت عليه من دولة قوية عظيمة توقف هذا الزحف الغربي المتهالك على تقطيع العالم والتلذذ بثرواته، دونما معيق أو رادع ينجي هذه الشعوب الصغيرة الغارقة في ذلها واستسلامها من قدرها المشؤوم في الانصياع لمشيئة هذا الغرب الضاري المندفع تحت سطوة العدوان والسيطرة والعنف والتقسيم والتحكم. وبعد، هل تملك روسيا عناصر النهوض من جديد؟، وهل تملك عناصر هذا النهوض بما تملك من قدرات هائلة وخبرة جسيمة في مواجهة هذا العالم المتكالب على الانتقام من تلك الدول التي كانت على مر فترات زمنية طويلة لائذة بالمظلة السوفياتية؟.

لا ريب في أن الإجابة على مثل هذا السؤال تصطدم بالكثير من العوامل والظواهر التي قد تحد إلى الآن من صدقية التوقع والتنبؤ بمستقبل ذلك البلد، بسبب ما عرف عنه من فترات رقود طويلة فاقت في صبرها حدود الأناة والتصبر المعروفة في سياق تاريخية الدول والشعوب، حتى باتت مسألة استيقاظ أو إيقاظ الدب الروسي لغزاً سياسياً غير معروف كنه قوته الكامنة في نومه واستفاقته. لكن عند العودة إلى تاريخية هذه الدولة، ومتراجحة هبوبها وركونها، نستطيع أن نتبين بعض الملامح التي تدل على عودة هذا البلد إلى الساحة الدولية، وممارسة سياسته الخاصة التي ستكون مبنية بلا شك على قاعدة براغماتية مثلها مثل غيرها

من الدول في هذا الزمن السياسي الجديد للعالم، الذي باتت بنائية الاستراتيجيات فيه قائمة على شروط جغرافية وسياسية واقتصادية متغذية على الاقتصاد العالمي ومنظومته التي تتبدل بتبدل الأعداء والحلفاء ومدى مردودية هذه العلاقة عن إقامة العلاقات الدولية، إضافة إلى بروز أحداث طارئة تأتي خارج حدود المتوقع النسبي حسب مفهوم الاحتمالات الذي قد يعتمد على تاريخية هذا البلد أو ذاك، وسياق نموها وسيرها ونتائجها على أساس الدراية المطلقة بالعلوم المتداخلة المنبئة عن التبدلات الاقتصادية الاجتماعية الطارئة، سواء كان في حاضرها أو في مستقبلها، لذا نرى من المفيد أن نجمل بعض الآراء والعوامل التي قد تكون مساعدة على نهوض هذا البلد المكتوي بنار الصهيونية إلى جادته التاريخية:

أولاً: لا شك أن للتاريخ أهمية يلتبس فيها الحدث بعدة صفات ومواريث محمولة في ذاكرته الإنسانية التي يصعب عليها أن تنسى الدوافع والمسببات والنتائج التي تأتي قاعدة النهوض على أساسها، والتي قلما عرفت سببية مماثلة في تكرار واقعة السقوط والنهوض على حد سواء، إلا أنها تأتي على خلفية تداعيات ناتجة عن هذا وذاك، وتحمل نمطية مختلفة عن الأولويات المسببة لها، إذ إن عملية الانحطاط السلطوي المترهل القائم الآن في تلك الدولة لا بد من أن يفقد كل تخرصاته، ويتآكل ويتموت أمام العاطفة الجماعية الحاملة للحماس والحمية المشهورة في ذلك المجتمع والدولة، وبالتالي لا بد من أن تتعرى فيه تلك الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في سقوطه، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، إذ إن هذه التعرية تتأتى من نتاج مفهوم واع يدرك ويحدد مسببات هذا الترهل، لدرجة تغدو فيه مسألة محاسبة أولئك الذين سببوا حالة التهتك الاجتماعي والدولي قائمة وجارية ومغفلة حسب الضرورة التي أملتها، أو أهلتها لأن تكون ظاهرة تجديدية لهذا المجتمع تنطبق مع النسغ الحياتي لتاريخ ذاك الشعب الذي ما إن يمتلك العناصر الحيوية الفاعلة والأكثر قوة حتى يقوم يصفع كل مسؤول عن حالة التردي الحاصلة، وبالمنسوب نفسه في السرعة والتسارع، فمثلما كانت عملية البيروسترويكا فاجعة في فجائيتها الانتقالية، كذلك تكون المحاسبة، طالما أنها ستكون

بحد ذاتها حلاً يحمل الرجاء والأمل للجماعات الإنسانية كافة بغض النظر عن مطارحها السياسية، ولا بد عندها من أن تحمل سبل التصفية من الأدران التي تتطلب المرحلة الجديدة التخلص منها. ولا ريب في أن هذه المعيقات المسببة لتلك الأدران كائنة في العناصر الصهيونية المندسة داخل الجميع، لكن ما إن تبدأ عملية تعرية هذه التكوينات الاجتماعية، حتى تبدأ تنهال عليها سبل القصاص والحساب بشتى الأساليب والسبل السياسية منها أو الدينية، لا سيما أن البنائية المجتمعية في تلك الدولة مرهونة بفعل الحدث والتحدي، وقلما كانت حالة نهوض فيه إلا واستندت إلى حرب أو غزو أو مناجزة تاريخية. وهذا ما يجعلنا أميل إلى القول بأن التوق إلى العودة إلى الساحة الدولية، وتنامي مفاعيل الوطنية الروسية وأحادية الدينية الأرثوذكسية والعرقية تجعل احتمالية الانقلاب في هذا المجتمع قائمة ومتغلبة على كل ما سواها من احتمالات انفلاش قومي عظموي يدفع فيها كما يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تلاق صدامي تناقضي يتمثل على حيز جغرافي ما، أو على مشاكلة سياسية اختلافية متأطرة داخل دولة تعتبر فيها روسيا رهاناً لهذه الصدامية، وتكسبها لبوس الخطورة لها أو الموجهة إليها.

ثانياً: إن وقوع روسيا على محور التقاطع الأوراسي يفرض عليها إيلاء الاهتمام الزائد بالمسألة الجيو - بولتيكية، منها المسائل التي ستحدث أو التي حدثت بالقرب من حدودها، أو على تخومها، وهذا ما سيؤهلها لأن تعود إلى مسألة إتقان فن الاقتناص السياسي والإيقاع بالعدو المخزون في الذاكرة الشعبية، التي لا بد من أن تطغى على ذاكرة الريادة الاجتماعية - الدولية، بسبب ما تحمل هذه الصفة في التاريخ الروسي من مدلولات محركة لهذه الذاكرة، إذ إن الطموح الروسي على سبيل المثال لم يتقطع عن الحلم بالوصول إلى المياه الدافئة، فكيف إذا كان هذا الحلم منوطاً بدفع خطر قادم عليها من جوار ملتهب على الحدود الجنوبية بغض النظر عن هوية الشعوب القاطنة على التخوم ومنها الإسلامية، التي باتت هدفاً متصالباً على أجهزة التصويب الأمريكية وبعض الدول الغربية الواقعة تحت سطوة المسيحية الصهيونية

المتشددة التي تستشيط في غلوائها وعلنيتها، بعد ما انتقلت قوى التأثير الصهيوني من موقع المحرك (على شاكلة اللوبي) إلى موقع الإدارة الفعلية للولايات المتحدة، مما سيزيد في تعرية الصهيونية - الماسونية - السياسية، ويبرز مدى تلك المآسي التي حملتها تلك التراجيديا المطبقة على الحكومة الروسية، الأمر الذي يضع مسألة التضاد مع الولايات المتحدة الأمريكية حيال المسائل السياسية المتعددة[1]، في حالة مغامرة لا تروق لوحدانية الصهاينة المرشدين المؤثرين في روسيا، ولا لقيمي الإدارة الأمريكية المتصهينة، مما سيضاعف من وقاحة التحرك الصهيوني في الأولى، وبالتالي قد تسرع عملية المناجزة الاجتماعية مع هذه العناصر التي حملت هذا التابو اللعين للحظ الروسي منذ أمد بعيد، ولا بد من أن تستشري العدائية الشعبية لهؤلاء المتهورين الراقصين على مآسي وآلام الشعب، والقابعين في خاصرتهم وفي حضنهم.

ثالثاً: عند استعراضنا للملامح الحاكمة للعالم في القرن الماضي، نرى أن الكثير منها قد اختفى، أو قد تحول إلى ملمحٍ لم يكن قائماً بسبب غياب التوازن في القوى، الذي كان يحد من انفلاش الحروب وشراستها، ويبقيها داخل إطار المحلية، أما وقد زال ذاك الردع التوازني لا بد من بروز عوامل جديدة تشكل ظواهر غير مسبوقة من حيث خصوصيتها التي قد تتلبس تحت ستار الاستحواذ على الثروات الباطنية (النفط)، وإبداء الشراسة في تحقيق هذا المطلب من قبل الولايات المتحدة، الأمر الذي قد يتعارض مع مصلحة الدولة الروسية، بقدر ما هي مكامن النفط العالمية موجودة فيها وعلى حدودها الجنوبية وتخومها في إيران والعراق والخليج، التي تشكل بمجموعها دولاً إسلامية تحمل بذرة التناقض الشكلي مع سياسة الدولة الروسية التي تلاقي من إسلاميي الشيشان التعنت والتصلب في الاستقلال، رغم ما اعترى هذه العلاقة من استغلال وتسخير من قبل الصهاينة الذين لم يرغبوا في يوم من

١- ما كان فيها على المستوى الداخلي، وما كان فيها على المستوى الخارجي، إذ أن عملية التضاد ستبقى قائمة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والجيوبولتيكية

الأيام حل مثل هذه المسألة بسبب ما تشكل من مبعث وحافز لإبعاد روسيا عن التقارب مع القضايا العربية والإسلامية، وجعلها منضوية تحت صفة معاداة الإرهاب الإسلامي المبتكر من قبل إسرائيل وقيمي الإدارة الأمريكية الصهاينة اللتين جعلتا من هذه القضية حصان طروادة تستغله وقت تشاء كوسيلة تخويف وضغط على الحكومة الروسية، وتباعد بينها وبين التدخل في القضايا السياسية العالمية القائمة على حدودها، وتسلبها حق التدخل حتى في مسألة إقامة القواعد الأمريكية في الجمهوريات السوفياتية السابقة، وتغلغل الأمريكيين واليهود في تسيير دفة الاقتصاد في تلك المناطق.

لذا تشكل مجموعة الأسباب السابقة محرضاً فعالاً للدولة الروسية لأن تستثمر الفرص السانحة، وتتخلص من هذه السيطرة المسرفة في الشؤون الحكومية الروسية. وقد يأتي زمن تدرك فيه خطورة مؤججي هذه النزاعات داخل مجالاتها الحيوية، وتستفيق فيه على ضرورة التغطية والسهر على مصالحها.

رابعاً - إن طبيعة الدينية الأرثوذكسية الروسية تحمل طابعها الشرقي، وقد تتفق هذه النظرة مع عدة آراء سياسية روسية تقول بشرقنة روسيا (عكس الأوربة) الداعية إلى التماس القوة مستقبلاً من الشرق، إن كان عن طريق عقد التحالفات وتشكيل المحاور المضادة للولايات المتحدة الأمريكية، عبر التقرب من الصين والهند ودول شرقية أخرى تتفق مع وجهة النظر القائلة بتاريخية التصادم بين الشرق والغرب، أو حتميته المؤكدة بسبب ما تحمل عناصر المحركات الغربية من مفاهيم عدائية حيال الحضارات الشرقية ومعتقداتها، وتصويرها بأنها حاملة لبذرة العداوة الغربية لحمل الإرث الحضاري - الديني في قارة آسيا التي كانت على مر التاريخ مولدة للعقائد والنظريات الفلسفية المبنية على قيمة الإنسان، وقدرته الذاتية على التغيير والارتقاء، عدا عن المخزون البشري الكبير في هذه القارة، الذي بدا يتلمس طريق التقدم التقني ويسير بشكل متسارع نحو النهوض، الأمر الذي ينذر بمصداقية تؤهل للمراهنة عليه، والانحياز له.

خامساً - قد يؤدي التفاقم الاقتصادي الآخذ في الانحدار ليس في روسيا وحدها، إنما في العالم كافة، بسبب السياسات التجارية المتحكمة بغرض السيطرة السياسية، وهذا ما يجعل روسيا تحت ثقل حيف لا يحتمل جراء ما يطبق عليها من توجيهات وترشيدات اقتصادية مفروضة من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي اللذين باتا أكثر الدائنين تحكماً في الاقتصاد الروسي، وما يفرضان من سياسيات اقتصادية تخالف من حيث الأساس استقلالية وسيادة الدولة، وتجعلها رهينة التباسات مالية تشترك فيها دوائر التمويل الصهيوني بشكل فعال، بعد ما استشرت ظاهرة السوق والمضاربة والخصخصة، التي قد تؤدي بلا شك إلى إفقار المجتمع الروسي، وزيادة الشقة بين أثرياء البيروسترويكا، وبين الطبقات الشعبية الواقعة تحت ضغط البطالة وتفشي الفساد وانتشار العصابات (المافيات) والأتاوات التي تزيد من قيمة السلع وتقلل من قيمة النقد الذي قد يملكه الفقراء، ليس بغرض زيادة الأرصدة، إنما بغرض العيش اليومي الذي بات يقض مضجع الغالبية من الشعب الروسي الذي لا بد من أن يتلمس يوماً حقيقة ما يحصل، ويهب كما اعتاد ضد مستغليه ومستعبديه وخاصة منهم أبناء جلدتهم ومواطنيهم أتباع نقل الثروات إلى الغرب أو إلى إسرائيل، الذين عملوا على استنزاف قدرات هذا البلد، وأوقعوه في الأحبولة الصهيونية - الأمريكية.

سادساً - ربما تتنبأ الوقائع المستقبلية عن بروز ظاهرة تتبلور على أساسها احتمالية تشكل محور جبهي على حدود أوروبا الشرقية وحتى البلقان على أثر ممارسات البسترة السياسية التقسيمية التي قامت بها الولايات المتحدة مما يشكل دافعاً مضاداً لظهور مثل هذا الارتداد المستقبلي ضد الولايات المتحدة، المستمرة في تطويع السياسيات المنهجية لتلك الدول، وإخضاعها إلى لبرلة النظم الاقتصادية، وإجبارها على الانصياع القسري ليس لها بل لحليفتها الأساسية إسرائيل، لا سيما أن معاناة تلك الدول من كيل الاتهامات بمعاداة السامية، والتقريع الدائم بذاك الذنب الكاذب لمذابح الهولوكوست، سيجبر هذه الدول وعلى رأسها

روسيا وبعض دول الوسط الأوروبي على التذمر من السياسة الأمريكية وبالتالي معاداتها.

سابعاً - إن أكثر العناصر أهمية في مستقبل روسيا، هو عامل العزة الوطنية الروسية الذي سيكون المحرك الأكبر والدافع القوي لانقلاب الوضع السياسي في روسيا ليس انقلاباً كلياً، إنما بوصول الشخصيات الروسية الوطنية (أو وصول شخصية قيادية روسية) تقلب المفاهيم السياسية - الاجتماعية السائدة، وتخلص هذه الدولة من براثن التحكم الصهيوني - الماسوني لا سيما أن الطبقة المثقفة وبعض الضباط وغالبية الشعب الروسي مثقلون بهذا الهاجس، وعارفون بطبيعة الوجود الصهيوني وخطورته، مما يجعل حصول عملية تطهير اجتماعي سياسي قابلة للحدوث، بيد أن هذا الانقلاب مرهون بتكشف المساعي الماكرة التخريبية لتلك التنظيمات الصهيونية الحاقدة، ومرتبط في سياق نفاذ القرارات السياسية المتخذة من قبل القيادة حيال المسائل العالمية والداخلية التي يناصرها الوطنيون الروس والشعب الروسي، ويعارضها اللوبي الصهيوني الروسي، ولا سيما قضية فلسطين والقضايا العربية - الآسيوية التي ستتكاثر في مجرى الزمن القادم.

ثمة عوامل أخرى متعددة تؤثر في عملية الانقلاب، ليس الروسي فحسب، بل الانقلاب في عدة دول يفرض الواقع الحالي عليها كثيراً من المشاغل والهموم، ويجعلها متحينة لنزعة الهوى المطلبي، والتعطش للخلاص من السياسات القسرية الترهيبية الأمريكية الصهيونية القائمة على إسقاط الأسس الأخلاقية والقيم الإنسانية - البنوية الاجتماعية، والازدراء من معتقدات الآخرين، وتجريدهم من اعتزازهم ومفاخرتهم وتغليب النزعة الفردية، كل هذا سيؤدي إلى تفجر الأمم والشعوب بشكل تصعب السيطرة عليه وضبطه ضمن الإيقاع السياسي الذي تريده الصهيونية - الأمريكية، ويجعل كل الشعوب وخاصة منها المالكة لزمام القوة الكامنة، رافضة للقبول والصمت والسكوت.

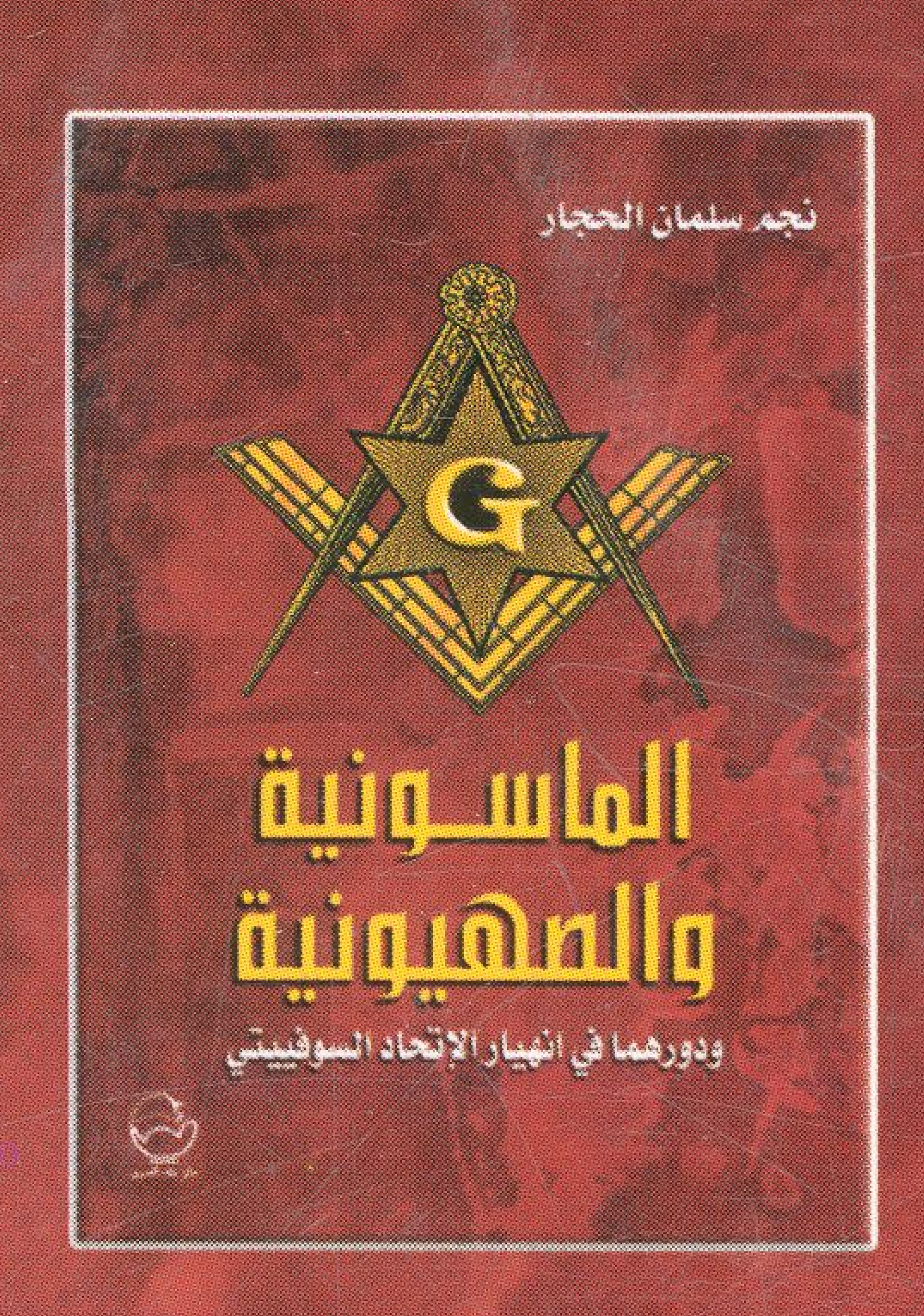
إن ما سيحدث في المنطقة الآسيوية العربية (الدول العربية) وفي شرق شمال آسيا (كوريا)، لا بد من أن يشد روسيا إلى الاهتمام في هذه الأحداث وجسامتها

ومدى خطورتها عليها، إذ سترى نفسها مشدودة إلى التدخل المباشر في طبيعة هذه الصراعات المنفجرة وإن طال الزمن، حيث تسقط عندها مقولة التردد والمراهنة على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وستصبح مسألة الرهان على التحالف الأوروبي أكثر قوة وتماسكاً، مما سيقربها من استعادة موقعها السياسي والاقتصادي الذي سيتعزز عند عودة التصدير للمعدات العسكرية والتقنيات المتطورة إلى دول الشرق بمختلف مواقعها.

الفهرس

من منشورات دار علاء الدين

- الجدل حول صهيون
  دوغلاس ريد
- الموساد أفعى الإرهاب الإسرائيلية في العالم
  دنس ايزنبرغ، يوري دان، آيلي لاندو
- سيناريو لحرب عالمية ثالثة كادت اسرائيل ان تكون مسببة لها
  أوليغ غرينيفسكي
- التعاون بين إسرائيل ونظام جنوب أفريقيا
  اليزابيث ماثيوت
- المخابرات الإسرائيلية أسرار وحقائق
  قصي عدنان عباسي
- إسرائيل خمسون عاماً من العدوان
  قصي عدنان عباسي
- الأحزاب الصهيونية وعملية السلام
  محمد سليمان [illegible]
- الإيديولوجية اليهودية في شقيها التوراتي والصهيوني
  مفيد عرنوق
- إكليل الشوك الروسي التاريخ السري للماسونية ١٧٣١-١٩٩٦
  و. أ. بلاتونوف
- ثعالب الكرملن وغراب نهب روسيا بوريس بيريزوفسكي
  بافل خليبنيكوف
- الإمبراطورية الأخيرة
  بول - ماري دولا غورس
- إمبراطور كل الأرض أو خفايا النظام العالمي الجديد
  ف ي. كرلوف
- الشرق الأوسط عام ٢٠١٥ من منظور أمريكي
  جوديث س. يافيه
- رقعة الشطرنج العظمى
  زبيغنييف بريجنسكي
- دراسات شرق أوسطية
  فرد هوليداي
- كمب ديفيد سياسة مصيرها الفشل الإمبريالية أحداث حقائق وثائق
  أ. زاخاروف، أ. فومين
- دروس من الإرهاب
  كاليب كارر
- قضايا النهضة
  جاد الكريم الجباعي
- ابن لادن الحقيقة الممنوعة
  جان -شارل بريزار غليوم داسكييه
- العولمة والقيم
  حيدر حميد الدهوي
- العراق [illegible] من التاريخ السياسي
  د. كاظم الموسوي
- [illegible] على الرمال البيضاء من كامب ديفيد حتى المأساة اللبنانية
  أناتولي آغارشيف
- البلدان النامية مشكلات العلاقات الاقتصادية الخارجية
  أ. س. بورنيانيكوف
- جدلية الإيديولوجيا والعلم
  سيرغي كارا مورزا
- نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر خلال النصف الأول من القرن العشرين
  د. محمد علي جمعة
- البيت الأبيض وأسرار المخابرات الأمريكية
  ف ف. بتروسينكو



الماسونية والصهيونية

ودورهما في انهيار الإتحاد السوفييتي

إن محتوى الدراسة البحثية التي بين أيدينا ما هي إلا محاولة لاستكشاف مجموعة أفعال يقوم بها أناس اعتقدوا أن إلههم الشخصي كان محظيهم فقط، ولا علاقة للآخرين به، وأنهم ولدوا ليمثلوا هذه المسرحية الإيمانية.

وجاءت هذه المسرحيات المتعددة للبشرية بتصنيع أرباب لذواتهم تناسب ما يعتقدون به من أنهم الخلق الأفضل، وبالتالي تحولت مساعيهم إلى مأساة دامية تطال الإنسانية كلها؛ حيث إنهم يفرضون حالة تخليق الأزمات وتوحيد العالم بالقوة تحت إطار تعميم الأزمات بغرض فرض ال... وتفريغ العقائد الدينية من مضامينها.

بين أيدينا نموذج لهذا الحقد الذي تبديه الم... والصهيونية ضد كل ما هو جمعي وتوحيدي في هذ... واللجوء إلى تثبيته وتقسيمه، والاستحواذ على مقدرات... شعارات مختلفة.

يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع - سورية - دمشق
ص.ب. ٣٠٥٩٨ - هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١ - بريد إلكتروني ala-addin@mail.sy